

للشامخ الطروبي



إحسان بيات الدروبي

احسان بيات الدروبي

سامي الدروبي

دار الكرمل للدراسات والطباعة والنشر والتوزيع

الى الاستاذ الدكتور امسسه
والعزيزه منور أقدم محاولتي هذه
مع حبي واحترابي

~~امسسه سامي الدروبي~~
١٩٨٤ / ١١ / ٥

سامي الدروبي

دار الكرميل للدراسات والطباعة والنشر والتوزيع

دمشق - شارع ٢٩ أيار مقابل العزيزالثقافي السرفييتي
ص٠ب ٣٣٢٦ - هاتف ٤٥٦٩١٥

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى دمشق ١٩٨٢

الاخراج والاشراف الفني: فهد يكن

بسم الله الرحمن الرحيم

ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم
مودة ورحمة . إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون .

صدق الله العظيم

الاهداء

إليك يا سامي أهدي هذه الذكريات ، لمحات من سيرة حياتنا أو من مشوار عمري معك . وأنا أعتذر منك لأن الله لم يعطني موهبة الأدب حتى أعطيك ما تستحق . . . أيها الإنسان الملحمة في تحمله للألم وفي عطاءه برغم الألم .

إليك أقدم محاولتي واعتقاري

احسان بيات الدروبي

المقدمة

إلى الأعمام قراء وتلاميذ سامي الذين زاروني أو كلموني مطالبين معرفة الكثير عن سامي طارحين العديد من الأسئلة ، لتضيء جوانب من شخصيته وأخص صديقة طرحت على سؤ الأ . . . فاسترسلت بالاجابة عليه . . . فإذا بها تقول :-

يا احسان أن سامي ليس ملكاً لك ، إنه ملك لقراءه . . . وأنت لم تكون لسامي «حرمه» بل كنت «بتاع كله» ، زوجه ، سكرتيره ، ممرضه ، عكازته كما سمعته يصفك أكثر من مرة . . . لذا يجب أن تكتبي عنه . . .

أجبت :-

لم يسبق لي الكتابة .

فقلت :-

سنرسل لك صحفية . تتحدثني أمامها وهي تسجل الحديث .
فعلاً في اليوم التالي . حضرت الصحفية . وتحدثت معها ، وفي اليوم الذي تلى أنت فقرأت ما دونت . . . لم أشعر أنني أنا ، ولم أشعر أن ما كتب هو سامي . . . فاعتذرت للصحفية وقررت أن أكتب رغم أنني لست بكاتبة . لمحات عن سامي . وما قد عملت بنصيحتها ولم أكن مقدرة أن ما أكتب سوف يرى النور ولكن في الواقع كان يواسيني ، يريحني يجعلني أعيش حياتي الماضية مرة ثانية . وأن أعيد ذكراها أجترها تملأ فراغي ، تؤنس وحدتي وتضيء ظلام ليالي . فوجدت بهذا كله متعة فانصرفت إليها إنصرفاً بعناد وإصرار

وفي زيارة لصديقة عزيزة عليّ الأديبة السيدة الفة الإدليبي . تعمدت أن أحدثها عن صديقتي تلك . وما اقترحت علي . فإذا بها تقول :-
يا إحسان لو سجلت ما تقوليه عن سامي بذلك الصدق وبتلك الحرارة لكفى .

تشجعت عندئذٍ وقلت :-

إلفة هانم لقد فعلت . . . وهذا هو ما كتبت . . أرجو أن أسمع رأيك بصدق وصراحة .

وبفضل تشجيعها لي قدر لما كتبت أن يرى النور .



بقدر ما تمنيت أن يمتد العمر بزوجي ليكمل عطاءه الشر لأمته . بقدر ما رجوت أن اتمكن بعد وفاته من نقل صور عن حياته وخلاصة تجاربه الى جيل من شباب أمته العربية . كان سامي يرى فيه دائما أمل المستقبل . وكم طلب مني هذا وأنا رفيقة عمره وشريكة حياته ولكنني كنت ومازلت أهاب وأخشى القلم . فلذا ترددت كثيرا وهأنذا أحاول بعد هذا التردد الطويل أن أكتب ، وأمل ان يحالفني التوفيق .

لأبدأ بمشوار العمر منذ كان لقاءنا الأول في الحرم الجامعي في السابع من نيسان عام ١٩٥٤ وبالذات في غرفة الدكتور عبد الله عبد الدائم الذي كان أستاذا في دوحه الأدب حيث نلت الشهادة الثانوية وكان يرعانا ثقافيا ويحشنا على المطالعة ، فيعيرنا العديد من كتبه الخاصة مما يجعلنا نتردد على مكتبه لتعدي وناخذ من زاده الذي لا ينضب ، ومن المصادفة الغريبة أن الكتاب الذي كان عليّ أن أعيده الى الدكتور عبد الدائم في ذلك اليوم كان كتاب الطاقة الروحية لهنري برغسون ترجمة الدكتور سامي الدروبي . فتعارفنا فلفت نظري وجه صبوح ووجهة براءة وعينان معبرتان وحديث سلس وتعليقات مرحة ذكية . . . ولم أدر لماذا قضيت تلك الليلة وأنا أترنم بصدى حديثه وأنتشي برنين ضحكته ، وأسرح بيريق عينيه ولم أكن ادري ان الهوى بدأ يغزو قلبي ولم أكن اؤمن بالحب من النظرة الأولى . . . وكنت أتساءل وهل يمكن أن يحصل من طرف واحد . ووجدت الجواب بعد أربعة أيام فقط حين كنت مع مجموعة من الزملاء والزميلات نهبط سلم كلية الحقوق متجهين الى المكتبة وإذا بنظرة ثاقبة من عينين زرقاوين تشملني فتربكني وبخطى ثابتة تتقدم نحوي وبجملة قصيرة جافة تسألني بل تأمرني أن أرافقه لأن الدكتور عبد الدائم يرغب في التحدث اليّ بأمر هام . . . فمشيت مسلوبة الارادة أتساءل بيني وبين نفسي . اذا كان الدكتور عبد الدائم يريد التحدث اليّ يجب أن يرسل لطالبتة أحد الأذنة . لا أن يستدعيني بواسطة أستاذ ! ترى ماذا ستقول مجموعة الزميلات والزملاء الذين تركتهم دون اعتذار ودون تبرير . . . قرأ فكري بلمحة سريعة وقال ونحن مازلنا نسير متجهين الى مخبر علم النفس بلهجة جدية كل الجد :-

- يا آنسة أنا رجل صريح وصادق ولقد أحسست أنك أنت كذلك فهناك موضوع هام يتعلق بكلينا أنا وأنت لذا قررت أن آخذ رأيك فيه . لقد أعجبت بك يا آنسة منذ لقائنا الأول وكأنني أعرفك منذ زمن طويل وقررت اذا كان رأيك بسامي الدروبي ايجابيا أن أتقدم الى طلب يدك في الغد واذا كان رأيك في سلبيا أرجو أن لانتلقي بعد الآن أي لا أريد أن أراك أبدا .

شعرت بشحنة دماء ساخنة تتدفق في كل خلية من خلايا جسمي وتتمركز في وجهي وتكاد تنفجر الشعيرات الدموية بما تحمل من دفعات دموهية ملتهبة ، وكنت أشعر أن كل من في الممر الذي يفصل المكتبة عن مخبر علم النفس عيون طالبات وطلاب تتساءل والسنة تتطاول وآذان تنصت .
تمالكت نفسي وتشجعت وقلت :-

لا أظن يا أستاذ دروبي أن موضوعا كهذا يمكن اعطاء الرد عليه بشكل ارتجالي .

فقال : معك حق لا بد أن تعرفي من أنا . وبدأ يتحدث عن نفسه بصدق وتحليل لشخصيته وخلقه وطباعه بتجرد تام كأنه يتحدث عن شخص آخر وكان هذا الصدق يسحرني ، يبهمني ، يجذبني اليه . فقلت باصرار لن أدع أحدا يسأل عنك من اسرتي كما هو العرف لأنني أنا قد اتخذت قراري النهائي وأعترف أنني استمدت منه شجاعة جعلتني أنا الفتاة التي تربت في بيئة محافظة جدا أن أتمرد في لحظة واحدة على الأعراف والتقاليد المعروفة لكنني ذات متسائلة أليس من الأنسب لكلينا أن نأخذ رأي الدكتور عبد الدايم انه صديقك وأستاذي وقد خبرنا نحن الاثنين ولعله الوحيد الذي يستطيع أن يتنبأ هل سيكون زواجنا ناجحا أم لا ؟ فاذا به يتحرر من جديته ويقول مبتسما :-

لقد عرضت الفكرة على صديقي وكان لي أكبر مشجع تعالي اذن نقرأ الفاتحة . وقرأنا الفاتحة في الحرم الجامعي هو وأنا وحدنا ولعله كان أسرع قرار اتخذ في قضية زواج قدر له فيما بعد أن يكون ناجحا كل النجاح .
قبل أن أبلغ عائلتي توجهت فورا الى منزل الصديقة والنسيبة السيدة الفة الادلبي . لأقول لها هذا الخبر فاذا هي تبارك هذه الخطوبة وتهنئني على

جرأتي وتقول لي :- يا أبتني أن الزواج شيء شخصي جدا ويعود قبل كل شيء الى قناعة الزوجين ببعضهما .

في اليوم الثاني اعلنت خطوبة الأستاذ سامي الدروبي على الطالبة الاذاعية احسان بيات وطلب سامي مني أن استقبل من عملي الاذاعي لانفرغ كسكرتيرة له وكان له ماأراد . وقد كان أول عمل مشترك بيننا ترجمة كتاب مذلولن مهانون لدوستوفسكي . كان يمك النص الفرنسي بيده ويملي علي بالعربية فأكتب وهذه الطريقة في العمل توفر الكثير من الوقت وكان قبل ذلك قد ترجم قصة نيتوتشكا لدوستوفسكي أيضا . وأذكر أنني سألته مرة وأنا أرتب المكتبة التي احتوت الكثير من الكتب والدراسات عن دوستوفسكي أرى أن هذا الكاتب قد استولى على اهتمامك أكثر من أي كاتب آخر لماذا هو بالذات . فضحك وقال :-

لأنه من الأدباء الذين لهم نظرة فلسفية أو الذين كانوا أدباء وفلاسفة في آن واحد ، وتابع قوله بدأت بقراءة مؤلفاته بالفرنسية وأنا في السادسة عشرة من عمري فما انقضت بضع سنين حتى أتيت على آثاره كلها أعيد قراءتها بلا كلل أو ملل حتى لقد أخذت أترجم بعض فصوله منذ ذلك الحين . . . استهواني ووجدت نفسي فيه ، وما أظن انني أخطأت التقدير منذ تلك السن ولاشك أن دوستوفسكي يمتاز بأنه معاصر دائما . حتى أننا نرى الآن كثيرا من المذاهب الفكرية والتيارات الأدبية . المختلفة تنتمي اليه وتزعم بنوتها له . وتابع يقول بثقة :كم أتمنى أن انهي الأعمال الكاملة لدوستوفسكي لتضم المكتبة العربية هذه الأعمال حتى يستطيع المثقف العربي أن يقرأ هذا الكاتب الفذ .

وراح يعمل بجدية خارقة على ترجمة دوستوفسكي فكانت تتوالى هذه الأعمال من بين يديه الواحد بعد الآخر ، وفي عام ١٩٦٦ تم التعاقد بين وزارة الثقافة المصرية والدكتور سامي الدروبي على نشر الأعمال الكاملة لدوستوفسكي ولقد كان لهذا القرار هزة في الوسط الثقافي المصري .
وبما أن زوجة الأديب هي العين التي تراه وهي الأذن التي تسمع كل

ما يقول وما يقال عنه لذا احتفظت بهذه المقالات وهاانذا أنقل بعض ما كتب عنه في ذلك الوقت .

في مجلة المصور كتب الأستاذ أحمد بهاء الدين مايلي ؟-

أحب أن أكتب عن مشروع الاعمال الكاملة لدوستوفسكي الذي تصدره وزارة الثقافة فهاقد ظهرت في السوق لعملاق القصة دوستوفسكي ترجمة ممتازة ونهائية فهي أحسن ما قرأت لأن المترجم يملك ناصية اللغتين الفرنسية والعربية وهو يترجم ترجمة علمية مدروسة ، فوق الحس الأدبي والفني الملائم لها تماما تهنتي للأستاذ سامي الدروبي على انجازه هذا العمل وتهنتي الى وزارة الثقافة على حسن اختيارها فيما تطبع

اما الكاتب الأديب بدر الديب فقد كتب بجريدة الجمهورية :-

لا بد أن نعرف حقا قيمة وقدر هذا المجهود الكبير وتيسيرها لنا في العربية في ثمانية عشرة مجلدا . لاشك أن اختصاص الدكتور الدروبي بعلم النفس سهل عليه فهمه العميق لدوستوفسكي ومعرفته بالنفس البشرية . وبصياغة أدبية عربية رفيعة تعتبر مثالا عاليا في الترجمة . فألف شكر للدكتور سامي وجزاه الله خيرا على ماقدم للقارىء العربي من معونة .

اما رجاء النقاش فقد كتب في مجلة الدوحة :-

إن الدكتور سامي الدروبي واحدٌ من أعلام المفكرين الذين آمنوا بدور الترجمة في بناء الحضارة الجديدة وهو وحده مؤسسة كاملة من مؤسسات الترجمة في الوطن العربي وهو الكاتب والمفكر نراه يؤثر أن يعطى جهده الأكبر للترجمة تعبيراً عن فكرته عن حاجة الثقافة المعاصرة الى قدر كبير جدا من الآثار العالمية المنقولة بدقة الى اللغة العربية بلغة تمكنها من أن تكون جزءاً من المكتبة العربية بمستوى حضاريا راقيا .

أما أحمد حمروش فقد كتب في روز اليوسف ...

طوال رحلتي في بلغاريا كنت أعيش مع دوستوفسكي وأذكر سامي الدروبي الذي تحمل جهد الترجمة وقدم هذه الاعمال الادبية بصورة أصيلة وصادقة ولاشك أن تنفيذ نشر الأعمال الادبية العالمية كاملة هي تحول حقيقي في مسار الثقافة العربية بوضعها القمم الانسانية أمام القارىء

العربي . ولسامي الدروبي فضل السبق في هذا المجال فوضع أساسا صحيحا لما تتطلبه الترجمة من جهد ومعاناة فقدم دوستوفسكي في أكمل صورة . تحية تقدير الى استاذ الجامعة الأديب الذي لم تفلح السياسة في ان تبعده عن هوايته .



ديستوفسكي

لأول مرة أعمال ديستوفسكي الكاملة باللغة العربية

● أحب ان اكتب عن هذا « المشروع » الذي ظهر في سوق الكتب بافزاز شديد . ان اني طالتا كتبت مطالبا به ، كتصديق من مشروعات النشر التي يجب ان تركز وزارة الثقافة جهدها عليها ، بدلا من مئات الكتب التي تصدرها الوزارة وليست لها - بصراحة - قيمة تساوي ماينفق فيها من ورق ومال وطباعة وموظفين ...

فقد ظهرت في السوق الجلدات الاولى من مجموعة ترجمة « الأعمال الكاملة » لعملاق القصة ديستوفسكي

عالمته مرارا هو : ان نناقشنا ونطعننا سيطلتا ناقصين حتى تم ترجمة الأعمال الكبرى في التراث الإنساني ترجمة دقيقة كاملة الى اللغة العربية . الطالب او الشاب في روسيا أو فرنسا أو ألمانيا أو



الدروس العالم

أمريكا أو اليابان أو أي بلد متقدم يشب فيجده هذه الأعمال موجودة بلنته ، بصرف النظر عن لغتها الأصلية . وهذا مايجب ان يتوفر لدينا . لا بد ان يجد الشاب عندنا باللغة العربية أعمال النلاسة مثل أرسطو والأفلون وكانت وهيجل وديكارت والأدياب مثل تولستوي

وزيلز وديستوفسكي وشكسبير وكنتور هيجل والفكرين أمثال آدم سميث وريكاردو وماركس . الخ .

ان أي مبلغ يتفق على نقل الفكر الإنساني الأسسكي في كل الفنون والعلوم الى اللغة العربية يعادل انشاء جامعة جديدة بالصنيط .

وكنا نعرف الصنويات التي فاسيتها في شبانيا سواد في اهتمام لفتاتاجنية لانقتها لاط فقرة عن هذه الأعمال أو لقرائها في ملخصات وطبعات ناصفة مشوهة . أو في شراء بعضها في كتبه الإسرائيلية بالمان باعثة - وإذا كان هناك من لم يمنعه هذا الجهد المسمى فلاإفنية انصرفوا عن مواصلة الجهد .

وهذا الاتجاه ، وان بدأ في الاول باعثة التكاليف ، إلا انه مريح ماديا في المدى الطويل . فحين تتقوؤسبات

النشر على ترجمة عمل سيرشينات الستين ترجمة ممتازة ونهائية يقوم بها أحد الخبراء الكفاء ، سوف

يصبح هذه الترجمة هي الترجمة النهائية التي تطبع باللغة العربية مئات الستين . ستصبح مثل كتب التراث العربي التي تطبع ستة بعد ستة لان الطلب عليها متجدد أبدا .

دعوت الى هذا مرارا . وللأسف لم يكن لهذه الدعوة صدى يذكر . ولهذا يهمني ان اسجل فرحتي بعمل

يصدر من مؤسسة الكتاب العربي في هذا الاتجاه : حوالي ٢٠ مجلدا شغلتها قسم لأول مرة الأعمال الكاملة لأديب عظيم ، مثل ديستوفسكي .

انني ساستري هذه الأجزاء . صحيح انني قرأت معظمها ، ولكن ابنتي وابني الطفلين سوف يحتاجان في سن الشباب الى قراءة ديستوفسكي وأنا سعيد انها سيحدثها باللغة العربية . وامتقد ان كثيرين سوف يظفون مثلي .

والترجمة للاستلا سلمي الدروبي سفير مسوريا في مصر . وإذا كان

سلمي الدروبي يعمل الآن سفرا فهو دائما وباستمرار استاذ وأديب ولي مقدمه المثقفين العرب . وقد قرأت له منذ سنوات ترجمات من هسلدا النوع ، هي من احسن ماقرأت ، لانه يطبق ناحية القلقين الرئيسية والعربية على مستوى عال وامتقد . وهو يترجم ترجمة علمية مدروسة ، وهذا هو المطلوب فيمثل هذه الأعمال فوق الحسى الأدبي والفنى الملائم لها تماما ...

نهنتي للاستلا سلمي الدروبي ، وللاستلا محمود العالم الذي كان له فضل بدء هذه الفكرة ، وان كان قد

ترد مؤسسة النشر هذا الاستبوع لشرف على مؤسسة المسرح وارجو ان تكون نتيجة هذه التجربة مشجعة لان بدأ وزارة الثقافة فوردي في التناقد مع كبار المثقفين لترجمة أهم الأعمال الإنسانية طبقا لفكرة مدروسة .

احمد بهاء الدين

جاءة دوستوفسكي

يقامة بدر الديب
الجزيرة ١٩٦٨/١/٢٣

وأشار السيد المترجم في مقدمته أيضا إلى تأثير دوستوفسكي بقصة جوجول « الانتقام الرهيب بعد أن غير المحيط الأوكرائي الذي تتحدث فيه قصة جوجول ونقل قسمته إلى « غابات الفولجا التي يرادها قطاع الطرق ». لقد استرأيت الإشارة وحركتني المقارنة . ولما كنت لم أقرأ قصة جوجول فكم تمنيت لو أن هناك بالعربية « أعمال كاملة » معاملة له تيسر لي مباشرة معايشة هذا التآثر وفهمه . ولو أنك تصورت ما ستبذل للحصول على نص قصة جوجول لقدوت من قيمة هذه الفكرة التي تبنتها دار الكتاب العربي لإصدار الأعمال الكاملة لكبار المؤلفين حتى ولو كان قد سبق نشر بعضها .

وهناك بعد ذلك إشارة ثالثة في مقدمة المترجم للقصة وهي الإشارة إلى تكرار وودود صورة البطء في أشكال مشابهة في أعمال دوستوفسكي التالية . لهذه الرواة التي لها نفس جفرة ملتهبة .. تريد أن تهب الحب الصادق الحي لآلسان جدير بها ثم هي لا تستطيع أن تتحرر من سلاسل خطبتها « قد ظهرت مرة أخرى في « ناستازيا » بطلقة « الأهل » وفي « جنسروشكا » بطلقة « الأخوة كارامازوف » . إن أقراري الذي سيمتلك الأعمال الكاملة بمطالعتها القادمة سوف يكون قادرا على أن يحكم على هذه المشابهة بنفسه وإن يفتني بها قدرته على التلوق والتفقد دون حاجة إلى كلام نظري من النقاد أو تلميحات شائبة من مؤرخي الأدب .

ولكني أريد قبل أن أنتهي أن أسمع صوت دوستوفسكي في القصة وصوت المترجم الناقل له . أسمع صوت السيد السوخي الذي استولى على حرية البطل وحررها القدرة على أطوار الحب الكامل : ... يا ظلي الطوى ، يا راسي اللعبي ، لقد خبات في كاسي عبرة من هيرائك تشبه للأولة ، ولكنك اسفت عليا . ثم سكتت مائة عبرة ! ولكن ما يبني لك أن نألسي على هسله العبرة ، على هذا الذي السماوي . لأنها ستعود اليك ، لتيلة مؤيدا من التقل ، تلك العبرة التي تشبه للأولة ، ستعود اليك في ليلة غير ذات نهاية ، ليلة ملاب مر ، حين توافيك فكرة عسكرة فتأخذ تلكك الآلا .. »

بئنا لن نعرف نبرة الصوت ودلالته كاملة حتى نقرأ القصة كلها بل « وللأعمال » . وكما أرجو أن تتوسع دار النشر التي تبنت الفكرة في مشروعها لنشر « الأعمال الكاملة » للأدياب الكبار العالمين وأن تجد طريقها إلى خلفي أسمار الجلدات ، ولو عن طريق الاشتراك المسبق ، حتى يسر لناقلنا العربي فرسا فريدة جديدة في التلوق والمعرفة .

ما أكثر ما تبينت أنني لا أعرفه عن دوستوفسكي عسبطلق الرواية الروسية « ١٨٢١ - ١٨٨١ » وأنا أقرأ المجلد الثاني من الأعمال الكاملة التي تصدرها دار الكتاب العربي من ترجمة الدكتور سامي المروسي . لقد قرأت له من سنوات بعيدة - كما فعل الكثير ولا شك - أعماله الكبيرة المعروفة ، الجسرية والعتاب والابله والقاسر والأخوة كارامازوف وغيرها . أنني أذكرها كما تجرد إلى لغتي وليس في ترتيبها الزمني . فما التفتك حتى ولو كنت عارفا بها وبخاصيتها قد يسرت لك هذه المعرفة بترتيبها الزمني وما يعنيه هذا الترتيب من مراحل في رحلة الفطيق الذي سلكتها الصالح الكبير وما تكلمه هذه المراحل من تطور في الأسلوب والفكر .

وإذا لم يكن لدينا الكثير من الفرور اللغوي في - على أنفتنا جهونا - والكثير من الإذعان الذي يجعلنا نمتسلك الكثير من إمكاننا المبتصرة السريعة فلا بد أن نعرف حقا قيمة وفكر هذا الجهد الكويش وراه ترجمة الأعمال الكاملة للروائي الكبير والمبيريها لنا في العربي في مجلدات ما أشوقنا ، وأصوجنا إلى أتمالها .

لقد تعرفت في المجلد الثاني على قصة طويلة لدوستوفسكي هي قصة « الجارة » ، التي تعتبر من أعمال شيايه والتي ظهرت . كما تقول هوانس المجلد في مجلة « حويات الوطن » عام ١٨٢٧ ولا بد لي أن أعتذر « للمتخصصين العارلين » بتفاصيل أعمال الروائي عن ناخري وجهلي بمعرفة هذه القصة . بل لقد أعدت مفسرا إلى الاعتذار عن أعجابي بها أن تبرير هسذا الإعجاب إلا كانوا ممن لا يمجون بها . ولكن أسأل : كم منا يعرف « الجارة » وكما منا كان قادرا دون الترجمة الكاملة للأعمال إن يمارس ، وما أنا أكر الكلمة « يمارس » ، مشاكل التلوق والتفقد والتاريخ الأدبي التي يبيريها .

يدكرنا الأستاذ المترجم في مقدمته تاريخ هذه القصة الأدي بان بينسكي ، الناقد الشهير المعاصر لدوستوفسكي لم يدرك شيئا من روح القصة واتهما في نفس عام مسنودها بأنها « لا تشتمل على كلمة واحدة أو عبارة واحدة يمكن أن نتمد بسيطة حية فكل شيء فيها متكلف يرفض مصطنع » . وإذا كان من الممكن أن توصف هذه القصة الرائنة بشيء فهو بأنها حية مفرطة في الحياة كجرح مفتوح وأنها صادقة صاخرة في الصدق كانات الألم . وليس من شك أن التفكير النظري الذي كان يوجه بينسكي إلى الواقعية ذات الاتجاه الاجتماعي وانشغاله المبلى بتكوين أفكار حول قضية هذه الواقعية والدموة لها ، كان هو السبب في معانته مما في هذه القصة من فن أو مما تكلمته من معرفة بالنسب البشرية . فالأفكار النظرية حول الفن ، إذا كانت صيغة متخسبة أو فجة بدائية لا تدمله ولا تسامح في تطسويره بقدر ما تعطله وتصرف النظر عن روائمه . لقد أنشغل نقادنا مدة طويلة بهذه المشكلة وكشف الانشغال بها من كثير حسن الأحكام التي ما ولنا لم نتوصل إلى حساب ختامي حقيقي لها في حياتنا الأدبية . ولست أهاجم بالطبع بهذا الكلام الواقعية ذات الإجهاد الاجتماعي ولكن أوجه النظر إلى معانيها وتطبيقاتها الصليقة الفنية . وترجمة « الأعمال الكاملة » تيسر لكل منسنا فرصة فريدة لمعايشة هذه المشكلة ولمارستها بنفسه في ميادين الأدب العالي .



يرفع في هذه الأيام يمشي
 الإسوات التي تحمل كتابها
 بعد رحمة الله المرحوم تكلم
 ابنه الشيخ أبو الفوارس سنوسيكي
 ابنه والشيخ أبو الفوارس سنوسيكي
 .. ومن الترجمة التي قام بها
 الدكتور سامي السنوسي في أثناء
 وك مساهمة أدبية هامة وعصر
 العربية ... له مدة الفترة بالذات
 به في الأدب العربي ونجاح ترجمته
 مفسدة بديعة ناضجة .. في
 تحقيقها تنويه لأمثال أدبية وكثيرة
 كبيرة بشدة القيمة والبرق ... في
 قلب هذا الجيل المتأمله على رجوع
 الدكتور سامي السنوسي لتسرع
 فتكون جديدا للترجمة وتفيد ال
 الأثر في الأدب العربي للترجمة
 التي ألتها الغربية .. عندما كان كبير
 المصنفين والمترجمين الذين يتحلون
 بكثرة الترجمة .. والشيخ سنوسيكي
 يفتخر بالترجمة التي ترجمها
 الذاتية، والإنجليزيين والفرنسيين
 الفرنسي لا ريب .. وأملا فرح السهر
 .. ومعدوم حوض مترجم السهر
 الأول .. في قاصده ليجته ... لقد
 صلا ثانياً في تلك الفترة الأدبية
 التي كانت الترجمة التي لم يجد
 في الأدب الإسلامي .. وتحت به
 ومكتوبون يرونه في حوزهم ..
 وينتقدون العربية والنقل التي
 يحرمون منها في نفس الوقت ...
 يمشوا على الوطن العربي الآن في
 مسهله الأدبية الضيقة من موجات
 الترجمة الأجنبية .. ولا يمكن
 هذه الترجمة الحديثة التي أتمنى
 فيها صفوة كثير من طلائع بيوت
 من أعمال مشرفة .. لا سلة لها
 بالأساس الجاهل ولا سلة لها بالقله
 كان هذا .. ينبغي طابع يورث
 الترجمة الأجنبية الحديثة .. لأن
 المنفعة الثقافية التي ترجعها العربية
 الثقافية هي ظاهرة في الصياغة العربية
 والفرنسي الأوسع في الصياغة العربية
 ابن رحمتنا سامي السنوسي تقديدا
 من ذلك كله وصيفا إلى ذلك العصر
 القضي الواسع للترجمة العربية ..
 ابن رحمتنا العربية .. والجمعة
 صنع له مساهمة عربية في غلة
 الأمانة المسهولة .. ومن حيث كانت
 هذه الترجمة كسبا .. لا شك هي
 للثقافة العربية ..
 والذين يرون أسواقهم اليوم
 بالاحتجاج إلى دارا رسمة الشعر
 من الأمانة المترجمة مقدم الامان
 أمانة السنوسيكي التي ترجمت
 مؤرمه .. ولا حين مساهمة .. مساهمة
 كثر هذه الأمانة لتسها .. وكان
 أسماها الفاعل القومية .. تقدم في
 أسفاها محيل الامان الأمانة لتسها
 لوبين .. والشيخ أبو الفوارس سنوسي
 سني وقتها ولا كما .. ولكنه نزل
 في بروان المترجم .. والشيخ
 الرحيمية ساميا التي ترجمت
 * بروين ليسان .. ولكن كتاب
 هذه الواوالم والشيخ سامي حجاب
 تلمسها ويصلها في الامان التي
 باسم أوسن ريبين ... اننا نتمنى
 يجعلها من طرفة الأمانة للفقير

بقلم: رجاء النفاش

الأعمال الكاملة لـدكتور سامي السنوسي

بين سنوسيكي ويذكر أو ما لي
 ذلك .. ابن رحمة السنوسيكي
 لا تفك يا أي حال معنا نودع الترجمة
 ويذكر .. أو لترجمة النواصير
 العلمية الأخرى .. على ما كان
 هذه الترتيبات التي نرجعها
 لها حاجتنا إلى غير .. وتقدم
 وجدت حاجتنا إلى ابن سنوسيكي
 من سبغنا الخاتمة بها وترجمه
 ترجمة إلى الأدب العربي ما يلي به
 بنسب الكفاءة والامانة ..
 الافاضة الشعر التي نشرها
 الأمانة العلمية الأصيلة السيد
 لرحمة السنوسيكي هي ما يمكن
 لشمس فيقه العرفه والتهذيب ...
 تاليفه يتول الأمانة سنوسيكي
 جبريوي .. ولا داعي لفرجة ..
 والذات من مثل هذه الفترة حمل
 طه من النقل التي يطرحها السنوسيكي
 المريرجس من اننا تلمسها
 كسرة منها في بيتي من
 الناس إلى ما وكثرا بحجة ..
 لا يتقن من ق الرائي .. والصحیح
 واليك نتاج هذا حق أو ترف
 لولا ان يعرف ذلك .. حتى او
 فرنا سنوسيكي كاتب ومرصهو
 ابن سنوسيكي فاما .. الدلالة
 التي أول .. وتودع حوز مناقيات
 بعد فراهه ورسمه مادام هذا النشان
 يحتل في ادب الامان مكانة عالية، انما
 الكتب العربية يجب ان تكون كنية
 ممدودة حرة .. تجويز انما
 من ابداع الفكر والاشي الفروفي ..
 المانع كل شيء .. من المبرور ان تترك
 كل شيء .. من المبرور ان تترك
 ولده .. اما ان تترك احد الكتاب
 المانع الكثير دمجيا وتلمس بهذا
 الرائي لا تترك هذا الكتاب
 وعنده حرة .. مثل هذا الوقت
 وطرف .. اننا بحاجة إلى ابن سنوسيكي
 أول .. وعند ذلك .. من الرائي
 وحيل وتوافق .. الفرية
 وقفا .. ومنه الكثير من الأمانة
 العالوية وسلمنا يورسها في
 الفكرين من النقل العربي
 منادروا ما يرون وسعوا بما
 يرتدون .. يجب ان تلمس نواصير
 الأمانة العربية لكي ما يتقن قديمه
 من الأمانة الجاهل المصنفين
 في الأمانة والعلم والمفاهيم
 ذلك ان يتقدوا وينتقدوا ويتقدروا
 ما يشهدون ..
 الفقيه الثالثة التي نشرها هذه
 الاجرة العلمية هي فقه السهر
 وما إلى سنوسيكي نفسه .. قبل
 هذا ما عاينوه في هذه الاسواق
 من ابن سنوسيكي كما يجب
 .. ان هذا الكفاءاتجارية هي ادب
 سنوسيكي كان محتلا في مرحلة من
 مراحل الترتيب القدي والكفري
 من مرحلة من ربا الفكر الانساني
 وما إلى سنوسيكي نفسه .. قبل
 أزا السنوسيكي السبغة ان وفق
 الانشورجيات التي اوزان في الاب
 الانساني التي نشرها من لفظة
 لبطيفة .. مثل ادب كتفا وكفوتسوي
 سنوسيكي وفهم من النشورجيات
 العلمية .. وكان من الأدب والآداب
 والاب .. وكان الجمع الانساني
 وبما سبغنا لادرس تودع الترجمة
 الترو السارية .. ومع ذلك
 الانساني الذي يبذل فيه الانسان
 سيورا .. انما يكون .. يجب ان
 رايين .. بان هذا الانسان
 يتقن تلك الشروفا الجميلة ...
 ترو التي والآداب التي من غيره
 اذا كان الذي يبذل الفرح الي القالب
 من حق بهذا الفرح من هذا
 الانسان الذي يبذل ويتعامل
 والي فترة أساسية في الجمع
 الانساني قبل ثوره من النشورجيات
 ولكن النشورجيات والآداب
 لاتب من العلوم .. فكما انشاء
 لسبح الراهب الصدوق نتاجها
 الفقه والفتوى وحلقة المتدين
 والرافد والقصيدة والاشعراف
 والاصحاح للجمع الانساني والاصحاح

والابن .. وكان الجمع الانساني
 وبما سبغنا لادرس تودع الترجمة
 الترو السارية .. ومع ذلك
 الانساني الذي يبذل فيه الانسان
 سيورا .. انما يكون .. يجب ان
 رايين .. بان هذا الانسان
 يتقن تلك الشروفا الجميلة ...
 ترو التي والآداب التي من غيره
 اذا كان الذي يبذل الفرح الي القالب
 من حق بهذا الفرح من هذا
 الانسان الذي يبذل ويتعامل
 والي فترة أساسية في الجمع
 الانساني قبل ثوره من النشورجيات
 ولكن النشورجيات والآداب
 لاتب من العلوم .. فكما انشاء
 لسبح الراهب الصدوق نتاجها
 الفقه والفتوى وحلقة المتدين
 والرافد والقصيدة والاشعراف
 والاصحاح للجمع الانساني والاصحاح

والابن .. وكان الجمع الانساني
 وبما سبغنا لادرس تودع الترجمة
 الترو السارية .. ومع ذلك
 الانساني الذي يبذل فيه الانسان
 سيورا .. انما يكون .. يجب ان
 رايين .. بان هذا الانسان
 يتقن تلك الشروفا الجميلة ...
 ترو التي والآداب التي من غيره
 اذا كان الذي يبذل الفرح الي القالب
 من حق بهذا الفرح من هذا
 الانسان الذي يبذل ويتعامل
 والي فترة أساسية في الجمع
 الانساني قبل ثوره من النشورجيات
 ولكن النشورجيات والآداب
 لاتب من العلوم .. فكما انشاء
 لسبح الراهب الصدوق نتاجها
 الفقه والفتوى وحلقة المتدين
 والرافد والقصيدة والاشعراف
 والاصحاح للجمع الانساني والاصحاح



سنوسيكي سامي السنوسي

الانساني، لانها كلها اشياء علمية
 لا يمكن بلوغها ان يتم بها أو يتحول
 النشي .. وأعمال سنوسيكي في
 نه من ضم الفرح في العالم
 لا في روسيا وجدها .. لا يوجد
 اما مسخرة من الأمانة الأول ول
 كجوازيها لكي اعمال السنوسيكي
 سبغنا ذلك هذه الامن السنوسيكي
 انشورية او في الشركانية
 والرو من الدين فاطمينا اب
 السنوسيكي بنفس الوقت في أيام
 الجدي الفكر الانساني .. مادوا
 أمة .. وتروا رواياته التي جسام
 الحاشين ما بين 1946 و 1948
 واما روايات التي اخبره كشمسية
 انشورية اي فدرا الرابح .. فانا
 كان من جد النشورجيات التي بظير
 البرين متفق تادد في ان يقدم
 هذه الامان الثالثة لسبح الامان
 الفقيه .. فلهذا ولا شك نودع
 بالنشورجيات التي كانت من ايامه
 التي سنوسيكي التي ابداه العربي
 من حقنا ان نعد هذه المسطرة
 ونصنع بها .. ولا مجال امام هذه
 الخطرة في الاطلاق لوده الترتيبات
 الخاصة المتملة بين الأدب والآداب

●● عندما أسافر الى الخارج اعمل عددا
الكتيبات العربية التي لم يتمسح وقتي لقراءتها
القاهرة ٠٠٠ وتتحول الكتب في لحظات
ال فراغ الى أصدقاء، أوفياء ..

وطوال رحلتي الأخيرة الى بلغاريا ، كنت
أعيش مع دوستويفسكي في رواياته الثلاث
التي ظهرت عن دار الكاتب العربي ٠٠ وأذكر
سامي الدروبي الذي تحمل جهد الترجمة وقد
هذه الأعمال الأدبية بصورة أصيلة صادقة
كلما حملني دوستويفسكي الى عالمه
وشخصياته ، آمنت ان الفكرة التي اعتنقها
معمود العالم انهاء رياسته لدار الكاتب ،
ونفذها سامي الدروبي ، بتقديم الأهمال
الأدبية العالمية كاملة ، هي تحول حقيقي هي
مسار الثقافة العربية .

انما تضم القيم الانسانية امام القارىء العربي
الذي لا يتسع له ظروف حياته احادة اللغات
الأجنبية ٠٠ وهؤلاء هم الذين الأغلب العظمى
٠٠ جواهر الأمة العربية ٠٠٠ وبذلك يرتفع
المستوى الثقافي ، ويرتبط الناس بالخصاره
الإدبية عن طريق الكتاب

سامي الدروبي نال فضل السبق والريادة
في هذا المجال ووضع أساسا صحيحا لما
تطلبه الترجمة من جهد ومعاونة ومقدرة
وقدم دوستويفسكي في اكمل صورة
تجبة الى أستاذ الجامعة الاديب الذي لم تفلح
السياسة في ان تبعده عن هوايته ٠٠٠ تعال
الى سامي الدروبي الذي جعلني أشكره في
صوفيا بصوت عال في غرفة خالية !
وشكرا لمعمود العالم الذي جعل من دار
الكاتب منبرا للتقافة بعد ان اجتاحتها العاصم
التلاوة

وقد دعينا في احدى الأمسيات الى العشاء عند السفير السوفيتي فينوغرادوف فقال لي مندهشا . . عندما قيل لي أن السفير السوري الدكتور دروبي أنهى ترجمة ثمانية عشر مجلدا لدوستوفسكي برغم أعبائه كسفير عربي بالقاهرة قلت سأسألك كيف وجد الوقت ؟ فأجبت :- بيساطة يا سيادة السفير ان زوجي موزع وقته بدقة فائقة بين عمله الرسمي بالسفارة والبيت . وان أديبكم هذا هو الضرة أي «الزوجة الثانية» التي تأخذ وقته مني في البيت . . . فضحك مقهقها وهو ينظر الى تعابير وجهي الحاقدا على «الضرة» المستحوذة على زوجي» . وبعد أقل من شهر زارنا السفير السوفيتي مهنا بعيد رأس السنة وحاملا لنا هدية ما أن فتحتها حتى وجدت صورة زيتية كبيرة لدوستوفسكي فقال مازحا :- «أرجو من السيدة الدروبي أن لاترزعجها هديتي المقصودة صورة الضرة» . وانفجرنا ضاحكين مالي أرى نفسي مسترسلة مع دوستوفسكي ولأتركه الآن لاتحدث عن ذكريات أخرى .

اعذروني اذا مر الآن بذاكرتي فترة من حياتنا أمضيها في البرازيل كانت تلك أقسى أيام عمرنا وصلنا الى البرازيل في منتصف شهر تموز عام ١٩٦١ . وكان سامي قد عين مستشارا ثقافيا في سفارة الجمهورية العربية المتحدة أيام الوحدة فرحبت الجالية الحمصية أحر ترحاب بابن بلدها الدروبي ولا أكتمكم أن العصبية الحمصية انتقلت معهم الى المهجر وبدأ يعمل سامي لربط أفراد الجالية بالوطن الأم اكثر فأكثر خاصة كان قد سبقنا ومهد لذلك الشاعر العظيم السفير عمر أبو ريشة فتابعنا خطه . وكانت سياسة الرئيس عبد الناصر رئيس الدولة آنذاك الاهتمام الكبير بالجالية وبدول امريكا اللاتينية

أقيم في سان باولو معرض البنال فدعانا رئيس النادي الحمصي السيد ابراهيم خوري الى غداء في داره . . . لن انسى حين دخلنا الى البهو العظيم منظر جدته المسنة جدا التي لاشك أنها تجاوزت التسعين من العمر جالسة في صدر البهو فاقتربنا منها نحيها وما أن سمعت لفظ اسم الدروبي حين عرفنا الاستاذ الخوري حتى قالت :- «يا ولدي لولا بيت الدروبي ما كنا



في منزل السفير السوفيتي فيتوهرادوف

نحن على قيد الحياة ، وتابعت تقول وهي سارحة في بصرها . . . أيام «طوشة النصارى» وهذا تعبير عن فتنة ١٨٦٠ حدثني والدي أن جارنا مختار الدروبي فتح بيته وأوانا به كل تلك الفترة العصبية وهذا البيت تحت السياط في باب الدريب ياترى من يكون بالنسبة لك مختار الدروبي ؟ قال سامي :- «انه جدي وفي هذا البيت رأت عيناى النور فضمته الى صدرها وترحمت على الأجداد . كان منظر السيدة الفاضلة الوقور وهي تضمه الى صدرها ودموع تنهمر من عينيها مؤثرا جدا على كل الحفل الحمصي . قلت كانت أيا منا في البرازيل حزينة اذ حدث في صباح الثامن والعشرين من أيلول الانفصال . حضرت أفراد الجالية السورية الى السفارة متسائلة مستنكره صاحبه في مظاهرة كبيرة . . . النساء تبكي . . . والكل يتساءل ماهذا الذي نسمع ؟ ما معنى الانفصال ؟ ولصالح من هذا العمل ؟ كان البرازيليون ينادوننا قبل قيام دولة الوحدة «تركوا» ومنذ قيام الوحدة أصبحنا بنظرهم أكبر شأنا أصبحنا ابناء الجمهورية العربية المتحدة أصبحنا عربا .

خطب سامي بالجالية وأوضح ان الانفصال خيانة وأن الوحدة هي أمنية الجماهير وأمن المصير وأذكر مما قال . . . اذا كان هناك أخطاء بالوحدة فالخطأ الأكبر الانفصال إذا ظهر في اليد دمل لانتبر اليد وهذا عمل أقل ما يوصف به أنه خيانة مدبرة . . جاء بعد أيام موفد من الرئيس عبد الناصر يطلب من سامي أن يعين سفيرا للجمهورية العربية المتحدة في البرازيل ولكنه اعتذر لأن مكانه لم يعد في البرازيل بل يجب أن يعود لدمشق للعمل من أجل إعادة الوحدة . قبل العودة لدمشق في يوم اشتد قيظه بمدينة الريو دو جينيرو دعانا أحد افراد الجالية العربية السيد محي الدين الجمل الى جبل سانتا تاريزا لنستمع ببرودة الجو هناك وفعلا أمضينا يوما جميلا هاربين من حر الريو وفيما نحن نتجول في هذا الجبل الجميل نفاجئ بعاصفة فتنهمر الأمطار بغزارة علينا مما دعانا أن نلتجئ الى مدخل بيت في رأس الجبل نحتمي من هذا المطر الغزير . كانت ابنتي ليلى تحمل مسجلا فأدارته على شريط لفيروز وهي تغني «لاقونا يا أهل الدار فاذا بالنافذة تفتح وبصوت عال وبلهجة حمصية تصيح أهلا وسهلا وياهلا بالضيوف فقد كان صاحب البيت

السيد عيسى الحلو من محافظة حمص فرحب بنا واستقبلنا تلك الامسية
ما أجملها من مصادفة .

في حفل تكريم الجالية السورية لسامي الدروبي .



في الخامس من أيار ١٩٦٢ وصلنا دمشق وبدأ العمل الجدي والسري جدا الذي انتهى بثورة الثامن من آذار . أجل عدنا لدمشق وعاد سامي أستاذا بالجامعة السورية وكانت فترة صعبة وكان أقساها السابع من آذار حين دعي مع الدكتور بديع الكسم للتحديث في بيت طلاب المغرب العربي . فانتقل المهرجان الخطابي من ثقافي الى مهرجان سياسي . وكان الهجوم على الانفصال والالاحاح بضرورة اعادة الوحدة وكان الجمهور متجاوبا ومرحبا ومتحمسا ومسقطا الانفصاليين وعدنا للدار فقال لي سامي هيثي الشنطة لاتنسي أن تضعي ادويتي وألبسة صوفية خوفا من البرد في سجن المزة وتابع حديثه بجدية واياك أن تتدخلسي من قريب أو بعيد في حالة اعتقال وبعد ساعة طلبه شخص لم أعرفه بالهاتف فارتدى ثيابه وذهب وغاب حتى منتصف الليل ، عاد بعدها مرهقا . فتناول دواء منوما ونام نوما عميقا . وفي الرابعة والنصف استيقظنا على صوت هدير الدبابات فخرجت الى الشرفة المطللة على شارع أبو رمانة وبدأت تظهر ملامح الثورة وكنت أتردد في أن أوقظه ليشاركني الفرحة بالحدث العظيم بالرد على الانفصال أم أتركه ينام وقد رأيتة وهو يتطلع الحبوب المنومة قبل ساعات قليلة لكنه استيقظ لوحده وضع دلة كبيرة من القهوة وجلس صامتا ساهما مفكرا وكنت لا أحب أن أعكر عليه تفكيره الصامت لانني أو من أنه حق مقدس بالنسبة له لم أجري على طرح أي سؤال وجلست أمامه وأنا أترقبه بمنتهى الانفعال وإذا به يخرج عن صمته وتأمله العميق ليخبرني أن نصوص كتاب مياه الربيع لترجينف علي» أن أسلمها الى دار اليقظة . وان كتاب علم النفس التجريبي علي «ان أصلح ملازمه في مطبعة الجامعة . حينها لم استطع أن أتمالك نفسي وقد أنكرت عليه أن ينفصل عن الأحداث ويحدثني الآن عن أمور الأدب والكتب فقلت بانفعال لم يعهده بي أهذا وقته يا سامي ؟ ولم أتمم كلامي حين ربت على كتفي بحنو ولم يجب وكان ينظر الي نظرة ذات معنى لم أفهمها واذا بنشيد الله أكبر وبصوت المذيع يعلن نجاح الثورة . فانفرجت أساريه وعندها ضحك على انفعالي وقال «لقد كنت قلقا عليك وعلى الأولاد يا أحسان في حالة عدم نجاح الثورة ، كان يجب علي أن الفت نظرك لهذه

الأمور بطريقة غير مباشرة وقبل ان ينهي حديثه سمعنا قرعا على الباب ترى من الطارق في مثل هذه الساعة المبكرة وكانت حقا مفاجأة ان ترى السفير اليوغسلافي هو الطارق واعتذر عن الزيارة المبكرة وقال أحببت أن أكون أول المهنيين لكم بنجاح الثورة لأنني أعرف كم حزبكم وحدوي . فأجابه سامي حقا انك سفير ودبلوماسي ممتاز واذا بالباب يقرع مرة ثانية وحضر شخص ليستدعي سامي ويصحبه ولم أره بعد ذلك حتى سمعت من المذيع تشكيل الوزارة وتسميته وزيرا للتربية

كان موقع دارنا في أبي رمانة . استراتيجي اي في وسط البلد يسهل على الرفاق الاجتماع فيه . وكنت اهتم بالامور السياسية فأجتمع معهم . ولن اتحدث عن هذه الفترة السياسية من حياته لأن زوجي سجلها في مذكراته وستطيع باذن الله قريبا . ولكنني سأكتب عن لمحات من هذه الجلسات الحلوة . مثلا . . . زارنا في ليلة الاستاذ صدقي اسماعيل رحمه الله قال :- «قبل زواجكم كان منزل سامي أيضا مفتوحاً لنا دائما وكان أن اختبأنا به أنا وعبد البر عيون السود ابان حكم الشيشكلي حيث كنا ملاحقين ومرة سمعنا فتح الباب واذا بالداخل جلال فاروق الشريف يحمل لنا كيبول عنب وكيس آخر به بندورة وخيار . قلنا والله الرفاق آخذين بالهم منا . وما أن وضع الكيس حتى وجدنا أن العنب للتمويه وتحت العنب هناك قنابل كانت توضع من أجل استعمالها حين الحاجة . ما أن خرج جلال فاروق الشريف حتى بدأنا عبد البر وأنا نلهو بهذه الكرات وندحرجها في أرض الغرفة وحين فتح الباب سامي ودخل ورآنا ونحن نلهو وندحرج الكرة كالأطفال صرخ صوتا أعادنا الى رشدنا ونبهنا لخطورة فعلتنا وأخذنا نضحك جميعا .

أمس دعيت لحفلة زفاف ابنة صديق عزيز علينا الدكتور صلاح عمر باشا حين دخلت الى بهو نادي الشرق لا ادري كيف نسيت نفسي ونسيت العرس بتاريخ ١٩٨٠ واذا بالذاكرة تسرح في هذا البهو في أواخر الخمسينات حين دعانا وزير الخارجية السوري على العشاء على شرف وزير الخارجية السوفيتي شوبيلوف . . . وكان كذلك مدعو الى هذا العشاء الدكتور شوكت القنوتاي والدكتور صلاح عمر باشا . قبل أن نذهب للعشاء كان سامي يقرأ

احدى الصحف واذا به يقول بانفعال تصوري هل هذا وقته ، وأشار الى عنوان في الصحيفة التي بين يديه اقرأي ماذا كتب هنا . خطر الاتجار مع الاتحاد السوفييتي وما أن دخلنا النادي وفي هذا البهو بالذات ، رأينا الصحفي كاتب تلك المقالة فاتجه سامي نحوه وقال له معاتباً ومبينا أخطاء كتابة مثل هذا المقال في مثل هذا الظرف الذي تأخذ السلاح من المعسكر الشرقي وفي أول زيارة لوزير الخارجية السوفييتي لنا . لقد صعقت بجواب ذلك الصحفي اذ ردّ :- أستاذ سامي أرجو أن لا تعمل مثالية وبعثية بصراحة وصلتني هذه المعلومات من السفارة الامريكية مع شيك فهل تريدني أن لا أنشره ؟ هكذا قالها والله بكل وقاحة دون أن يطرف له جفن . . .

اعذروني فالذكريات تتزاحم ولا أدري أيها تخرج من الذاكرة قبل الأخرى ولاشك ليس لها ضابط تاريخي . فمثلا اليوم هو الاثنين ومساء كل اثنين نجتمع شلة من الصديقات ومن المصادفة أنني اليوم جلست مع الصديقة سمية حفار زوجة المرحوم الدكتور عدنان الفرا فتذكرت حرب السويس وكيف قرر الحزب تحويل جريدته الاسبوعية البعث لجريدة يومية لتتابع الاحداث وكان المسؤو ولم عن هذا ثلاثة أشخاص الدكتور عدنان الفرا والأستاذ علي الأشقر والدكتور سامي الدروبي مازلت اذكر كيف كان سامي يخرج في الثامنة صباحا الى الجامعة ويعود ليتناول الغداء ويرتاح قليلا وقد لا يعود حيث يذهب الى الاذاعة ليستمع من المذيع الممتاز هناك الى الأخبار العالمية يكتب مع الأستاذ نجاة قصاب حسن بعض التعليقات على الاحداث . وكان يترجم ماسمع من أخبار أي يقوم بدور وكالات الانباء في يومنا هذا ليعود الى الجريدة ويعطي الرفاق تلك المعلومات فيتوزعون المقالات وهذا الثلاثي كان يشرف على الجريدة فلا يعودون الى دورهم الأوال والجريدة في يدهم . كان سامي يعود الى الدار والتعب باد على وجهه والنعاس في عينيه كنت أهيء له العشاء مع طشت ماء ساخن وملح لتمتص هذه المياه الساخنة من القدمين تعب ساعات عديدة من الوقوف .

تساءلت بيني وبين نفسي وأنا أحادث حرم الدكتور عدنان الفرا ترى هل يمكن أن يكون الجهد الكبير والعمل المستمر بدون رحمة هو العامل

المشترك بين زوجي وزوجها لذا كانت اعمالهما كثيرة وأعمارهما
قصيرة!؟ ...

وهنا أتذكر حين رجعنا من الولايات المتحدة بعد ان رفض الأطباء اجراء
العملية لسامي قال :- انني مسؤول عن هذا كله . انني مسؤول عنه
بان دفاعي الوحشي في القيام بأعمال فيها من شدة الاجهاد وقوة الانفعال
ما يرضي الأصحاء فكيف بمن ركبتهم علة العلل ولذا سأطلب احالتي على
التقاعد .

اليوم هو العيد القومي ليوغسلافيا ولذا ذكر ياتي عن يوغسلافيا تسبق ما عداها تريد أن تخرج الى النور لقد ذهبت الى أيام الوحدة حين دعي وفد ثقافي من الجمهورية العربية المتحدة اربعة أدباء الاستاذ عبد المنعم الصاوي والاستاذ نجيب محفوظ من الاقليم الجنوبي والدكتور عبد الله عبد الدائم والدكتور سامي الدروبي عن الأقليم الشمالي . وحين عاد سامي كان معه مجموعة كتب وقد اختار منها كتابين لكاتب كان يجهله فاكشفه في تلك الزيارة . انه الكاتب الفذ الأديب ايفو أندريتش ، قال :- «كم أنا مسرور باكتشافي لهذا الأديب وسوف أترجم له هذين الكتابين وفعلا بدأ بالعمل وكان الكتاب الأول جسر على نهر درينا اشترت ترجمة هذا الكتاب وزارة الثقافة في الاقليم الجنوبي وطبعت هذه القصة وبعد مايقرب من ست أشهر من تاريخ نشره عاد سامي الى الدار سعيدا ذات يوم فقال تصوري ان كاتب كتاب جسر على نهر درينا قد منح جائزة نوبل فانتقلت الفرحه الي ونهضت وقبلته باعتزاز وقلت له كم أنا فخورة بحسن اختيارك وغيرتك حيث تأبى أن تقرأ وتستمتع باي كتاب رائع لتحفظ به لنفسك انك لا تتمتع وترتاح حقاً ما لم ترجمه الى العربية وتمتع به قراء العربية ليستمتعوا كما استمتعت ولقد كتب بهذا الموضوع الاستاذ فايز قنديل في جريدة البعث مايلي :-

في الثلث الأول من هذا القرن العشرين نقل أحمد لطفي السيد باشا الى اللغة العربية جمهورية افلاطون . وكتاب الكون والفساد لأرسطو ، فامتدحه شاعر النيل حافظ ابراهيم بقول :

اني	قرأت	كتابه	بين	الخشوع	والاعتبار
فاذا	المرجّم	مائل	جنب	المؤلف	في اطار
وعليهما	نور	يفيض	من	المهابة	والوقار

ولو أدرك حافظ ابراهيم الدكتور سامي الدروبي ، وقرأ تعريبه الملهم لرواية الكاتب اليوغسلافي الشهير «ايفو اندريتش» الموسومة «جسر على نهر درينا» اذن لقال فيه ما قاله في أحمد لطفي السيد

لقد تحدث الكتاب والنقاد خلال الشهر الماضي عن ايفو اندريتش وجسره الذي كان معبرا لتاريخ وطنه من خلال تاريخ مدينة فوفوا مقدارا عظيما من حق كاتب يوغسلافيا العالمي ، ولكنهم نسوا مسألة مهمة للغاية هي أن الذي عرفهم بايفو اندريتش ، كما انطقه بالعربية ، هو استاذ الفلسفة والأديب اللامع السفير حاليا في وزارة الخارجية أعني الدكتور سامي الدروبي بطبيعة الحال الدكتور سامي الدروبي ليس جنديا مجهولا في الأدب أو الفلسفة أو السياسة ، او النضال ، ولعله لا يابه كثيرا بأن يعرف الناس أنه هو الذي أنطق كاتب يوغسلافيا بالعربية ، بمقدار ما يابه بأن يعرف المثقف العربي وجمهرة القراء العرب ، تلك الرواية الخالدة والمسألة طبعا ليست تثبيت حق أدبي لصاحب حق ، بمقدار ماهي تسجيل تلك الحقيقة التي تؤكد أن سامي الدروبي استخدم الجسر على نهر الدرينا ، ليكون جسرا يعبر عليه المثقف العربي الى أدب رفيع غير معروف لدينا ، وربما لدى العالم أيضا ونعني الأدب اليوغسلافي إذ أن هذا المثقف العربي أدرك الآن ، أن في العالم ادابا أخرى غير الادب الفرنسي أو الانجليزي او الالمانى أو الروسي ، وهي من أشهر الاداب حتى الآن فيما نعلم وأذكر حين عين زوجي سفيرا في يوغسلافيا وقمت بزيارة المجاملة لحرم الرئيس تيتو . اصطحبت معي كتابين جسر على نهر درينا وأخبار مدينة ترافنك لايفواندرتش ترجمة زوجي قلت لها :-

- ارجو من حرم السيد الرئيس أن تقبل مني هدية رمزية عزيزة علي جدا هذين الكتابين اللذين ترجمهما زوجي من الادب اليوغسلافي ، مع علمي بأنك لن تقرأيهما لعدم معرفتك باللغة العربية . فضمتني الى صدرها وقبلتني وقالت . قد لا اقرأهما أنا ومع هذا أشكرك جدا على هديتك الثمينة جدا لانه من دواعي سرورنا الرئيس وأنا أن تضم مكتبة قصر الضيافة في بلغراد كتبا مترجمة من أدبنا الى اللغة العربية وكثيرا ما نستقبل رؤساء دول وضيوف عرب أصدقاء ويسعدنا أن يقرؤا أدبنا بلغتهم . وحين زار سامي الرئيس تيتو مودعا قلبه الرئيس تيتو وساما قال له : انني أقلدك هذا الوسام لاكسفير فحسب بل ككاتب وأديب . وبقي سامي لآخر عمره يعتز أنه كاتب وأديب

أكثر من صفته كسفير .

حين دعينا الى الاتحاد السوفيتي وسئلنا عما يرغب أن يزور هناك قال :
حبذا لو نزور قرية تولستوي وكان يترجم له في تلك الفترة كتاب لحن
كرويتزر . وفعلا قمنا بالزيارة ولن أنسى ملاحظة المستشرق الأستاذ فلاديمير
كراسنوفسكي الذي كنا برفقته في تلك الرحلة حين قال كأن الدكتور سامي
بزيارته هذه يريد أن يعايش تولستوي ليفهم منها عميقا روح الكاتب الذي
يترجم له ، في طريق العودة لموسكو جلسنا نتناول وجبة خفيفة على ضفة
نهر صغير وإذا بقارب يجذب به رجل مسن ذو لحية بيضاء فحيانا وسألنا اذا
كنا نرغب في رحلة بقاربه وفعلا قفزنا الى القارب وجلسنا قربه وهو يجذب
كان منظره وكأنه هارب من التاريخ من احدى كتب تولستوي في نظرة عينيه
عمق غريب سأله أحدنا ما رأيك في خروتشوف . . . فنظر الى ثيابه . . .
والى قاربه . . . والى المجذاف الذي بين يديه وصمت برهة ليرد بعدها :-
هولا يسأل عني وأنا لا أسأل عنه . . . حقا كان هذا الرجل هاربا من احدى
كتب تولستوي .

كما أنني لا استطيع ان أنسى الأندهاش الذي ارتسم على وجه المستشرق
كراسنوفسكي حين زرنا مدينة لينغراد وكان سامي يصبر على تسميتها بطرسبرج
فكان حين نسير بشوارعها يكاد يقودنا وكأنه يعرف معالمها هنا الجسر الذي
ذكره دوستوفسكي في قصته الليالي البيضاء . وفي احدى الشوارع وقف
سامي قليلا وقال :- أظن أن قصة الجريمة والعقاب حدثت في هذا المنزل
أو في هذا المنزل وفي هذا الركن اجتمعت هيلين الى الأمير .

وعن قصة مذلون مهانون . . . لن أنسى منظر الاندهاش والاعجاب
اللذين ارتسما على وجه مرافقنا الاستاذ المستشرق فلاديمير كراسنوفسكي
فقال :- سيدتي ألم أقل لك أن زوجك لا يقرأ ويترجم فحسب بل يعايش
المؤلف . واكمل نعم إنه يعايشه فعلا . لا أدري لماذا . تطفو ثانية ذكرى
دوستوفسكي .

سيرة الصباغ

سامي الدروبي ٠٠ على نهر الدرينا

فايز قنديل

في الثلث الأول من هذا القرن العشرين ، نقل احمد لطفي السيد
إبراهيم إلى اللغة العربية جمهورية افلاطون ، وكذب باكون والفساد
لارسطو ، فامتدحه شاعر النيل حافظ ابراهيم بقوله :

انسي قسرات كتابه بين المختنوع والاعتبار
فإذا المترجم مائل جنب المؤلف في اطار
وعليهما نور يفيض من المهابة والوقار

ولو ادرك حافظ ابراهيم الدكتور سامي الدروبي ، وفرأ معربيه
الملمح لرواية الكاتب اليوغوسلافي الشهير « ايفو اندريتش » الموسومة
« جسر على نهر درينا » اذن لقال فيسه ما قاله في احمد لطفي السيد ..
لقد تحدثت الكتاب وانتقاد خلال الشهر الماضي عن ايفو اندريتش،
رجسه الذي كان ميمرا لتاريخ وطنه من خلال تاريخ مدينة، مخلوقا ومقدارا
عظيما من حق كاتب يوغوسلافيا المعاني ، ولكنتم ندوا بحملة مهمة للغاية
هي ان انادي عرهم بايفو اندريتش ، كما انطقه بالعربية ، هو استناد
الفلسفة ، والادب الالامع السمر حاليا في زيارة الفخرية، اعني الدكتور
سامي الدروبي .. طبيعة الحال الدكتور سامي الدروبي ليس جنديا
مجهولا في الادب او الفلسفة او السياسة ، او النضال ، واهله لا يلمد
كثيرا ، بان يعرف الناس انه هو الذي بانطق كاتب يوغوسلافيا بالعربية.
بمقدار ما يجه بان يعرف المثقف العربي وجمهرة القراء العرب ، ذلك
الرواية الخالدة .. والمسألة طما ليست تثبيت حق ابي له صاحب حق،
بمقدار ما هي تسجيل تلك الحقيقة التي تؤكد ان سامي الدروبي ان يخدم
الجسر على نهر الدرينا ، ليكون جسرا يعبر عليه المثقف العربي الى ادب
وربعب غير معروف لدينا ، وربما لدى العالم ايضا ونمتي الادب اليوغوسلافي
اذ ان هذا المثقف العربي ادرك الآن ، ان في العالم ادبا اخرى غير
الادب الفرنسي او الانجليزي او الالافني او الروسي ، وهي اشهر الاداب
حتى الآن فيما نعلم ..

من العبث ان نوجز « جسر الدرينا » للقارىء ، واولغل منه في العبث
ان (نوجز) جمال الرواية وشاعريتها ، اذا جاز اعلا نلخص الجمال
كما يجوز نلخص دراسة سياسية او اقتصادية او حتى رواية مسرحية
والكني استطيع ان القول كقارىء فقط انني لا انسى من الرواية التي قرنتها
منذ خمسة عشر عاما ، عبارة ترسم لي شخصية من لحم ودم ، حيث وصفه
الكاتب عندما ابتسم ، بان شرارات الالهب تتنزلت من عينه ووجنته ..
ولا انسى مشهد الالام الخيف على الخازوق ، والذي لا شك في انه
يحول حياة من قراء الى سواء بل الى ظلام ، فلما تفكر انه هد ، كما
انني لا انسى مشهد التقاليد الشعبية التي جعلت السماء تضيء ليااسة
الالام بملابن الشوع الوهجة المتصاعدة من الجسر وحتى السماء، مما
يلكرنا بالصمود الى انفردوس في «جهيم دنانتي» وبدلنا على عمق نالمر
قصة المعراج الشريف في الصمير الانساني خارج (انار الالام) وكيف انسى
مشهد الملاحين الذين يسامون ممثل السلطة (الشمانيات) لتسلم جنة
الرجل التميمي ، في غياب او في (غاب) على الاصح ، بلكرنا جسداسوات
الملاح العربي (الشمانيات) لتشويه قصة صخرة مع ممثل (الربجي) او
القبقة على الصلحة السابعة

مقال فايز قنديل (١)

تحديث المباح

تمة ما نشر على الصفحة ٨

ممثل شربة الانتاج الزرمانى ومكتب الجيوب قبل ظهور الساونيات ..
وما دنا بصدد المناظر والجسور ، فلا بد من القول ان سامي الدروبي
لم يكن جسر الثقافة العربية الى الثقافة اليوغوسلافية فصيح ، بل
لمه اذا جاز التعبير كان جسرا هلالين الثقافة العربية والثقافة الروسية
ولا سيما القيم ااماليا لهذه الثقافة وتعني فيودور دوستوفسكي ، ريلبون
بواستسوي ...

من الحق ان يقال ان الابداء العرب لم ينفصروا قبل سامي الدروبي
في نقل عيون الادب الروسي الى العربية ، فلا شك ان الاديبين الطيبين
غزاد ابوب وسعيد ابوب من سورة ، والسنند نجاشي صديقي من اسطين
والاستاذ محمد السيامي من مصر ضربوا بسهم تظليل هذا المجال ، ولكنهم
رغم جهودهم ، قدموا من الميضي نغشا ، وكان سامي الدروبي نقل عالم
دوستوفسكي الرجيب ، والرهيب ايضا ، الى العربية ، تصامسه
وكاله ، بكواكبه وتجوهمه وسيازانه وتيازكه وعلنه . ان المكتبة
العربية هي احدى المكتبات العالمية الفيليا التي غفر «الفتح جنيسيا»
الى كاتب روسيا المعفري دوستوفسكي .. عندما نقل الاستاذ نزه
الحكيم والفني اندريه جيد «الاديب ويسيسور» الى الافة العربية فقال
فيه الدكتور طه حسين انه علم ادب ويسيون واندره جيد اللفة
العربية .. وعندما «استعرب» دوستوفسكي على يدي سامي الدروبي ،
قال ادب عربي ممتاز عبارة بعمل من الخبرة اكثر مما حمل من المسرح
ان دوستوفسكي هو الذي ترجم سامي الدروبي الى الروسية . ولكي
تذكر الصبه العظيم الذي نهى به سامي الدروبي ، فقد تذكر استعرب
رواية «نيوتشكا» في عام ١٩٥٤ ، اي انه بعشر دوستوفسكي منسد
دع قرن تقريبا ، بلا انقطاع ، فالمسئلة ان ليست لوبا ، بل هي اشغال
شاقة ، يظفي منها تيارات الفكر والجمال .. ثم ان اختيار دوستوفسكي
بالذات اختيار عظيم في ذاته ، اليس شكيب هو الذي يعنى شامس
النفس الانسانية ، انني لا ابيني القاروة بين المعاملين ، وكان لوخرجت
في اعطاء هذا اللقب لفتان آخر مع شكيب وربما قبل شكيب ، فقلت انه
دوستوفسكي .. نحن نقول هذا ، ولكن «البيروتلو» تقدمه عطيا ،
فالكاتب الفرنسي الكبير الذي عبر عن مشكلة الانسان في الخصبيات ربما
وجد نفسه فاصرا عن راوغ شاد دوستوفسكي عنفا حول «الجرمسة
والمقاب» الى مسرحية شهرة .. مجرد رأي صيب او لا يجب ..

وما دنا في صمد شكيب ، اسطرادا ، لا مقابلة مع دوستوفسكي ، ونحن
تذكر ان الادارة الثقافية في جامعة الدول العربية شكلت لجنة لتعريب
الانار الكاملة لوليام شكيب ، برئاسة الرحوم الدكتور طه حسين منذ
نحو خمسة عشر عاما ، ولا نته بعد من «عظيم» شكيب المفة العربية ،
بينما قام سامي الدروبي في الامة بقشها تقريبا وحده دون معين ، والمهمة
نفسها ازا ، دوستوفسكي .. هل يقال هنا ان المبادرة الفردية افضل
من اللجان ؟ هذا ممكن شرطه ان نهم المبادرة الفردية بمعناها النبيل ،
اي نوفر المقربة المناسبة ، في لحظة مناسبة ، لعمل مناسب ، وهي
مبادرة تختلف كما هو واضح ، عن المبادرة في عالم نجارة البناء وسمرة
الطيول واخلاء الارز والسكر ..

انني لا ازال ابع ، ولعل قراء كثيرين يلهون بصي ، على اهمية ، بل
العظمة ، للعمل الذي اصطلح به الدكتور سامي الدروبي .. ولدي اليه رهان
والقول .. فالجميع يتفكرون بلا ريب قضية « بوريس باسترناك » اواخر
الخمسينات . ليس بعيننا هنا الوجهه الرجعي لباسترنك ، وبعوجه
المهاولة على العالم القديم من علي «الامتور جيلانو» ولكن الذي بعيننا
ان لجنة جائزة نوبل منحت باسترناك الجائزة ، لانه نقل الى الروسية
اعمال وليام شكيب .. اي انه منح الجائزة ، لنفس العمل الذي قام
به سامي الدروبي ازا ، دوستوفسكي .. طعا لسأ ندعو الى ترشيح سامي
الدروبي لجائزة نوبل ، فالجائزة لم تعد مشرفة ولا معيارا عادلا من جهة
وهي احتكاك للمعكرن على جانبى الاثنائي وانا منحت لكاتب «الاشراك»
بعل باسترناك او سرفجنستن ، فلما ضج له لانه مضاد للاستراتيجية ،
وان منحت لاديب اسوي مثل الرانترانات طانور» فلما ضج له رغم
عدائه الكاملة ، من باب اعطاء لجنة الجائزة انها برينة من المنصرسة

هأما كما توجهت على عرش الجمال في العالم فتاة من العالم الثالث ؛سما جورجينا بزيق .. على انني مع هذا أساءل ، أليس هناك طريقة لا لتكريم سامي الدرؤبي ، بل لإبراز ضخامة الحدث الثقافي الذي حققه سامي الدرؤبي .. من المعروف ان هناك جمعيات ثقافية منتشرة في جميع أنحاء العالم ، تسمى «جماعات الدانتيين» أو جمعيات اصدقاء الشاعر الإيطالي (دانتي) وترعاها الجامعات والايوساط الثقافية الإيطالية ، وهي تقدم جوائز فوق التقديرية ، اعني جوائز «تتويجه» تمنح لمن ينقل من الكتاب «الكوميديا الإلهية» من اللغة الإيطالية الى لغته التومية واقد أحرزنا الاديب العربي المهري «حسن عثمان» هذه الجائزة فيضي بهذا وجه العروبة في عالم الادب العالمي تماما كما فعل استاذنا وصديقنا سامي الدرؤبي .. انني اتساءل ولا اعرف فعلا ، هل هناك جمعيات «دوستوفسكية» مماثلة لترشح سامي الدرؤبي للجدارة بجائزتها ؟؟

ان لم يكن الامر كذلك ، فاني أتلمس وسيلة أخرى هي بين ايدينا فعلا ، فالجمع العلمي العربي في دمشق «مجمع اللغة العربية» هي جائزة الجوائز التي تمنح للمبرزين والخالدين من الكتاب .. وهنا لن يكون المدخل «عملية دوستوفسكي» اذا جاز التعبير ، بل مساهمة سامي الدرؤبي الاساسية والرائدة في «تعليم» علم النفس والتحليل النفسي اللغة العربية ولنتذكر هنا ان سامي الدرؤبي بدأ مساهمته العظيمة في هذا المجال في اواسط الاربعينيات عندما عرب «سيكولوجية الضحك»لمهري برغسون في وقت كان قاموس علم النفس اعرابي يفتقر الى حسات المفردات والمصطلحات التي اتاحها الدرؤبي من فلسفتنا العربية القديمة ، وانس بعنا غبار القرون فاستوت بشرا سويا . مجيبة بذلك عن سؤال ام يعد الان واردا هو : هل تصلح اللغة العربية لفروع المعرفة الحديثة ؟؟ وهو السؤال الذي ناقشته مؤخرا ندوة تدريس الفرنسية في الجامعات العربية .. ان سامي الدرؤبي ليس الوحيد في هذا المجال ولكنه من طلائع الرواد ، ولكنني اتساءل عن وسائل ترشيحه لمضوية مجمع اللغة العربية فان كان عضوا دون أن أدري بذلك ، فاني اسحب تساؤلي ، راجيا له كل التوفيق في مهمته اتضخمة الجديدة ، وهي الانتقال بالقارئ العربي الى القروسية جديدة .. فالدكتور سامي الدرؤبي هو الان في اوج عزمته ومضائه لنقل تولستوي كاملا الى العربية ، لتعليمه العربية ، لانطالسه العربية .. بعد دوستوفسكي ..



مع حرم الرئيس تينو

لا أستطيع أن أصف لكم سعادة سامي حين أنهى المجلد الثامن عشر من المجموعة الكاملة لدوستوفسكي فقال لي : كم كنت أخشى وأنا أعلم حق العلم حالة قلبي وعلة العلل التي أعاني منها وكم من مرة تساءلت بيني وبين نفسي ترى هل سيمهلني هذا القلب لانجاز مثل هذا العمل الضخم وهأنذا قد أنجزته . فوالله لا تحدى قلبي وشرايينه المسدودة وصماماته المتضيقه ولأبدأ بتولستوي فهض من سريره واتجه نحو المكتبة وتناول الجزء الأول من كتاب تولستوي الطفولة والمراهقة والشباب . وجلس الى المكتب لياشر بالترجمة . فلم يسعني إلا أن اصرخ محتجة حرصا على صحته فأجابني ضاحكا . لا تتعبي نفسك سأظل أعمل وأعمل لأنني مؤمن أن الحياة بدون عطاء لا قيمة لها والموت اشرف منها وتابع كلامه باصرار سأعمل حتى النسمة الأخيرة من حياتي «وكم ردد هذه الجملة وكم سمعتها منه» . وفعلنا كان له ما أراداه قبل ساعة واحدة من الرحيل وقد أصر على الجلوس الى المكتب وأذكر صرخت محتجة عليه أيضا حرصا على صحته وخوفا من تعبه قال سأصلح كلمة كانت قد أفلقتني في الليلة السابقة ومسك القلم وأصلحها وهو يعلم أنه يقف على مشارف الأبدية قلت لنفسي وأنا أفق بقربه أضع له أنبوب الاوكسيجين في أنفه :- . الله درك يا سامي ان كلمة واحدة تقلقك فلا تنام وترغب أن تقدمها صحيحة لقرائك وأنت بأشد الحاجة الى الراحة والنوم ولم أكن أعلم أنني في حضرة الوداع الأخير . اذ بعد ساعة واحدة فقط كان الرحيل . وما أن سمع صديقه العزيز جدا الاستاذ محمود العالم نعيه حتى اتصل يسأل ، مستفسرا عن وفاة سامي فكتبت له مجيبة عن استفساراته كلها . . .

الأخ العزيز محمود

ماذا أكتب وغياب سامي حرى أن يشل العقل والقلم واللسان لزوجة مثلي أجل يامحمود كنت أعرف أنه مريض . . . وأي مرض . . . ولكنني كنت أرفض وأبعد عن مخيلتي فكرة الرحلة التي لا عودة بعدها . . . آه ما أقساها من رحلة . . . كنت مع ليل ومصباح أولادنا، وسامي ممتددا على سريره في غرفة النوم، يناقش ليلى في المادة الأولى التي ستمتحن بها بعد يومين في

٢/١٤ وكان وجهه مشرقا . . . ذو رونق رائع وكان بصوته عذوبة وبكلامه
 حكمة وكنا نتابع ذلك كله باهتمام . فاذا بالمنية تنقض عليه دون رافة
 بنا . . . وبدون رحمة . فاذا بالصوت يصمت واذا يلون الوجه الوردى
 ينخطف واذا بالعينين اللتين يشع منهما الذكاء ينطفئ فيهما النور . . . آه
 يا محمود هل يعقل أن ذاك الفارس الذي بارز المرض وصارعه أياما بل
 شهورا بل سنين هذا الفارس البطل الشجاع وكنا جميعا نعجب ونعجب من
 قدرة ذلك الفارس على هذا الصراع مع المرض . . . كان يصارع من أجلنا
 من أجل العطاء للثقافة وللوطن كما قلت يا محمود كان يضيء طرق الثقافة
 والوعي القومي والاجتماعي لايمانه بالواقع العربي المعاصر . . . حتى هيء
 لي أنه أقوى من الموت وان ارادته في الحياة ستقهر المرض وسيكون ملحمة
 انسانية فذة في التحدي وظل ينتج حتى قبل ساعة من المنية وشبح الموت في
 غرفة نومنا . . . قام من سريره الى المكتب الصغير الذي وضع في غرفته
 وصحح جملة كان قد كتبها في الليلة السابقة . . . أجل يا محمود هل يصدق
 ان هذا الفارس يستسلم بهدوء بدون ضوضاء بجلال بكبرياء وبدون كلمة
 آه . . . لا لا يصدق لا لا وألف لا . . . أسرعت اليه كنت على يقين من أنني
 سأستمد من بطولته وشجاعته شجاعة ففتحت الاوكسيجين . . . وكنت اشعر
 أن علي أن اصارع ملك الموت الذي سيخطف سامي الحبيب منا وضعت
 فمي على فمه وبدأت أنفخ ومصباح ابني أخذ يعمل تنفس بالزراعين وليلي
 ابنتي تفرك القدمين وكنت اشعر انني أستمد من روح الله قوة ما تلبث أن تعيد
 الحياة اليه . كنت أشعر أن النبض بدأ يعود فاتشجع واستميت واستبسل وأنا
 أنفخ بكل ما اوتيت من قوة ولكن الحقيقة تعود الى من بين أصابعي بأن النبض
 قد توقف فارفض أن اصدق وأبرر عدم لمسي للنبض بالاضطراب ودام هذا
 الصراع دقائق رفعت رأسي بعدها وكلي أمل أن أرى النور يشع من عيني سامي
 ولكن الذي أحسست به آنذاك نفس طاهر وينفخ على وجهي وكان آخر نفس
 تلفظه الرثة وهذا ما يسمى عند العامة طلوع الروح الى الملوكوت
 الاعلى آه يا أخي محمود ما أقسى تلك الثانية . . .

كان سامي مؤمنا أن ثقافتنا وتعاليمنا سيظلان ناقصين حتى تتم ترجمة الاعمال الكبرى للتراث الانساني الى اللغة العربية ترجمة دقيقة كاملة . فالطالب أو الشاب في روسيا وامريكا وفرنسا والمانيا وانكلترا واليابان أي في اي بلد متقدم يشب فيجد هذه الأعمال موجودة بلغته بصرف النظر عن لغتها الأصلية كما كان رحمه الله مؤمنا ومقتنعا أن التكثيف هو الذي يترك أثرا في العقل العربي وان الاعمال المتناثرة . يمكن أن تؤثر في فرد أو أفراد ولكن الأعمال المتكاملة تخلق كثافة ثقافية يمكنها أن تؤثر في الحركة الفكرية . فترجم الاعمال الكاملة ليرجسون بالاضافة للأعمال الكاملة لدوستويفسكي ، وانهى خمسة مجلدات من أعمال تولستوي ولكن المنية لم تمهله لينهي تولستوي كله . أجل بدأ يعمل من فجر حياته في اغناء الانسان العربي بروح العصر فيأخذ من الثقافة العالمية ينهلها من ينابيعها لا ليقبها لنفسه ولكن ليعيد صهرها لتصبح عربية اللسان ولتكون مادة لثقافة الاجيال وأقبل سامي على هذه المهمة بجد لا يعرف الكلل او الملل كأنه كان دوما في سباق مع الزمن كان لا يترك الكتاب من يده ولا تفوته ساعة بدون عطاء كان مصابا بالأرق فوظف هذا الأرق في خدمة العمل . ولن أنسى حين ذهبنا الى أمريكا للعلاج قبل الرحيل بأشهر قليلة حين شاهد لأول مرة على شاشة التلفزيون في غرفته بمستشفى القلب في كليفلاند كلينك اعلانا عن آلة تسجيل الدكتافون التي تسهل املاء ما يسجل على شريطها . وكانت قد تدهورت صحته وتفاقم مرضه حتى لم يعد يستطيع الجلوس الى مكتبه للعمل فلم ييأس ولم يفقد الأمل في القدرة على العطاء . فطلب من الدكتورة هيفاء النص السورية الأصل والمقيمة هناك والتي كانت تشرف على صحته أن يشتري هذا الجهاز وفعلا اتصلت بالهاتف وحضر البائع يحمل النماذج المتعددة لهذا الجهاز وبدأ زوجي يسمع شرح البائع لهذه الآلة وأذكر أن سامي مسك الكتاب بيده ونظر الى ساعته ليضبط الوقت وبدأ يسجل وقال لي :- تصوري إن هذه الطريقة توفر ثلاثة أرباع الوقت على الكاتب انظري كم تغني الحضارة الفكر الانساني . والتفت الى البائع يسأله عن الثمن أجابه سأخصم لك عشرين بالمئة من الثمن فسأله سامي بصفتي

دبلوماسي هذا الخصم ؟ فرد عليه وقد اكتسبت وجهه ابتسامة ذات معنى عميق لا ياسيدي لكن بصفتك أديبا وأنا أشاهد الاوكسجين في أنفك والسيروم في ذراعك وعلى الرغم من ذلك كله ترغب في العمل والعطاء .
والآن أقول أنا لو كانت هذه الآلة عنده ومنذ بدأ عطاءه لانتج أربعة اضعاف الثمانين كتابا التي خلفها .

كانت صلابته الروحية والعنف الذي عرف به منذ نعومة أظفاره لم يصقلها العمل الدبلوماسي أبدا . أول تصرف غير دبلوماسي كان حين عين سفيرا للمغرب وحدد موعد تقديم أوراق الاعتماد ومن سوء الحظ أنه قامت مشاكل بين المغرب والجزائر ووقفت سوريا بصف الجزائر مما اضطر المغرب لسحب سفيره من دمشق وسحب سفرائه من البلدان التي أخذت مثل هذا الموقف . . . ووصل السفير المغربي الى الرباط من دمشق . ولكن الخارجية السورية لم تستدعي سفيرها لكنه لم يتقيد سامي بالعرف المهني فحجز على أول طائرة عائدا الى دمشق مع العلم أنه زارنا مدير ادارة الوطن العربي في وزارة الخارجية المغربية وأخبرنا أن المغرب يعتز أن تكون سفيرا لسوريا عنده فأنت معروف ولك باع كبير بالتعريب . وأستاذ عدد كبير من المغاربة الذين درسوا في الجامعة السورية وحين رشحتك الخارجية السورية أنت الموافقة رأسا على تسميتك سفيرا هنا . كما أن السفراء للدول الأخرى التي سحبت المغرب سفراءها كما فعلت دمشق لم يغادروا الرباط تقيدا بالعرف المهني ولكن سامي أبي وسافر الى دمشق . . . كذلك كان تصرفه حين كانت الخلافات بين مصر وسوريا في أوجها وكان سامي قد عين سفيرا في بلغراد وقد علمنا بزيارة الرئيس عبد الناصر ليوغسلافيا وكنا في اجازة فقطعناها وعدنا إلى بلغراد ليكون سامي في شرف استقبال الرئيس عبد الناصر ، فوجيء الصديق حمدي أبو زيد سفير مصر بيوغسلافيا آنذاك بوصولنا قبل يوم من الزيارة فحضر لزيارتنا مساء في البيت برغم مشاغله الكثيرة بسبب استقبال الرئيس في صباح الغد . . . وقال لسامي أرجو أن لا تعلن عن وصولك حتى لا تخرج في أن تستقبل الرئيس عبد الناصر غداً أمام حكومتك فضحك سامي مقهقها وقال : لقد قطعت اجازتي خصيصا لأكون في استقبال السيد الرئيس .

ولقد فوجئت بأن الرئيس عبد الناصر لم ترافقه السيدة حرمه في تلك الزيارة ومعنى هذا أنه لا يتوجب على زوجات السفراء مرافقة أزواجهن في الاستقبال ولكنني أصريت على مرافقة زوجي وحين وصلنا إلى المطار واصطفنا حسب الأقدمية كنت زوجة السفير الوحيدة في الاستقبال وكان هناك ثلاث سيدات سفيرات . وصلت الطائرة وطل عبد الناصر من بابها وإذا بهدير من حناجر الطلاب السوريين يهتف ناصر ناصر . وإذا بالأهازيج السورية تطالب عبد الناصر «بدنا وحده مع النيل نخلق فيها اسرائيل . الوحدة عزة والانفصال مذلة . وإذا بنشيد دولة الوحدة والله زمان ياسلاحي . . . فانفعلت ولم أعد أستطيع أن أتمالك نفسي وبدأت مصيبة الانفصال توضح أمام ناظري الخطر القومي . . . وكان الرئيس عبد الناصر يصفح مستقبله وما أن وصل أمام سامي وإذا بالرئيس يسلم عليه بحرارة ويسأله «ازايك يا أخ سامي» ؟ فقلت في نفسي سوريا تشتم عبد الناصر وعبد الناصر يسلم بحرارة على سفير سوريا فعندها قلت وقد صار دوري في السلام يا سيادة الرئيس الشعب السوري وحدوي والسجون ممتلئه بالوحدويين . . . ولا بد للانفصاليين أن يأخذوا جزاهم ذات يوم ابتسم عبد الناصر ونظر اليّ بدهشة وعمق والدموع تنهمر من عيني بغزارة واردفت وهذا صوت الطلبة السوريين يحييك باسم الشعب السوري . رأيت ابتسامة مشرقة تلوح على وجه الرئيس فنظر إلى جانبه حيث الرئيس تيتو كأنه يلفت نظره لما أقول وتلاقت نظرتي مع نظرة الرئيس تيتو فابتسم وما زلت أذكر أن دموعا تفرقت في عيني . في صبيحة اليوم التالي ظهرت في الصفحة الأولى من الصحف صورة الرئيس عبد الناصر وهو يسلم علي وتحتها كتب حرم السفير السوري تبكي وتطالب عبد الناصر باعادة الوحدة وأذكر أن الاستاذ محمد حسنين هيكل كان مع الوفد المصري في تلك الزيارة قال لنا في أرض المطار لا شك إن استقبالكم الحار هذا سيؤذي الانفصاليين في سوريا وفعلاً بعد ثلاثة أيام فقط زار سامي في المكتب شخص وقال : «علمنا باستقبالك الحار أنت وزوجتك للرئيس عبد الناصر ونحن نعرفكم أنكم وحدويون لم تأخذ عليكم تصرفكم هذا ولكن المآخذ أنك سمحت للطلاب السوريين أن

يقوموا بمثل هذا الاستقبال وكان بإمكانك كسفير أن تسحب جوازات سفرهم وتعيدهم رأساً إلى سوريا . فرد عليه سامي : وهل هذا العمل ينسجم مع كوني بعثي ومبدأي الوحدة والحرية والاشتراكية . . . وقد توقعنا أن يستدعي سامي إلى دمشق ويعفى من عمله . . . وفعلاً استدعيتني إلى دمشق ولكن لا يعفى من عمله بل لتوكل إليه أحلى مهمة أن يسعى لاعادة العلاقات بين مصر وسوريا . أذكر إن السفير المصري الصديق حمدي أبو زيد قال لنا : حين وصل وفد السيد الرئيس عبد الناصر إلى قصر الضيافة سألتني نائب الرئيس السيد ~~الشيخ~~ السيد ~~الشيخ~~ للمدين عن اسم السيدة التي تحدثت مع الرئيس أثناء الاستقبال في أرض المطار ؟ فأجبت حرم سفير سوريا . لكن الرئيس عبد الناصر رد : - «الست زوجة الصديق سامي الدروبي ؟

ذهب سامي من بلفراد إلى دمشق فالقاهرة وبدأ يعمل كالمكوك بين القاهرة ودمشق ، كانت هناك فجوات كبيرة يجب التغلب عليها وجروح كثيرة يجب تضييدها وكان موضع الثقة بين الطرفين مما ساعد على أنثمر مساعيه بعد أن عمل بجهد وعنف وبدون رحمة بصحته غير مدرك أن لجسده عليه حقاً فلم يتحمل قلبه هذا الجهد فأصيب بجلطة وكان عليه أن يرتاح بعدها لكن ناقوس الخطر الذي أُنذرنا لم يصدده أو يكبح جماح هذه القدرة على العمل في سبيل انجاح مساعيه . وكانت عودة التقارب بين مصر وسوريا بالنسبة إليه أمر قومي ووطني يجب أن يتم مهما كان الثمن ومرة حين كنت أحاول أن أفرمل أي «أكبح جماح اندفاعه في العمل» حرصاً على قلبه كان يقول ما قيمة حياتي مقابل اتمام هذا التقارب . . .

كانت سفارة سوريا في القاهرة قد حولت إلى معهد للتأهيل الدبلوماسي . . وكان كلما طلب مندوب سوريا الدائم في الجامعة العربية من وزارة الخارجية المصرية أن تعيد إلى سوريا هذا المنزل كان الرد دائماً سوف تحل مشكلة بيت سوريا في القاهرة مع مشكلة بيوت السفارات كلها . في إحدى الاجتماعات بين الرئيس عبد الناصر ووزير الخارجية محمود رياض وسامي . . . فوجيء سامي حين سمع الرئيس جمال يقول لوزير خارجيته «يا محمود خذ موظفين التأهيل الدبلوماسي من بيت سوريا وسلم

البيت للأخ سامي بأقصى سرعة وفعلا وبعد أسبوع استلمنا الدار . . .
وبدأت أعمل جاهدة في تأييث السفارة وإذا وفد سوري على أعلى مستوى
يصل إلى القاهرة لاجراء مباحثات مع الرئيس عبد الناصر وانضم سامي إلى
الوفد السوري وقبل سفر الوفد بيوم عاد سامي بعد منتصف الليل . وكنت
لا أنام حتى يعود . نظرت إلى وجهه أحسست أن هناك شيئاً ما يريد أن
يخبرني به وكان متردداً أن يقوله الآن أم يرجئه إلى الغد فسألته ما الخبر ؟ .
ويظهر كان بصوتي لهجة من نفذ صبره . .



استقبال سامي وزوجته وأولاده للرئيس عبدالناصر في مطار بلقراة .

فابتسم وقال : -

« أثناء العشاء على مائدة الرئيس عبد الناصر قال له رئيس الوفد السوري هل يمكن سيادة الرئيس أن نتعشى غداً معاً . . . فأجابه الرئيس « ماله نتعشى غداً في بيت الأخ سامي . أذكر أنني قفزت من السرير واقفه فرحة ومحملة عيني وبدأت تسير أمام ناظري صور النواقص الكثيرة التي لم تنته في الدار حيث أستطيع أن استقبل رئيس دولة ولم أنم تلك الليلة . كانت الورقة والقلم بيدي ورحت أكتب ما يجب علي انجازه أستطيع أن أنجز في يوم واحد ما كنت أحسب إنني لا أستطيع انجازه في شهر كامل ولكن يبدو عندما يضع الانسان أي إنسان طاقاته كلها في عمل ما يستطيع أن يأتي بالمعجزات منذ الساعة السادسة أيقظت الخدم كلهم وحددت لكل واحد عمله ، وما كادت الساعة الثامنة تنتهي حتى كنت قد استدعيت موظفي السفارة كلهم وعرضت عليهم الأمر وطلبت مساعدتهم ويشهد الله أنني وجدت عندهم أكثر مما كنت انتظر من حماسة واندفاع وأخذنا نتوزع الأعمال طلبت من أحدهم أن يذهب إلى المنطقة الحرة وينهي معاملة السجاد ويأتي به مهما كلف الأمر وكنا قد اشترينا السجاد قبل أيام قليلة . وعهدت إلى موظف آخر إقامة زينة كهربائية في الحديقة التي تحيط بالبيت وفي مدخل العمارة وأن يفرش المدخل بالسجاد على الطريقة السورية وآخر مهمة الاتصال مع المديرية العامة للكهرباء من أجل تمديد خط كهربائي اضافي للبيت خوفاً من الطوارئ . وآخر يحضر عمال لتعليق الثريات وكانت عقدة العقد هي سائر الشبايك الثمانية والتي من حسن حظي أنني كنت قد اشترت أقمشتها منذ يومين طلبت من السائق أن يحضر منجداً فقلت له حين حضر إلى البيت عندي شباك بحاجة لستارة وأريدك أن تنهيها قبل الساعة الخامسة مساءً وسأدفع لك كل ما ترغب مع اكرامية ترضيك فوافق على طلبي وكان هذا مما شجعني واستطعنا أن نحضر سبعة منجدين كل واحد مسؤول عن ستاره واحدة وحين حضر المنجد الثامن فوجئت به ينظر إلي بعينين زائعتين . وأنا أكرر أريد هذه الستارة أن تنتهي قبل الساعة الخامسة . فقال : « يا ست هانم والنبى لوبليتها مش حتلحق تنشف الساعة الخامسة . فضحكت وتركته يرطن وتمنيت أن يكون عندي الوقت

لا سمح تعليقاته الظريفه . . . وبحسنا عن منجد ثامن وكان منظر ورشة المنجدين في البيت مثير للدهشة وقبل الخامسة كانت جميع الستائر قد انتهت . وفجأة خطر لي خاطر جعل جسمي يقشعر كله أليست على مسؤ ولية أمنية بالنسبة لطعام السيد الرئيس عبد الناصر الذي يعلم الله كم له من الأعداء وهل أنا واثقة من هؤلاء الطباخين الذين لا أعرف هوياتهم السياسية ومن يدريني أن أحدهم عميل لدولة ما وخطر بيالي كل ما قرأته أو سمعته من مؤامرات واغتيالات بالسموم ووجدت من واجبي أن أشرف بنفسي على المطبخ وعلى كل درة ملح سترش على الطعام فما كان مني إلا أن وضعت مئزرأ وليست شيشبأ ووقفت أراقب كل شيء فاذا ناداني أحدهم ليأخذ رأيي في أمر ما كان علي أن أخرج كل من في المطبخ من طباخين وخدم وأقفل الباب بالمفتاح حتى أعود وكان هذا صعباً جداً وإذا ضابط الأمن قد وصل ليفحص البيت من كل جهة ويعطي للمأمورية التعليمات اللازمة ورأني وأنا ذاهبة آية هذا يسألني سؤالأ وذاك يطلب طلباً كنت كالنحلة في دوران دائم فإذا هو يقول لي : «لا شك أن ربنا قد وفق حرم السفير فيك ما عدناش نشوف في اليومين دول هاوس كبير زيك . ضحكت بيني وبين نفسي ثم اقترب مني وقال خبري حرم سيادة السفير أن طباخ سيادة الرئيس سيعد له طعاماً خاصاً حسب تعليمات الطبيب . عندئذ شعرت أن حملاً قد أزيح عن منكبي .

كنت قد اتصلت بالتلفون بتاجر فضة كنت قد تعرفت عليه قبل مدة قليلة في خان الخليل اسمه الحاج حسين علي العاجاتي ، فقلت له : «يا حاج أنا زوجة السفير السوري واليوم عندي دعوة في داري وأرغب في أن أستاجر من محلكم أدوات فضية للمائدة تكفي أربعة وعشرين شخصاً . فقال : «أعطني العنوان وسوف تصل الفضية لعندك ريثما نلمعها فقط وفعلاً قبل الساعة الثانية ظهراً وصلت سيارة نقل صغيرة وهبط منها شابان حملاً إلى داخل الدار ثلاثة أسبته كبيرة تحمل كل ما أردته كاملاً . وأذكر إنني اتصلت بالتاجر بعد الوليمه وشكرته ، وسألته عن الأجر الذي علي أن ادفعه ، لأرسله مع الفضييات فقال : «عيب يا ست هانم دا شرف كبير لفضية العاجاتي أن تدخل السفارة السورية ثلاثة بالله العظيم لا آخذ ولا مليم . فضحكت وقلت له

إنك حقاً لتاجر كريم وذكي أيضاً وسوف تصبح السفارة السورية والوفود والزوار السوريون زبائن للحاج العاجاتي .

في الساعة السابعة كنا قد انتهينا من اعداد كل شيء وكدت لا أصدق ما تراه عيناى صعدت إلى غرفتي لا ستريح قليلاً وارتدي ثيابي . وصل سامي قبل الضيوف بقليل تفقد البيت والحديقة والمطبخ ثم صعد إلى غرفتي وقال لي والدهشة تملأ عينيه كيف استطعت أن تنجزى هذا كله في بضع ساعات ، حتى الستائر علقتها . أنا أعرف أنني تزوجت من بنات الأنس وليس من بنات الجن . وكان هذا أظرف مديح سمعته منه . قلت : اليد الواحدة لا تصفق ياعزيزي الفضل يعود أيضاً إلى موظفي سنارتك الذين استجابوا لندائي وعملوا جهدهم لمساعدتي .



في انتظار وصول الرئيس عبدالناصر إلى دار الدروبي .



استقبال الرئيس عبدالناصر في دار الدروبي

كنت قد انتهيت من زيتتي تأبطت ذراع زوجي ونزلنا الدرج وأنا واثقة من نفسي كل الثقة وكان منظري قد تغير طبعاً وكان يقف عند أسفل السلم ضابط الأمن نظر إلى بعينين مشدوهتين مندهشتين وتمتم بصوت خفيض وكلمات متلعثمة وهو يسلم علي لا مؤاخذة - يا فندم . أصرت ابنتي ليل أن تقدم بنفسها القهوة المره للضيوف وبقيت في الصالون تحوم فرأت الرئيس عبد الناصر يحاول أن يشعل سيجاره فاقتربت منه وقالت له : «سيادة الرئيس هل أستطيع أن أطلب منك حاجة ؟ فانحنى لسمع من الطفلة قائلاً : «أوي أوي» . فقالت : - «أرجوك بلاش تدخين نخاف على صحتك من السيجارة فإذا به يطفىء السيجارة ويقبلها . وابتلغت إلى وزير الخارجية الذي كان يقربه ويقول له : «كنت أتوقع أن تطلب مني أن أمضي على اوتوغراف أو أي مطلب كهذا ، وهل يعقل هذه الطفلة تخاف على صحتي . وقد نقل لي هذا الحديث السيد وزير الخارجية حين فوجئنا في صباح اليوم التالي بزيارتنا في العاشرة صباحاً وقد حضر من قصر القبة وقال لي :

يا أم مصباح حضرت خصيصاً قبل السفر لا شكرك على الجهد الذي بذلته ليكون كل شيء على أحسن حال لا أكتمك حين قال الرئيس عبد الناصر أول أمن سنتعشى في بيت الأخ سامي تصورت البيت الذي لم ينته تأنيثه وتصورت كم سيصعب عليك كزوجة سفير مسؤولة أن لا يكون استقبالك لرؤساء مصر وسورية على المستوى اللائق بالمدعوين . وكنت أنظر أمن إلى الدكتور سامي وهو معنا طول النهار وأتساءل كيف ستتدبر هذه السيدة الأمور لوحدها . وحين حضرت ورأيت هذا النجاح قررت أن أحضر قبل السفر لا شكرك على ما بذلته من جهد في سبيل تبيض وجه سوريا ولا شك يا أم مصباح أن الرئيس عبد الناصر حين قال أول أمن أنه سيتعشى في داركم كان تكريماً للدكتور سامي لما بذل من جهد في التقارب بين مصر وسوريا . فودعنا وذهب معه سامي إلى قصر القبة فالطار حيث غادر الوفد مصر . .

إن العمل الدبلوماسي لم يصل شيئاً من صلاحية شخصية سامي ففي إحدى الاجتماعات بين الوفدين المصري والسوري بحث أمر أن يعاد التمثيل الدبلوماسي بينهما ويسمى سامي سفيراً لسوريا في مصر . فقال معتزلاً نحن

هنا لنعيد الوحدة لا لنكرس الانفصال ، أوجدوا شخصاً غيري يقبل أن يصبح سفيراً . . . لكن الرئيس عبد الناصر أجابه : «ان الانفصال قد وقع فعلاً وهناك مشاكل كثيرة يجب حلها وإزالتها . ووجودك أنت سفيراً هنا يساعد على ذلك وحين ينضج التقارب الوجدوي سوف تغلق السفارة وأنا أصر على ترشيحك سفيراً هنا لهذا لمح سامي بكلمته في تقديم أوراق اعتماده أمام الرئيس عبد الناصر في السادس عشر من نيسان عام ١٩٦٦ إلى هذا إذ قال :

سيادة الرئيس :

إذا كان يسعدني ويشرفني أن أقف أمامكم ، مستشرفاً معاني الرجولة والبطولة فإنه ليحز في نفسي أن تكون وقتي هذه كوقفة أجنبي ، كأنني ما كنت في يوم مجيد من أيام الشموخ مواطناً في جمهورية أنت رئيسها ، إلى إن استطاع الأستعمار متحالفاً مع الرجعية أن يفصم عري الوحدة الرائدة في صباح كالح من أصباح تخريف حزين يقال له ٢٨ أيلول ، صباح هو في تاريخ أمتنا لطفة عار ستمحى ولكن عزائي عن هذه الوقفة التي تطعن قلبي يا سيادة الرئيس والتي كان يمكن أن تشغرنني بالحزني حتى الموت ، أنك وأنت تظل على التاريخ فترى سيرته رؤية نبي وتصنعه صنع الأبطال قد ارتضيت لي هذه الوقفه ، خطوة نحو لقاء مثمر بين قوى تقدمه ثورية ، يضع أمتنا في طريقها إلى وحدة تمتد جذورها عميقة في الأرض فلا انتكاس ، وتشمخ راسخة كالطود فلا تزعزعها رياح . . .

ذلك عزائي يا سيادة الرئيس وذلك شفيعي عندك ، وشفيعي عند جماهير أمتنا العربية التي لا تعترف بالانفصال إلا جريمة وشفيع من ندبوني لهذه الوقفه ثواراً شجعاناً يقفون في معركة النضال العربي الواحد على خط النار ، ويؤمنون بلقاء القوى الثورية العربية لا بديلاً للوحدة ، بل خطوة نحوها» .

وبعد أن انتهى الدكتور سامي الدروبي من إلقاء كلمته ساد الضممت في القاعة لحظة ، ثم بدأ الرئيس جمال عبد الناصر يرد على كلمة السفير السوري قائلاً له :

يسعدني أن استقبلكم في الجمهورية العربية المتحدة لا كأجنبي ولكني استقبلكم كابن من أبناء الأمة العربية التي هي أمة واحدة فتلك حقيقة تاريخية واقعة .

إن الشعب العربي في مصر يكن دائما الاعزاز والتقدير للشعب العربي في سوريا .

والشعوب في نضالها نحو أمانيتها قد تنتصر مرة وقد تصيها النكسة مرة لكن اصرارها على تحقيق رغبتها يجرز دائما الانتصار في النهاية ، وان الأفراد مآلم إلى الزوال دائما ، أما الشعوب فهي الباقية على نضالها لتحقيق أمانيتها وأهدافها» .

وأرجو أن أحلكم تحياتي و تمنياتي إلى الاخ الرئيس وإلى الحكومة وإلى الشعب العربي السوري . . .

وقد كتبت جريدة الاهرام في صفحتها الاولى بتاريخ ١٧ / ابريل ١٩٦٧ ما يلي :-

مشهد مؤثر من مشاهد التاريخ العربي المعاصر .
سفير سوريا بيكي وهو يقدم أوراق اعتماده أمس إلى الرئيس جمال عبد الناصر .

سامي الدروبي يقول في كلمته : إنه ليحز في نفسي أن تكون وقفتي هذه كأجنبي كأنني ما كنت في يوم مجيد من أيام الشموخ مواطنا في جمهورية أنت رئيسها .

وقد كتب فيليب جلاب في مجلة آخر ساعة .
صورة للتاريخ : لحظة التأثر التي عاشها سفير سوريا أمام عبد الناصر بكى الدكتور سامي الدروبي وهو يقدم أوراق اعتماده سفيرا للجمهورية السورية لأول مرة بعد الوحدة وبعد الانفصال . وذكر الكلمة ، ورد الرئيس عبد الناصر عليها وتابع فيليب جلاب يقول :
سامي الدروبي . . . ناثر أو دبلوماسي :

مدى علمنا أن تاريخ الدبلوماسية لم يسجل موقفا كموقف الدكتور سامي الدروبي . . . ومدى علمنا أيضا أن المواقف والاعمال الاصيلة تحدث

دائماً ولا تتكرر . . ولكن الدقة والامانة . . أمام الناس والتاريخ تحتم
الإشارة إلى أن الدكتور سامي الدروبي بتاريخه الدبلوماسي - المعروف قبل
وبعد منصبه الحالي لا يمكن اعتباره في القاهرة دبلوماسياً بالمعنى التقليدي
المتعارف عليه في العالم . . . أولاً لأسباب وسهات خاصة لا يعرفها أصدقاء
وأعداء سامي الدروبي وثانياً لأن ما بين مصر وسوريا ليس ما يمكن تصنيفه
تحت عنوان ، علاقات دبلوماسيه طيبة أو سيئة عادية أو ممتازة ، أيا كانت
النظم والاشكال .

وليس سرا أن اختيار سامي الدروبي في هذا المكان بالتحديد في تلك
الفترة بالذات كان مبعثاً لثقة بلا حدود في وقت لم يكن يبدو فيه للوهلة الأولى
في علاقات القوى الثورية فرق بين الخبيث والطيب ، وكان كل شيء مختلطاً
وغائماً . . . وليس سرا أن سامي الدروبي لعب دوراً قد يوصف أحيانا بأنه
تاريخي ، ويوصف دائماً بأنه قومي وثورى ، والذين عاصروه وهو يجري
ما بين القاهرة ودمشق بعد أن ترك منصبه الوادع والمريح في بلغراد كانوا
يحسون أن التاريخ يشغل أحيانا على رجل واحد بمهام لا تؤديها أقل من فرقة من
الرجال ! وفي وقت لم تكن تجدى فيه كثيراً الحسابات والتقديرات وفترة من
أخرج فترات التجمع الرجعي والاستعماري ، كان قبول سامي الدروبي
لمهمته الهامة بين القاهرة ودمشق عبثاً على أعصابه وعلى قلبه (المطمون) ودليلاً
لدى الكثيرين على أن هناك شيئاً جديداً في دمشق هذه المرة يختلف عما تتابع
عليها منذ ذلك الصباح الكالح من أصبح خريف حزين يقال له ٢٨ أيلول
. ١٩٦١

وربما لا يرى أحد في موقف سامي الدروبي اليوم أكثر من تعبير مركز
ومخلص لأحاسيس تسود على المستوى الشعبي والرسمي ومع ذلك ففي ظروف
لم تكن موافقة من الناحية الرسمية في سوريا اتخذ سامي الدروبي وكان سفيراً
لدمشق في بلغراد في سبتمبر ١٩٦٥ ، نفس الموقف الذي تمليه معتقداته
وعواطفه وشجاعته الثورية والشخصية . . . فتصرف يومئذ بوحى من
واجبات الثوري العربي دون التزام بقيود وتقاليذ الموظف الدبلوماسي .
كان الرئيس عبد الناصر في زيارة رسمية ليوغسلافيا واصطف السفيراء

كالعادة ينتظرون دورهم في تحية الرئيس وكان الجميع (بسبب ما يجري في دمشق يومئذ من تيارات غريبة) يضعون عيونهم على السفير السوري ، كيف سيتصرف ؟ بل تساءل صحفي (تركبي) بجانبنا : هل سيحضر السفير السوري يا ترى ؟ . وما أن ظهر الرئيس عبد الناصر حتى شهد المطار أبلغ وأحر وداع . . . كان سامي الدروبي وزوجته وأطفاله قد أعدوا تحية خاصة للرئيس وكان أطفال سامي الدروبي يلقون الاناشيد لتحية عبد الناصر ومن ورائهم سامي الدروبي وزوجته . وللحظة صمت هدير الجماهير والطلبة العرب في مطار بلغراد حتى لا يفوتهم شيء من المشهد . . . ولم يكن سامي الدروبي يومئذ إلا كمن هو اليوم ابن من أبناء الأمة العربية بدرجة سفير . . .

فيليب جلاب

تدبره والسياسة والصحف : رسالة : مهلنا ابيده رسيها ومهة قهلقا انه ريهال



ليل الدر وبني تغلب من عبدالناصر الامتاع عن التدخين حفاظا على صحته .

... ..
... ..
... ..

وبما أنني أتحدث عن أوراق اعتماده فأنني أنقل لكم ما حدثني به سامي حين عاد من زيارة طرابلس حين دعت ليبيا دول المواجهة هناك ، وسافر سامي من القاهرة مع الرئيس عبد الناصر . قال : حين وصل الرئيس عبد الناصر والقذافي إلى قصر الضيافة وعُرف السيد الرئيس عبد الناصر سامي بالرئيس القذافي فوجيء سامي بالرئيس القذافي يقول له يا سفير العرب حين سمعنا كلمة اعتمادك التي قلتها أمام الرئيس عبد الناصر شجعتنا وبعثت فينا حماسا لا مثيل له وقد حفظت تلك الكلمة منذ ذلك اليوم فتلاها أمام الجميع . . .

حدثنا سمير الدروبي فقال حين كنت مستشارا ثقافيا في واشنطن دعينا إلى حفلة تكريم أقامها سفير الكويت على شرف الوزير المستشار الفرنسي في واشنطن والذي عين سفيراً لفرنسا في الكويت . وحين عرف السفير الكويتي سمير الدروبي على السفير الفرنسي الجديد قال السفير . . . اليوم قرأت تقريرا عن السفير السوري في القاهرة وأظن أن اسمه يشبه اسمك دروبي فضحك سمير وقال له : إن السفير السوري في القاهرة سامي الدروبي هو أخي . وسأل السفير مندهشا ما علاقة أخي بتقرير من الخارجية الفرنسية يصل إلى واشنطن؟؟ لكن اندهشه لم يطل إذ قال له السفير سمعنا أنه قدم أوراق اعتماده بشكل لم يسبق في الدبلوماسية العالمية له مثل وهنأ أخذ كنموذج عن الشخصية العربية حتى أعرف مع من سأمثل بلادي .

وقد كتب كبير أمناء القصر الجمهوري المصري السيد صلاح الشاهد في كتابه ذكرياتي في عهدين ما يلي عن هذا الموضوع .
السفير الذي أبكى عبد الناصر .

في ٢٨ سبتمبر سنة ١٩٦١ وقع الانفصال السوري عن الجمهورية العربية المتحدة وكانت كارثة شديدة الوقع على الرئيس عبد الناصر لاسباب لا محل للخوض فيها ثم تدهورت العلاقات بين مصر وسوريا ووصلت إلى حد الاتهام بتدبير المؤامرات .

ثم رجعت العلاقات بين البلدين الشقيقين إلى شيء من الصفاء . . .
وأعيدت العلاقات الدبلوماسية بين البلدين .

وتمت مراسم تقديم أوراق الاعتماد ويقضي العرف الدبلوماسي أن يقول السفير كلمة قصيرة يقدم بعدها أوراق الاعتماد إلى رئيس الدولة .
ووقف الدكتور سامي الدروبي وارتمجمل الكلمة أمام الرئيس في صوت متهدج تكاد تغمره العبرات وكان السفير بليغا ومؤثرا .
وكان الموقف يحفه جلال ما دونه جلال ، يشير في النفوس حلو الذكريات ومرها ، وعظم التجربة الرائدة وما انتهت إليه .
وبعد أن ألقى السفير كلمته سلم أوراق اعتماده إلى الرئيس عبد الناصر الذي سلمها إلي . . . وتسربت الدموع إلى مآقي الحاضرين .
وبكى عبد الناصر ، وكنا جميعا نبكي ، علي صبري . . . والفريق سعد الدين متولى كبير الياوان وأنا .

وانعقد لسان عبد الناصر الذرب في مثل هذه المواقف لتتكلم دموعه حسرة وألما ولا أنسى ما حييت أن هذه هي المرة الاولى في تاريخ المراسم في العالم أجمع التي كان رئيس الدولة يبكي وهو يتسلم أوراق اعتماد أحد السفراء .

سأختم حديثي بكلمة وصلتنا من الكويت من السيد خالد سعود الزيد ولم نكن نعرفه :-

نقلت وكالات الانباء أن الاستاذ سامي الدروبي أول سفير لسوريا بعد الوحدة والانفصال بكى وهو يقدم أوراق اعتماده لسيادة الرئيس جمال عبد الناصر .

وهذه هي القصيدة المرسلة إليه

ذكرتها فليست البين ماوقعا

ذكرتها فقلبي هالك جزعا

حاولت نسيان يوم الانفصال فلم

أذكره يوما لانني لست مقتنعا

فجاء تقديمك الاوراق فاجعة

ياويجها لحظة أودت بمن سمعا

كفكفت دمعي فما استطاعت دوافعه

كتا ، فأطلقتها فانهاال مندفا

لا تلحين إن بكيت اليوم محترقا
ففي الحشايا من الألام ما فجما
بالأمس كنا يدا والله يكلؤنا
واليوم صرنا لذي الاطباع متجمعا
وسر أعداءنا يوم نساء به
وكم أساءهم اليوم الذي جمعا
لادردرك يوم الانفصال فما
ذكرتك الدهر الا صرت ممتعما
أواه الردة السوداء وقعتها
أوهي على القلب مما حل به وقما
فلست أعجب لما ناح مبشا
بالأمس سامي فأبكاننا بما صنعا
فقد تشتت شمل كان مؤتلفا
وقد تقطع عقد كان مجتمعا



الدكتور الدروبي يقدم أوراق اعتماده لعبدالناصر .

كان الرئيس عبد الناصر دائماً يشعر بالثقة التي يكنها له مثلاً قال لي زوجي بعد احدى الاجتماعات في القصر بين الوفد السوري والوفد المصري .
طرحت عدة أمور منها السياسي ومنها ما كان لمصالح المواطنين من البلدين .
فاقترح وزير الخارجية أن تؤلف لجنتين ويسمى لكل لجنة رئيساً لحل تلك
المشاكل فرد الرئيس عبد الناصر قائلاً : «وماله ؟ الدكتور سامي الدروبي
رئيساً للجنة المصرية . فضحك الجميع وكانت فعلاً ثقة متبادلة

أجل كانت كما قلت صلابة سامي الروحية التي كونت شخصيته أقوى
من أن يصقلها العمل الدبلوماسي في احدى الاجتماعات صادف أن رئيس
الوفد السوري كان يذكر في حديثه أرقاماً غير دقيقة فلم يستطع سامي أن
يسكت لأنه اقتنع أن سكوته سيفقده ورقة الثقة التي حمل أمانتها في التقارب
وإزالة سوء التفاهم بين مصر وسوريا ولم يتقيد بالعرف المهني فالتفت إلى
رئيس الوفد وقال له بأدب ليلفت نظره أظن أن هذه الأرقام من الذاكرة
والذاكرة كثيراً ما تخون فتجهم الجميع وكان على رؤؤ وسهم الطير وإذا بالرئيس
عبد الناصر يقول لوزير الدولة لشؤون رئاسة الجمهورية السيد عبد المجيد
فريد «ضع كرسي الأخ سامي هنا هو» فضحك الجميع . . . فتابع رئيس الوفد
السوري قوله حقاً إن هذه الأرقام من الذاكرة وأنا لا أعتمدها ولكنها تقريبية
وحين انتهى الاجتماع وخرجوا من القاعة قدم سامي استقالته . وقال لرئيس
الوفد لم أكن دبلوماسياً حين لفت نظرك ولكن خوفي من أن أفقد ورقة الثقة
التي تتيح لي أن أعمل على إزالة سوء التفاهم بين مصر وسوريا دفعنتي لأن
أقول ما قلت ولو كان منافياً للعرف الدبلوماسي ، وقد قررت أن أعود معكم
في طائرتكم إلى سوريا ولا تتصوروا أبداً أنني سأبقى هنا لاجئاً سياسياً . لكن
رئيس الوفد مزق ورقة الاستقالة دون أن يفتحها وشكر سامي على تصرفه
هذا . . .

كانت إقامتنا في القاهرة أمتع وأخصب فترة من حياتنا الدبلوماسية . .
لن أنسى حين اجتمعنا زوجات السفراء العرب بالقاهرة وقررنا المشاركة بعمل
جماعي بعد النكسة في عام ١٩٦٧ قد عملنا جميعنا في مستشفى القوات المسلحة
في المعادي وكنت أعمل مع حرم سفير الكويت السيدة سميرة الدباغ في القسم

المخصص للمحروقين بالنابالم كان الاستغراق الكلي في خدمة هؤلاء المحروقين هو الشيء الوحيد الذي ينسينا أنفسنا وينسينا مؤقتاً ضربة النكسة التي هزتنا حتى الأعماق . . . كم كان منظر العمل النسائي العربي الوجدوي له تأثير في نفوس أبنائنا الجنود المصريين المحروقين من أجل القضية القومية المشتركة . وشهد الله أن أزواجنا كانوا يشجعوننا ويدفعوننا لهذا العمل على الرغم من إهمالنا لبيوتنا وأولادنا وأذكر في مساء يوم اتصلت معي رئيسة المرضات في قسم النابالم . . . وقالت بأن أحد المحروقين يرفض أن يتناول السوائل المخصصة له لأن نفسه أن يأكل خيار . وأنت تعلمين أن وضع حرقه في الوجه لا يستطيع أن يمضغ . . . ويؤسفنا أننا نزعجك في هذا المساء ولكن المحروق يلح في طلب أبلة الحنينة احسان فماذا نفعل ؟ سمع زوجي هذا وكان قد ذهب السائق إلى داره . فقال لي سامي :

«لا تخذليه يا أبلة يا حنينة وسوف أسوق بك أنا لهنالك ولن أخذلك بالتالي . هذا جندي محروق من أجل البلد فلا تبخلي عليه . اذهبي وحاولي أن تساعديهم . وفعلاً ذهبت وقد اشتريت خياراً وأخذت مبشرة فبشرت له الخيار ووضعت ماء الخيار في الابريق «ذو البزبوزة» المخصص لاطعامهم وقلت له بنفسك خيار يا ولدي خذ سائل الخيار وخذ وجبتك التي بها الأدوية حتى تقوى وربنا يشفيك حتى تستطيع أن تأكل كل شيء . فانبسطت أساريه وقال «مش قلت لكم أبلة الحنينة حتجيبها» . . . وانفجر باكياً لأنه تصرف كطفل فخجل من نفسه واعتذر عن الازعاج . . . لكنني لم أشعر براحة كما شعرت في تلك الليلة وهذه نص الرسالة التي أرسلها اللواء عبد الحميد المرتجي رئيس مستشفى القوات المسلحة إلى زوجي .

مستشفى القوات المسلحة بالمعادي

مكتب القائد

الفيد : ١٠٤٢٠ / الملف ٣٣٧ / ٠١

التاريخ ٣ / ٧ / ١٩٦٧ ج / ٥ بريد حربي

السيد الفاضل / سفير الجمهورية السورية

بعد التحية ،

يسعدني أن أسجل لسيادتكم بالشكر والامتنان الدور الانساني النبيل
الذي قامت به السيدة الفاضلة حرمكم في تضميد جراح وتخفيف آلام مصابي
وجرحى العمليات الحربية التي شنتها قوى الغدر والخيانة ضد الأمة
العربية .

ﷺ لقد كان للرعاية الطبية الرحمة التي قدمتها تلك الأيدي الكريمة أثر
كبير في تماثلهم للشفاء مما قوى عزيمتهم وحثهم على تجديد النضال لرد العدوان
والظفر بالنصر لأمتنا العربية والله ولي التوفيق .

لواء طبيب محمد عبد الحميد مرتجي
مدير مستشفى القوات المسلحة بالمعادي

مستشفى القوات المسلحة بالمعادي

مكتب القائد

الزييد : ١٠٤٥ / الحظ : ١٠٤٥

٥ / برصيد حرسى

التاريخ : ١٩٦٧/٧/٣

السيد الفاضل / سفير الجمهورية السورية
بعد التحية

يسعدنى أن اسجل سيادتكم بالشكر والامتنان الدور الانسانى
الغيبيل الذى قامت به السيدة الفاتمة حرمكم فى تامين جراح وتخفيف الام
مصايب وجرحى العمليات الحربية التى عنتها نوى الغدر والابانة ضد
الامة العربية .

ولقد كان لثراية الدمية التردية التى قدمت لها الايام الكريمة
اثر كبير فى تماثلهم للثناء ما نوى عزيمتهم وشيم على تجديد الثناء لورد
الحدوان والظفر بالنصرة لنا العربية والله ولى التوفيق .

ابراء / ميمى / محمد عبد السيد برتجى
مدير مستشفى القوات المسلحة بالمعادي

(٦٦/٥)

رسالة مدير مستشفى القوات المسلحة بالمعادي بالقاهرة .



من لقاءات العمل النسائي بعد حزيران
من اليمن الليسار - حرم سفير المغرب المهدي زنتار
- الشيخة سعاد الصباح
- احسان الدرويهي

بعد نكسة ١٩٦٧ مباشرة طلبنا من سكرتيرة السفارة أن تعتذر عن أي موعد زيارة للسلك الأجنبي لأن حالتي النفسية سيئة جداً بعد الهزيمة وبأي وجه سأقابل الأجنب . في يوم عدت من مستشفى المعادي فكلمتني السكرتيرة تخبرني أن سفارة فيتنام اتصلت معها عدة مرات تطلب موعداً لزيارة حرم السفير وتسالني ماذا أجيها على الحاحها هذا . . . لم أر بدأ من استقبالها ولسان حالي يقول : «الحال واحد وكلانا ننضرب من أمريكا وحليفها» المهم حضرت هذه السيدة ما أن جلست حتى أخذت تحدثني عن سوريا . . . وكيف أن المعلم وتقصد «هوتشه منه» كان يعتبر سوريا هي مركز الاشعاع التضالي إبان الثورة السورية في العشرينات حين كانت فرنسا في عز جبروتها وكنا كلانا تحت الاستعمار الفرنسي وكانت أخبار الثورة السورية هي الدفعات المحفوفة فكراً وثورياً لتأجج الشعب الفيتنامي . . والمعلم مهمته تسليط الأنوار على بطولات الشعب السوري الذي ألقى فرنسا وكم تحدثت عن أعمال الثورة السورية بدقة أثارت اعجابي ودهشتي كيف وصلتها كل هذه المعلومات وقيل أن تنتهي الزيارة أخرجت من حقيبة يدها خاتماً وأهدتني إياه مصنوع من حطام الطائرة رقم ٢٠٠٤ ومعنى هذا الأذلال لأمريكا من الشعب الفيتنامي ولا أكتم كم رفعت هذه السيدة الفاضلة من معنوياتي بزيارتها هذه .

حدد لسامي موعد مع طبيب في لندن مختص بأمراض القلب للكشف عن امكانية اجراء عملية جراحية . وتصادف أن يحدد موعد مجيء وفد مصري إلى سوريا لأول مرة بعد الانفصال برئاسة رئيس مجلس الشعب المصري في نفس موعد سفرنا إلى لندن . وأرجأ سامي سفرتنا على الرغم من ضرورتها الملحة لبعث انتهاء الزيارة لسوريا وفعلاً جئت مع الأولاد إلى دمشق وفي هذه الزيارة المشؤومة فقدت ابنتي سلمى حيث اختفت مع الأولاد إلى دمشق وفي هذه الزيارة المشؤومة فقدت ابنتي سلمى حيث اختفت بالغاز وهي تستحم وكان سامي أول من شم رائحة الغاز فتح باب الحمام وإذا بالصبية متمددة في أرضه فحملها رغم مرضه وسار بها عدة خطوات فإذا به يصرخ قلبي وتنهار قواه ويبيض وجهه وتسقط سلمى من بين يديه ويسقط هو بقرها

فحملته لسريه ووضعت في فمه عدة حبات من الحبوب الموسعة للشرابين .
واتصلت مع الدكتور جمال أتاسي مستجدة به فحضر مع دكتور القلب
أبو الخير أتاسي . وكانت في هذه الأثناء الدكتورة الهام الدروبي أخت زوجي
تحاول أن تسعف سلمى المسجاة في مدخل الدار والمختنقة بالغاز ، فقالت
الدكتورة الحالة سيئة جداً ربما استطعنا اسعافها في المستشفى بالاستعانة
بالجراحة فحملتها وذهبت إلى مستشفى المواساة وبقيت الدكتورة الهام عند
أخيها .

حملت الصبية إلى غرفة الاسعاف واجتمع حولها عدد من الأطباء . وقد
صعقت كيف لاتنقل لغرفة العمليات فصحت أين طبيب القلب الجراح ؟ لماذا
لا تسرعون بالجراحة . فقال لي الدكتور الجراح وعرفت فيما بعد أنه الأستاذ
سامي القباني سيدتي لم تعد تنفيذ الجراحة إنها في هذه الحالة تشريح جثة
عندها صحت الله أكبر هل يعقل ما أسمع وأحسست أن جمره نار تتوهج في
أحشائي وتحرق قلبي وكبدي . فقلت كيف سيتحمل قلب سامي الضعيف
هذه الفاجعة وتضرعت إلى الله أن يقبل سلمى فداء عن سامي كما قبل الكبش
فداء عن اسماعيل . كان المفروض أن نحمل الصبية إلى دار أبيها ليطم مراسم
الجنائز من هناك . ولكن من شدة خوفي على والدها أخذناها لدار جدتها أم
سامي ومن هناك تم كل شيء . ولم أكن أعلم أن سامي ليس في الدار بل كان
قد حمل لغرفة الانعاش المشدد في المستشفى العسكري لتدهور حالة قلبه .
كان كل ما يمر أمامي يهني لي أنه كابوس . . . سجيت الصبية على السرير
وجلست على الأرض ووضعت القرآن الكريم على الوسادة قرب رأسها
وبدأت أقرأ بالقرآن . . وكانت نار تشتعل في قلبي تحرق كبدي . . . وأنا في
حالة استسلام لقضاء الله انظر إليها وأصبح مش معقول أنها نائمة أين الطبيب
ليعيد الفحص .

فيدخل طبيب ويثبت ما قيل وبقيت على هذه الحال حتى قمت بنفسي
بعملية غسلها إن جميع الأحباب الذين اكتظت بهم الدار حاولوا أن يمنعونني من
هذه المهمة لكنني لم أستمع حتى ولا لتضرع أمي الخائفة علي . . . فقلت
بعنف لا أحد يتدخل لم أخدم هذه الصبية لا بحفل شهادة ولاخطوبة . .

ولا زواج . . . دعوني وشأنني مع حبيبتي سلمى في الدقائق الأخيرة التي لها على وجه الأرض . وكنت أنوي أن أرافق الجثمان إلى المقبرة لأكون مكان والدها ولكن في تلك اللحظة قيل لي كلمي سامي على الهاتف ، ما إن مسكت الهاتف حتى سمعت صوت به الضعف والعنف . يقول «احسان خافي الله لماذا لم تطمئني عن سلمى كيف هي الآن . . . احضري حالاً أريد أن أراك قلت حاضر وأدركت فوراً أن سامي لم يعلم بعد بالفاجعة التي حلت بنا لأن أحداً لم يتجرأ على اخباره وهو في تلك الحالة الخطرة . ولم يقبل أحد من جميع أفراد العائلة والأحباب على اصطحابي لعنده ، سوى الصديقتين رفقة كمال ورياض عناية ، في الطريق إلى المستشفى العسكري كنت أقول يارب ألهمني ماذا أقول له . . . كيف سيتحمل هذه المصيبة ؟ واقتنعت أخيراً أن منظري هو أعمق كلام ، وصلنا إلى باب غرفته وكان وزير الخارجية ورئيس الأركان خارج الغرفة فقالا لي إن سامي ثروة للوطن . . . ووضع قلبه سيء جداً كما تعلمين . لذا لم نعلمه نحن . وتشجعي عليك مسؤولة كبرى حاولي ألا تنهاري أمامه . . دخلت والنار تتأجج في الفؤاد وتحرق الكبد . . وكانت طرقات قلبي غير منتظمة تتراوح بين الطرقات العنيفة التي تهزني وبين لا طرقات اطلاقاً كأنها توقفت . . المهم دخلت لغرفته كان أنبوب الأوكسجين في أنفه والسيروم في ذراعه والدكتور أبو الخير أتاسي والدكتور ناظم البني أمامه . بجهد وبغضب وعتاب قال سامي «خافي الله لماذا لم تطمئني عن سلمى حتى الآن . . قلت يا رب ، جلست على حافة سريره ، ومسكت يده بين يدي الاثنتين وأجبتة بدون انفعال كأن سلمى ليست النار التي تحرق كبدي يا سامي إن الأوكسجين مازال في أنف سلمى وليس فيها من علائم الحياة سوى النفس طالع نازل ويؤكد لي الأطباء أن مركزاً من مراكز المخ قد تلفت وكم من مرة حاولت أن أسحب الأوكسجين من أنفها حتى لاتصبح سلمى الذكية بلهاء . ولكنني شعرت أنه ليس من حقي لوحدني أن آخذ هذا القرار . فحضرت لأستشيرك . . وحاولت أن أبلع ريق عيشاً . . فإذا به يتضرع إلى الله بخشوع يارب يارب ربح سلمى خذ سلمى لاتترك الصبية الذكية بلهاء ذات عاهة ، ولم أسمع بعد ذلك شيئاً لقد فتحت عيني فإذا أنا

متمددة على سرير في غرفة ثانية يسعفونني وسمعت أحدهم يقول - كم كنا نخاف أن نخبره بموت سلمى فإذا به يتمنى لها الموت بعد أن بلغ هذه الطريقة الذكية . عرفت وأنا بين الصحو والغيوبة صوت الصديقة رفقة كمال وهي تحببه إنه وحي من الله لهم احسان أن تقول هكذا . كان جمع من الأصدقاء والأطباء في غرفة سامي حين رن جرس الهاتف وقيل لي تكلمي مع مصر . كان المتحدث سامي شرف وزير الدولة لشؤون رئاسة الجمهورية سأل عن سامي وقال السيد الرئيس عبد الناصر يريد أن يطمئن عن صحة الدكتور ويجدته . . . أعطيت سامي الساعة فإذا عينا سامي تتسعان وسمعناه يقول . «سيادة الرئيس ماذا تكون سلمى بالنسبة للأبطال الضباط الشباب الذين يستشهدون كل يوم في حرب الاستنزاف» . . . كان عبد الناصر يردد قلبنا معاك ياسامي الأخوان كلهم هنا منتظرينك . شد حيلك ربنا يقويك . . . وكان يتورد وجه سامي ما أن انتهت المكالمة . حتى سمعنا وزير الخارجية يقول للدكتور أبو الخير أتاسي ضاحكاً . . . يادكتور إن هذه المكالمة التلفونية فاقت كل أدويةك الصحية .

مكث سامي في المستشفى عشرة أيام وفي نفس اليوم الذي خرج به من هناك اتصلت معنا الخارجية السورية وأبلغتنا أن السيدة جهان السادات والسيدة حرم الأستاذ أحمد بهاء الدين ستحضران للتعزية وعدنا معاً إلى القاهرة بعد أن سمح لسامي بركوب الطائرة . وفي اليوم التالي لوصولنا حضر الرئيس عبد الناصر لدارنا معزياً جلس في الصالون ونظر طويلاً إلى صورة زيتية لابنتي الراحلة سلمى ثم قال :

«صعبت على الصبية الحلوة أن تموت مثل هذه الموتة الفظيعة أن ينفجر الغاز وتحترق وتشوه وتتألم هذا الألم الفظيع فقلت مقاطعة لا ياسيادة الرئيس لم تشوهه ولم تحترق لقد سممت بالغاز واختنقت دون أن تشعر بشيء كأنها نائمة . فقاطعني سامي ملفتاً نظري أن تعزية الرئيس رئيسة التعازي فقد كان من الممكن أن تموت ابنتنا وقد انفجر الغاز حقاً واحترقت وتعذبت وتشوهت . فإذا بقلبي يبرد طالما الأجل محدود فإذا جاء أجلهم لا يستقدمون ساعة ولا يستأخرون .

مكثنا أسبوعاً بالقاهرة نستقبل المعززين والأحباب . . . وبعد ذلك استدعي سامي إلى الاسكندرية وكعادتنا كانت العائلة كلها تسافر مع سامي . حجزنا في فندق فلسطين وحين وصلنا كان في صالون الفندق ممثل الرئيس عبد الناصر حسن صبري الخولي فاستقبلنا وبلغنا سنكون ضيوف الرئيس عبد الناصر أمر أن تحجز لنا استراحة استانلي فذهبنا هناك . مضت ثلاثة أيام والرئيس لم يحدد موعد لزيارة سامي . . . وفي صباح اليوم الرابع نهض وقال بشيء من الانفعال هيء الحقائق لن أنتظر أكثر ما انتظرت وحين هبط إلى الصالون كان السيد حسن صبري الخولي قد حضر لزيارتنا قال له سامي : «يظهر أن السيد الرئيس مشغول جداً وها قد مضى ثلاثة أيام منذ استدعيت ولم يتسع وقته ليقابلني . سنعود اليوم إلى القاهرة . وأرجو أن أبلغ حين يكون عند السيد الرئيس وقت أن أبلغ قبل ولو ساعتين لأحضر فوراً . . . وبينما كنت أحضر الحقائق إذا بالهاتف يرن . وإذا بالموعد يحدد في الساعة السادسة مساء .

عاد سامي من المقابلة خجولاً من نفسه إذ ظن أن السيد الرئيس قد أهمله ، تلك الأيام الثلاثة قبل استقباله أي منذ وصولنا للاسكندرية . وبدأ حديثه تصوري أول ما قابلت السيد الرئيس قال : «علمت من البروتوكول أن رئيس الدولة له الحق أن يستدعي السفير المعتمد إلى أي مكان في بلاده وأنا أرحب أن أستدعيك شهر أغسطس كله في الاسكندرية ، وضحك وتابع إنك وزوجك بعد المصيبة التي حلت بكما بحاجة ماسة لتغيير الجو وستظلون معنا شهراً كاملاً .

فشكره سامي وخجل من نفسه وفي هذه الزيارة علم سامي من السيد الرئيس أنه هو أيضاً أصيب بالقلب (لكن هذا الخبر كتمه عنى) ، وأظن أن هذا الخبر كان من الأشياء القليلة التي لم أطلع عليها . وأخبره أن هناك دواء يابانياً جديداً لترميم الشرايين وافق الأطباء الروس على استعماله وهو يشعر بتحسن وأعطى سامي علبة ممتلئة بهذا الدواء . . .



تمزية عبد الناصر بوفاء كحلل الدر وبعين .
سكر



تعزية عبد لناصر بوفاة ليلي الدر وبي

سكن

حين اشتدت وطأة المرض على سامي مكث في البيت للراحة وفي صباح يوم دق جرس الهاتف وقال لي المتحدث هنا الرئاسة السيد الرئيس سيوزركم ليعيد الدكتور سامي في الساعة الحادية عشرة . فذهبت وأخبرت سامي بذلك ، فسألني من هو المتكلم من الرئاسة ؟ أجبته لا أعرف . قال : لمَ لم تسألني عن اسمه ؟ قلت : «فאתي ذلك» قال : «هذا خطأ لا يغفر لمن عمل بالسلك الدبلوماسي فترة طويلة . . . هل رئيس الدولة عنده الوقت الكافي ليزور المرضى من السفراء ؟ وهل سمعت قبل هذا عن مثل ذلك ؟ وأحسست بصوته رنة عتاب مع لفت نظر انني لم أتصرف كما يليق بزوجة سفير ، ثم ألم يخظر ببالك ان يكون أحد الأصحاب قد أحب ان يعمل معنا مقلباً . ولم تمض نصف ساعة حين خرجت الى الشرفة المطلة على الشارع فرأيت سيارات المحافظة تغسل الأشجار وعمال البلدية تنظف الشارع أسرع لغرفة نوم سامي وقلت بثقة :- «سامي الرئيس سيحضر بكل تأكيد لزيارتنا لأن محافظ القاهرة مهتماً جداً بنظافة شارعنا ونظافة أشجاره في هذا اليوم بالذات . . . وفعلاً في تمام الساعة الحادية عشرة وصل السيد الرئيس عبد الناصر . . . قلت للسيد الرئيس : لامني اليوم الدروبي بعنف وقصصت عليه ما حصل فضحك والتفت اليه وقال :-

«أشعر يا أخ سامي ان وجع قلبك ده جالك وانت تبني الكوبري بين سوريا ومصر طوبه طوبه» أي وانت تبني الجسر بين سوريا ومصر حجراً حجراً . وتابع يقول سافر الى امريكا وخذ الدواء الياباني معك وقد أصر أن يرافقنا طبيبه الخاص الأستاذ الدكتور حمدي السيد اخصائي القلب .

لم أفهم سر الدواء الياباني لأن خبر اصابة قلب الرئيس عبد الناصر كان قد كتبه عني سامي وأظن أنه من الأمور القلائل التي لم يطلعني عليها ولم أعرف الآ بعد وفاة الرئيس حين سمعني ألطم وأقول مش معقول عبد الناصر عنده مرض قلب ، فقال نعم ان الرئيس مصاب بالقلب ولم أخبرك يا إحسان وأنا أعلم ذلك منذ أعطاني الرئيس عبد الناصر الدواء الياباني الجديد ولكن هذا كان يجب أن يبقى سرا ولم أطلعك عليه .

حضر حامل رسالة من دمشق فكان على سامي أن يتصل بالرئاسة ويطلب تحديد موعد وكانوا قد عودوه أن يجاب لتحديد الموعد بأقصى سرعة . ولكن في هذه المرة تأخر تحديد الموعد أربع وعشرين ساعة مضت ثقيلة . . . فاستغربنا وضيفنا منتظر ، وأذكر حوالي الساعة السادسة مساء حدد الموعد وذهب سامي رأساً وحين عاد كان مستبشراً سعيداً سعادة لا توصف إذ أن تأخير تحديد المقابلة كان سببه شيء يثلج القلب لقد كان سببه ان الرئيس عبد الناصر لم يكن في القاهرة بل كان يحضر عملية لعبور الجيش المصري حية على قناة القناطر الخيرية أشبه ما تكون بقناة السويس وعمل ميداني حي ، كان يقوم به الأبطال المصريون أمام الرئيس عبد الناصر استعداداً وتهيئة ليوم العبور الذي لم يره في حرب تشرين سنة ١٩٧٣ .

سافر حامل الرسالة إلى دمشق وحضر في اليوم الثاني اللواء مصطفى طلاس واجتمعاً مع الرئيس عبد الناصر هو وسامي اجتماعاً مطولاً لم يحسب له أن يأخذ هذا الوقت فمضى وقت الغداء فاقترح الرئيس أن يتناولوا الغداء غير رسمي معه . ولا شك أن اللواء طلاس يذكركم كان ذلك الغداء بسيطاً . بعد أيام كان مؤتمر دول المواجهة في ليبيا . اتصلت الرئاسة بسامي ليسافر بطائرة الرئيس عبد الناصر . وحين عاد سامي جلست أمامه كالعادة لاصغي الى حديثه عن رحلته قال :-

ما أن صعدت الى الطائرة حتى قادني مدير التشريفات وأجلسني في مقصورة السيد الرئيس وقال لي هذا مكانك بناء على أمر من السيد الرئيس . وبدأ السيد الرئيس الحديث قائلاً :-

«حمدا لله أن صحتك تحسنت واستطعت أن تحضر معنا وأنا قد طلبت أن يرافقنا الدكتور / حمدي السيد لتبقى تحت اشرافه اننا مقدمون على عمل وحدوي ولعلمي بإيمانك وحبك للوحدة حرصت أن تعيش معنا هذه الأيام . وحين وصلنا الى قصر الضيافة وعرفني على الرئيس القذافي قائلاً له : «أعرفك على الدكتور سامي الدروبي سفير سوريا الوحدوي بل سفير العرب . فإذا بالرئيس القذافي يحتضني ويقبلني ويجب الرئيس عبد الناصر نحن نعرف الدروبي منذ أن قدم لسيادتكم اوراق اعتماده وكنا ضباطاً قبل

الثورة وانني احفظ كلمته من كثرة ما رددتها أنا والرفاق . . . وأخذ يردها أمام الجميع .

وكانت مباحثات طرابلس وهذه أيضاً سأتركها لمذكراته حين تنشر ولكنني أذكر هذه الحادثة فقط في طريق العودة من ليبيا فأد رئيس التشريفات سامي إلى الكرسي الذي بجانب الرئيس عبد الناصر وقال له وهو يبتسم : «حسب أوامر السيد الرئيس» .

بعد الاقلاع بدقائق ارسل وزير الخارجية السيد محمود رياض ورقة الى السيد الرئيس فضاها وقراها فطلب من حامل الورقة أن يستدعي وزير الخارجية فاستأذن سامي ليغير مكانه ليفسح المجال لاختلاء السيد الرئيس بوزير خارجيته ولكن السيد الرئيس عبد الناصر قال لا يا سامي لتبقى معنا ويجب ان تعرف حكاية مبادرة روجرز . . . قال محمود رياض سيدي الرئيس وصلت تلك الاشارة عن مبادرة روجرز فما رأي سيادتكم وتحدثوا عنها وعن أبعادها بحضور سامي ومشاركته للحديث فأجاب السيد الرئيس :- «سواقف على المبادرة لأنها فرصة أن تبنى قواعد الصواريخ سام ستة على ضفاف القناة حتى تحمي العمق المصري ولا تكرر أمثال ضرب مدرسة أطفال بحر البقر ، أو مركز توليد كهرباء كوم حمادة . وإن وقف حرب الاستنزاف ووقف اطلاق النار هو فرصة لتقديم بطاريات صواريخ سام على طول خط القناة كما ذكرت» . ولا شك أنه كان للمواقع الجديدة التي اكتسبتها الصواريخ دور بالغ الأهمية في تقرير مصير معركة العبور فيما بعد في حرب تشرين ١٩٧٣ وقد أحيطت المعلومات بالسرية لذا سافر سامي شخصياً الى دمشق لتبليغ ذلك ، ولتعرف دمشق أن الرئيس لن يجد حرجاً في إجهاض مبادرة روجرز بعد تحقيق هدفه العسكري في اقامة الصواريخ . . . وكانت صعوبة هذه المهمة على سامي لا بالنسبة لدمشق ولكن بالنسبة لإزالة الحيرة والتساءلات عند كثيرين من القيادة الفلسطينية .

وفي صبيحة الغد سافر الرئيس عبد الناصر الى موسكو وكما هو معلوم أعلنت الموافقة على المبادرة الامريكية . وسافر سامي الى دمشق . . . وهناك تفاصيل في مذكراته عن تلك الحقبة والاستعداد للحرب . . .

كان لتلفزيون مصر برنامج اسبوعي يدعى شريط تسجيل يقدم لشخصية بارزة في ميدان من الميادين فعلى ضيف ذلك البرنامج ان يملئ شريط تسجيل بموضوع يراه مناسباً .

وبما أن زوجة الكاتب هي العين التي تراه والاذن التي تسمع ما يقول وما يقال عنه كما سبق وقلت فلاني احتفظت بتسجيل لذلك البرنامج وهأنذاك أفرغه حرفياً في هذا الكتاب . إذ أن سامي طرح مشاكل ثقافية ما زالت حتى يومنا هذا موضوع اهتمام مثقفي الوطن العربي

كانت تشرف على هذا البرنامج المرحومة السيدة سلوى حجازي .

ابتدأت البرنامج قائلة :

النهار ده موعدكم مع حلقة جديدة من برنامج شريط تسجيل ونهديه اليوم إلى وجه ممتاز من وجوه الثقافة العربية الحديثة ساهم في مجالاتها المتعددة استاذ جامعي وأديب وسياسي . دخل الى السياسة من باب الثقافة . بهره التراث العربي فأمن بوحدته وبإمكانية تطويره . وبهره التراث العالمي فساهم في ترجمته الى اللغة العربية . استاذ علم النفس في جامعة دمشق ووزير التربية السابق وسفير سوريا في مصر حالياً الدكتور سامي الدروبي يرجع له الفضل في ترجمته الأعمال الكاملة للكاتب دوستوفسكي . أهلاً وسهلاً البرنامج يرحب بسيادتكم ويقدم لكم شريط التسجيل وسوف تقدم عليه الفقرات التي تحب ان تناقشها وأبدأ بأن اسألك .

لمن سوف تهدي هذا الشريط فقال :-

أهدي هذا الشريط الى الأخوة والأصدقاء الذين لبوا دعوتي الى المشاركة في ملء هذا الشريط ، ولكنني لا أهديه اليهم عرفاناً بجميلهم الصغير هذا ، وإنما أهديه اليهم عرفاناً بجميل كبير يسدونه لامتهم ، لأنهم من الوجوه البارزة التي تشارك في بناء نهضتنا الحديثة ، وفي صنع الثقافة العربية ، وفي إنشاء الفن العربي الحديث تصويراً وموسيقى وشعراً وأدباً ومسرحاً .

وأهديه كذلك الى الشعب العربي في مصر الذي يحمل العبء الأكبر في معركة النضال من أجل تحرير الأرض العربية ووحدة الأمة العربية ، ويبدل في ذلك أعظم التضحيات .

وأهديه بعد هذا أو قبل هذا وفوق هذا الى الرجل الذي لن يراه ،
الرجل الذي ليس كالرجال ، بل كرواسي الجبال عزمًا وصموداً . . . الرجل
الذي يحمل هموم أمته العربية كلها ، ويسهر حين ننام ، ويعمل حين قد
نلهو . . . والذي تعقد على بطولته الآمال ، أهديه الى قائد أمتنا الكبير ،
جمال عبد الناصر .

بدأت بالسؤال التالي . أیه رأي حضرتك يادكتور سامي ايه المفروض
ان يتوفر بمن يقوم بمهمة الترجمة ؟ . . .

- لا أحسب انني استطيع الاجابة على هذا السؤال ارجحاً ، فأحصي
جميع الشروط التي يجب أن تتوفر فيمن يتصدى لترجمة الأعمال الأدبية خاصة .
الترجمة العلمية سهلة طبعاً وكذلك ترجمة الفلسفة وعلم الاجتماع وعلم
النفس فلغة هذه العلوم لغة لا أقول أنها فقيرة على اطلاقها كلمة الفقر ولكن
أقول أنها فقيرة نسبياً وانما الفن والثراء في لغة الأدب . أعتقد انني لا أضيف
جديداً اذا قلت ان الشروط التي يجب أن تتوفر فيمن يتصدى لترجمة الاعمال
الأدبية هي كما تحصى عادة وكما يعددها سائر الباحثين في هذا الأمر ثلاثة -
التمكن من اللغة الأجنبية اولا التي تنقل عنها ثانياً التمكن من اللغة العربية
التي تنقل اليها وثالثاً التمكن من المادة التي هي موضوع الكتاب او البحث
الذي ننقله الى اللغة العربية . بالنسبة للتمكن من المادة ، هذا طبيعي في
الترجمة العلمية والفلسفية والاجتماعية والسيكولوجية والتاريخية ، هو
التخصص في هذه المادة والتمكن منها .

أما بالنسبة للأدب هي توفر الذوق الأدبي ، وهذا موهبة تصقل ولكنها
لا تتعلم فمن لم يكن ذا موهبة لن يحقن بموهبة ولا يمكن ان يعلم كيف يتذوق
الأدب . والتمكن من المادة هنا هو هذه الموهبة ، هذا الذوق الأدبي . ولكن
ما معنى التمكن من العربية ومن اللغة الاجنبية بالنسبة للأدب ؟ لا تمكن من
العربية بدون معرفة آدابها معرفة عميقة . لا يعرف العربية معرفة تؤهله لأن
يمسك القلم وينقل اليها من لا يقرأ القرآن دائماً ، من لا يقرأ الجاحظ وأبا
حيان التوحيدي ، ومن لا يترنم بشعر المتنبي وأبي العلاء وأبي تمام لا يعرف
العربية معرفة تؤهله لأن يمسك بالقلم وينقل اليها من لم يملك الكنوز الثرة

للغة العربية مختزنة في آدابها وتراثها .

نأتي الى التمكن من اللغة الأجنبية يصدق هنا ما يصدق على التمكن من اللغة العربية ليس كل من درس اللغة الفرنسية في المدرسة والجامعة بقادر على أن يترجم منها . وإنما ينبغي للمتروجم في ميدان الأدب ، أن يعرف اللغة الأجنبية في آدابها . وأجاذف فأقول : أن عيار التمكن من اللغة الأجنبية هو الوصول الى القدرة على تذوق شعرها ، الاحساس بموسيقى شعرها وقبل ذلك لا يكون ثمة معرفة تامة باللغة الأجنبية .

وأعود الى التمكن من المادة ، فأثير انه يعني ، بالاضافة الى الذوق الأدبي ، مصاحبة ومعاشرة المؤلف المترجم عنه . أعرف اناساً يشرعون في ترجمة رواية قبل أن يقرأوها كاملة .

ماذا يحدث حين لا تتوفر هذه الشروط في المترجم ؟

تحدث أحياناً مضحكات أو مبكيات . ولا أريد أن أضرب أمثلة صارخة وإنما أكتفي بمثال واحد ، وقعت على إحدى الترجمات على مترجم ينقل عبارة . . . IL est Capble de tou كما يلي : هو قادر على كل شيء .

فالمترجم هنا : أما أنه يجهل ما الذي توحيه هذه العبارة في العربية ، لجهلة باللغة العربية . وإما انه لا يعرف معناها بالفرنسية . وإما أنه لجهلة بالعربية ، لم يهتد الى العبارة العربية المقابلة ؛ انه لا يتورع عن شيء ، أولاً يحجم عن شيء . . . الخ .

ترى ما هي المخاوف أو إساءات الترجمات الرديئة ؟

- أفسدت اللغة العربية ، وهبطت بها الى الركالة . الشباب متعطش الى قراءة الانتاج الاجنبي الدسم .

أفسدت المؤلفات المترجمة فأصبح الظن فيها سيئاً وأعطت سلاحاً لأهل الجمود الذين يرفضون الا التراث .

المترجم يجب أن يكون من أصحاب الأقلام ان يكون اديباً . أن اندره جيد ختم حياته الأدبية الحافلة على ترجمة بعض مسرحيات شكسبير .

ما هو مستوى الترجمة الموجودة حالياً التي تظهر في هذه الأيام ؟ الحقيقة انه يوجد الآن موجة كاسحة من الكتب المترجمة التي تظهر في أيامنا هذه بعضها

جيد وبعضها رديء . . . بل بعضها جيد جداً يستحق إعجاباً كبيراً جداً .
لا أنسى مثلاً أن فيليكس فارس حين ترجم كتاب هكذا تكلم زرادشت لينتشه
الى اللغة العربية قد أعطانا ترجمة تضاهي الأصل الفرنسي الذي ترجم عنه
ذلك أن هذا الكتاب كتب في الاصل في اللغة الألمانية : اقول ان ترجمته هذه
أفضل من الفرنسية التي نقل عنها الفضل في هذا ليس له وحده وانما هو ايضا
وفي الدرجة الاولى الى اللغة العربية التي تبلغ من الغنى والثراء مالا تبلغه لغة
أخرى في العالم فمكنته في أن يعيش فكر وروح نيتشه وشعر نيتشه هو كتاب
نثر يكاد يكون شعراً وربما تفوق على الشعر باللغة العربية طواعيتها له هو
فيليكس فارس لابطواعيتها لمن لم يعاشرها ويصاحبها ومن لم يتمكن منها
تمكنا كاملاً أقول جاءت ترجمتها العربية خيراً من الترجمة الفرنسية فعلاً .

لكن بكل أسف أكثر الترجمات التي تظهر لا تملك ما تملكه ترجمة
فيليكس فارس او ترجمة غيره من المترجمين المجدين من نصاعة البيان واشراق
الاسلوب وشفافية العبارة وما الى ذلك من ميزات يجب ان تتوفر في الترجمة .
دكتور سامي دائها تتكلم الفصحى السلسة وأنا أتساءل هل حضرتك من
أنصار استعمال اللغة العربية الفصحى حتى في الحديث اليومي ؟

هذان سؤالان لا سؤال واحد ؟

١ - لماذا اتكلم الفصحى ؟

لأنني اوثرها على العامة .

أما لماذا استسهل التكلم بالفصحى ؟

بالفعل أنا حين اصطنع العامة يتعثر لساني وأتلعثم حقيقة . وربما كان
الفضل في أنني اتكلم بالفصحى بطلاقة كما تكلمت ووصفت كلامي هو أنني
مارست مهنة التدريس على مدى عشرين عاماً فكنت استعمل الفصحى ،
وايضاً لأنني طفت في البلاد العربية ورأيت أن هذه اللغة الفصحى التي هي
مقومة أساسية من مقومات وحدة الأمة العربية . . . هي اللغة التي استطيع
أن أتخاطب بها مع جميع الناس في كل قطر من الاقطار العربية . . . فإذا لم
اتكلم بالفصحى عز علي غيري أن يفهمني . . . وعز علي أن أفهمه أيضاً
لأنني متى تكلمت بفصحى فسيجيبني بفصحى ما وعندئذ يسهل التخاطب

والتفاهم . وأظن أن هذه المشكلة ستار بعد قليل حين سنتكلم مع الشاعر صلاح عبد الصبور والشاعر صلاح جاهين في قضية الفصحى والعامية لاني لغة التخاطب طبعا ولكن في الكتابة على الأقل سواء الكتابة للمسرح ، أو الغناء أو الكتابة الشعرية .

نتقل الآن الى الفقرة الخاصة بالعامية والفصحى ونرحب بالاستاذ صلاح عبد الصبور والاستاذ صلاح جاهين .

الدكتور درويبي : - لا أريد أن أمهد للحوار الذي بين الاستاذ صلاح جاهين والاستاذ صلاح عبد الصبور عن الفصحى والعامية ولكن أرجو من الاستاذ عبد الصبور أن يقول لنا رأيه :

الأستاذ عبد الصبور : - الواقع أريد ان أقول في قضية أي فن وقدرته على التوصيل ، أنا أتصور أن الفصحى ليس بمعنى التقليدية انما الفصحى المحررة التي وصلت الينا الآن من خلال التجارب الصحفية والادبية أصبحت أكثر قدرة على التوصيل من العامية حتى بين أوساط غير القراء . وأضرب مثل حين نرى مجموعة من العامة الذين لا يجيدون القراءة والكتابة جالسين حول أحد الذين يستطيعون ان يقرأوا وهو يقرأ لهم الجريدة اليومية . وهي مكتوبة بالفصحى ، وهم يفهمونها وفي الواقع أنا أعتقد أن القضية لم تحل ، اننا عايشين في ثنائية لغوية هذه واقعة مسلّم بها في كل البلاد العربية ، يوجد عامية ويوجد فصحى ليس مهمتنا هي تجميد الوضع انما مهمتنا هي دفعة الى الامام بحيث تضيق المسافة بين العامية والفصحى وبحيث تتنازل الفصحى عن كثير من جلالها وتقليديتها . وترفع العامية أيضا لانه لاشك أن الفصحى أغنى من العامية ممكن أقول لك على أي معنى مثلا كلمة «الحب» وهي كلمة معروفة سنجد في الفصحى عشرات المترادفات حول الدرجات المختلفة والألوان المختلفة ، والمظاهر المختلفة لكلمة الحب بينا العامية لانها لغة استعمال يومي وليست لغة تفنن تعانسي دائما من التحديد وضيق القاموس . . .

وهنا سألت السيدة سلوى حجازي : -

اية رأيك يا استاذ صلاح جاهين ؟

الاستاذ صلاح جاهين : -

والله الذي شايفه أنا غير كدة . . . أنا شاييف في ناس عندهم فصاحة في اللغة العامية الى درجة انه في كل كلمة لها عدد أكبر من المترادفات التي في الفصحى خاصة في المساء بتاعت الحياة اليومية .

وسألت السيدة سلوى الحجازي : -

طيب ايه رأيك لو أخذنا في كلمة الحب التي قال عنها الاستاذ صلاح عبد الصبور مرادفاته ايه قارن بين العامية والفصحى ؟

أجاب الاستاذ صلاح جاهين : -

أنا أحب أقول لحضرتك حاجة : كلمة الحب من المعاني المجردة ، والمجردات في الفصحى أغنى منها في العامية . بينما في العامية تجده في الحركات مثلا حركة مثل المشي تجدي فيها كذا مترادف أكثر منها في الفصحى نقدر نقول ان العامية حين تتكلم عن درجات الحب تستخدم ألفاظ مستعارة من الفصحى . ومع هذا أقول بصراحة في ناس أنا اطرب حين اسمعهم يتكلمون العامية المفروض أنا شاعر بيكتب بالعامية ، ولأنه ، ما فيش مراجع ضخمة كأن أرجع الى القرآن أو الكتب القديمة ما فيش غير المرحوم بيرم التونسي ، اشعر بكثير من الأحيان بالاجداب . فأسافر لوالدتي واستمع اليها تتكلم بأخر فصاحة بالعامية .

أنا أرى أن الأستاذ صلاح جاهين استعمل كلمة أجداب فهو يزعم أنه يتكلم في العامية ترى لو قلنا هذه الكلمة لمن يتخاطب في العامية كل يوم والذين لا تتعدى مفرداتهم خمسية كلمة وأقول هذا الرقم وأضع خطأ تحته لأنني أحصيت بدراسة علمية قمت بها بالتعاون مع طلابي حين كنت استاذاً لعلم النفس في جامعة دمشق أحصيت كلمات التخاطب اليومي فإذا بها لا تعدو خمسية كلمة أن كلمة اجداب لا يستعملها العامة . لكن صلاح جاهين اضطر أن يستعملها ليوصل اليها معنى من المعاني ، لا يستطيع أحد من العامة أن يبلغنا اياه بشكل من الأشكال .

صلاح جاهين :

اسمح لي سيادتك . . . أنا سبق اني قلت قبل شويه أن المجردات

موجودة في الفصحى أكثر . . . وإن العامية حين تريد أن تتكلم عن المجردات بتستعير من الفصحى ولكن في حاجات ثانية ، الفصحى ما تقدرش تتكلم فيها بدليل أن بعض الناس حين يريدوا أن يكتبوا يضعوا بين قوسين بعض التعبيرات العامية التي لا يمكن إطلاقاً أن نجد لها في الفصحى . . .
صلاح عبد الصبور :-

لا شك أن الفصحى تعاني أيضاً من ظاهرة تجمد بعض الفاظها . أو كثير من الفاظها ذهبت دلالتها من عدم الاستعمال ومهمة كتاب الفصحى أيضاً هي احياء هذه الالفاظ واعطائها الدلالات . والمهمة يجب أن يقوم بها هذا الجيل من الادباء . هي اعطاء هذه الالفاظ دلالاتها من جديد . المثال الذي كان يقوله الاستاذ صلاح جاهين عن درجات المشي في اللغة الفصحى في الواقع لو رجعنا إلى أي قاموس سنجد أن هناك عشرين أو ثلاثين نوع للمشي للرجل فقط وعشرين أو ثلاثين نوع من المشي لكل من فصائل الحيوان . . . ولكن لا نستطيع أن نقول أنها جميعاً الآن الفاظ ميتة مهمة الكاتب الحديث ليس أن يتفصح فيها إنما عندما تدعو الحاجة إلى استعمالها أن يحييها مرة ثانية من القاموس وهذا كان يعمله المرحوم المازني ويعمله الآن الدكتور حسين فوزي في مقالاته ونجيب محفوظ احياء لبعض الالفاظ .
الدكتور درويبي :

إذا تكرمتم اسمح لنفسي بأن نجري تجربة أمام المشاهدين . . .
الاستاذ صلاح جاهين يزعم أن هناك مفردات في اللغة العامية تعبر عن درجات المشي وأنواعه تعجز الفصحى عن أدائها فليقل لنا ما هي تلك الكلمات . والاستاذ صلاح عبد الصبور زعم أيضاً مخطئاً في رأي أن الكلمات التي تعبر عن درجات المشي المختلفة هي ميتة أنا أزعم خلافاً لرأييها كليهما أن كل كلمة يمكن أن يأتي بها الآن الاستاذ صلاح جاهين زاعماً أنها تعبر عن لون من ألوان المشي لا تفي بالتعبير عنه اللغة الفصحى أستطيع الآن . . . الآن . أن آتي له بكلمة مقابلة من اللغة الفصحى التي تفهمها العامة ، وأنا القبي القفاز متحدياً
صلاح جاهين :-

أنا شخصياً أمام الدكتور سامي الدروبي طبعاً بتلجلج زي التلميذ البليد لو أنا ما كنتش في الموقف العصيب ده كنت جيت كلمات كثيرة جداً وطبعاً المرجع الأساسي لي هو والدتي مثلاً تقول لي والدتي «ياواد ما تستندلش كده» . يعني «لا يمشي ويقف ويلتفت ويتفرج» وهذا اسمه في العامية يستندل .

الدكتور سامي الدروبي : -

وهذا في الفصحى يقال لا تتسكع . . . لأن التسكع هو السير يمنة ويسرى وإلى الأمام وإلى الورا ثم التوقف والالتفاف . والنظر هنا وهناك

صلاح جاهين : -

طيب لفظه بتمد . . .

الدكتور دروبي : -

استعجل . . غزى الخطى . . . أسرع في سيره . . .

صاح جاهين : -

لكن بتمد أحلى .

الدكتور دروبي : -

أحلى ؟ ومن الحكم ، أنا أقول أسرع . . ثم نحن الآن لسنا بصد المناقشة في استعمال العامية في لغة التخاطب اليومي . نحن بصد استعمال العامية في الشعر أنت شاعر تنظم في اللغة العامية . وأمامك الشاعر صلاح عبد الصبور ينظم باللغة الفصحى نحن نناقش هذه المشكلة لا بالنسبة إلى لغة التخاطب اليومي فلك أن تخاطب أمك باللغة التي تجيدها ولك أن ترد على أمك باللغة التي تجيدها وأنت تجيد الفصحى خيراً مني بطبيعة الحال . ولكن أنا أسألك هل من الضروري جداً إذا نظمت شعراً أن تقول يتسندل بدل أن تقول تتسكع ؟

صلاح جاهين : -

أنا كشاعر أختار كلمة اتسكع لأنني أحب اللغة الفصحى في الواقع .

الدكتور دروبي :

الموضوع المثار هو استعمال اللغة الفصحى واللغة العامية في الاعمال الفنية والادبية ولما دعوتك ودعوت الاستاذ عبد الصبور ضيوفا لهذا البرنامج لانك تنظم بالعامية ولأنه ينظم بالفصحى أما لغة التخاطب فلك مع والدتك كما تشاء كما قلت لك .

صلاح جاهين : -

أنا أعتقد أن اللغة هي الشيء الذي في اللسان . . . فالفرنسي مثلا أمه بتعلمه فرنساوي يطلع يكتب شعر بالفرنساوي طيب ليه أنا أتحرم من الكتابة باللغة التي علمتني إياها أمي ، ايش معنى كل شعوب العالم يكتبوا شعرا باللغات التي علمتها لهم أمهم وأنا لا ؟

الدروبي : -

هذا غير صحيح فأنا أقول لك وأنت تضرب مثلا بالفرنسية ان المسافة كبيرة جدا جدا بين اللغة الدارجة التي يتكلم بها الفرنسيون في باريس وبين لغة الشعر التي يكتب بها رانبو وغيره من الشعراء .

ثم إن القضية ليست قضية لغة فقط وإنما هي قضية لغة وفكر . والفكر لا يمكن أن يكون عاميا . لغة العامة وفكر العامة محدوده كما قلت وهذا مستنتج من دراسة قمت بها في جامعة دمشق كما سبق وذكرت لأن المفردات التي تتخاطب بها العامة لا تتجاوز الخمسائة كلمة فهل تستطيع بهذه الكلمات المحدودة أن تعبر عن فكري الفني الذي يبحث عن لطائف الخلافات بين الفكر والاحوال النفسية فلنضرب مثلا أشار إليه صلاح عبد الصبور بأن اللغة الفصحى غنية بالفاظ لا أول لها ولا آخر من أجل التعبير عن حالات النفس والفروق اللطيفة الدقيقة التي بينها لناخذ مثلا معن الحزن . . . ولننظر في المفردات في اللغة الفصحى

صلاح جاهين : - يا سلام في الاحوال دي . يا سلام في العامية كثيرة

جدا مثال : متعكنن . . . متقريف في الحزن . . . مزقسط . . . مفرش . . . في الفرحة هو أربع ألفاظ .

الدكتور الدروبي : - نحن الآن أمام تجربة أنا أقول لك مثلاً وهذا

ما يحضرني الآن الحزن ، والشجن ، والاسى ، والكآبة ، والشجو ،

والكمد ، واللوعة ، والحرة ، هذا ما يحضرنى الآن وإذا رجعت إلى لسان العرب فأنا قادر على أن أتيك بمئة كلمة على الأقل تعبير عن معنى الحزن وليست مترادفات فكل واحدة منها تعبر عن حالة نفسية خاصة من الحزن .
نهایتہ حتى لا نسي ' استعمال الوقت أقول أنا واثق أن المستقبل للغة العربي الفصحى أن زوجتك اليوم تتكلم خيرا من أول ، وأولادك سيتكلمون الفصحى خيرا من زوجتك وهكذا بحكم انتشار الثقافة وزيادة التعليم .
سأقول كلمة عن الشاعر صلاح جاهين الذي أو من بأنه مجموعة مواهب لاحصر لها أنا يحزني كثيرا أن أبناءنا وأحفادنا لن يتمتعوا ويتذوقوا ويقروا شعر صلاح جاهين ولكنهم سيقروا شعر صلاح عبد الصبور جاهين لا يقل شاعرية عن أي شاعر آخر .

صلاح جاهين : - ده سبق أن قلت في المجادلة التي كانت على صفحات مجلة المصور بيني وبين الاستاذ صلاح عبد الصبور . أنا سايب لكم خلي الخلود لكم ونحن ناس غلابة .

الدكتور سامي الدروبي : -

أنا لا أتحدث عن خلود صلاح جاهين لا من قريب ولا من بعيد وإنما يهمني أجيال الأمة العربية أن تحرم من شعر رائع كتبه صلاح جاهين .
صلاح جاهين : - احنا بنكتب بالعامية لنخاطب بعض الجماهير وبنعبر عن احساسات لا يمكن أن نعبر عنها بالفصحى ، ونحن نحس أن هذه الاشعار هي زى الطبقات الموجودة في أساسات السد العالي وهذه لا يراها إلا السمك .

فأنا لا يهمني أن يقرأ شعري بعد خمسين سنة . وإنما يهمني أن يلعب شعري الآن دور تطوير في اللغة . . . وجعلها تقترب من الدرجة التي سيادتكم تتكلم عنها لن تستطع المخاطبة تتطور وتصل إلى الفصحى إلا إذا كتب في العامية يوميا . وأثريت يوما بعد يوم ، واستعارت الالفاظ واستعارت الاخيلة والصور وهذا النوع من العمل هو المفيد .

الدكتور سامي الدروبي : -

أظن أن الخطأ الأكبر هو هذا الظن بأن الشعب لا يفهم الفصحى أوكد

لك أن الشعب يفهم الفصحى مثل ما يفهم العامية . كما أوكد لك من لا يستطيع أن يفهم الشعر الفصيح سيعجز أيضا عن فهم شعرك العامي . ولي تجربة علمية إحصائية قمت بها حين كنت أستاذًا بجامعة دمشق حين ترجمت نصوصا أدبية منها نثرًا ومنها شعراً . وعرضتها على عينات من المجتمع الذي يقال أنه عامي . فتبينت بطريقة علمية إحصائية أن من لا يفهم النص الفصيح لم يفهم أيضا النص المترجم إلى العامية . ذلك لان شعرك هو فكر وليس ألفاظا فقط . والعامي الذي لا يملك الفكر القادر أن يرقى به إلى مستوى الجمال الفني في شعرك لن تساعده اللغة العامية لاستساغة هذا الشعر . . .

أنا أرغب أن أقول لسيادتك أنني لا أكتب فقط بالعامية بل أكتب باللغة الفصحى أيضا . . .
الدكتور درويبي :-

لي تعقيب أخير في هذا الموضوع : ان وحدة الأمة العربية قائمة على وحدة لغتها . والاستعمار الذي لا يخشى شيئا كما يخشى وحدة الأمة العربية والذي يغذي تبعاً لذلك النزعات الاقليمية بجميع الوسائل يهزل ويضطرب للاصوات الداعية الى اصطناع العامية ، والتنازل عن هذه المقومة الكبرى من مقومات وحدة الأمة العربية . . .

قبل أن أتابع تفريغ هذا الشريط أتوقف قليلا وأذكر مايلي :-

في اليوم التالي لافتتاح المبنى الجديد لجريدة الاهرام حدثنا صديقنا الأستاذ أحمد بهاء الدين قال :

حين افتتح الرئيس عبد الناصر مبنى الاهرام وحين اجتمع مع هيئة التحرير التفت الى الأستاذ صلاح جاهين وقال له :-

أيه يا أستاذ صلاح أنا سمعت مناقشتك مع الدكتور الدكتور الدرويبي في برنامج شريط تسجيل ، لقد صعبت عليّ في مناقشتك هذه رغم ما عرف عن طول لسانك . . .

فأجابه الاستاذ صلاح جاهين :-

سيادة الرئيس دي مبارزة غير متكافئة . . . ده سامي الدرويبي قاموس

بحاله . . .

ضحكت هيئة التحرير المجتمعة مع السيد الرئيس .
أعود لأتابع تفريغ شريط التسجيل فالى الفقرة التالية :
السيدة سلوى حجازي :-
حضرتك أضفت شخصية الفنانة الكبيرة سهير بابلي .
الدكتور سامي الدروبي :-

عندنا الآن السيدة سهير البابلي . . . وقد مثلت باللغة العامية . . . ومثلت
باللغة الفصحى . . . وأريد أن أحتكم اليها بكل بساطة بعد أن احتكمت الى
جمهورها فقد حضرت مسرحيتها آه ياليل يا قمر باللغة العامية . . . ومسرحيتها
الأخيرة بلدي يا بلدي تكلمت بها باللغة الفصحى ولقد رأيت الأكف أكف
الجماهير تلهب تصفيقا من باب التعبير عن الاعجاب الهائل من قدرتها
الرائعة على التمثيل فأريد أن أحتكم اليها والقي عليها السؤال التالي :
هل أحست وهي تمثل باللغة الفصحى أن هذه اللغة عائق يحول بينها وبين
ما كانت تريد الافصاح عنه من تنغيم الصوت ، وتلوين الكلام وتعبير الوجه
وحركات الجسم أيضا ، أم أنها أحست أنها تقدر فعلا أن تعبر عما تريد
التعبير عنه بالفصحى والعامية بدرجة واحدة .

السيدة سهير البابلي :-

لغة العربية الفصحى ميزات أنها تطرب الوطن العربي كله ولكنها تتطلب
مني جهدا أكبر مما تتطلبه مني حفظ مسرحية مكتوبة باللغة العامية . مثلا
يكفيني قراءة نص بالعامية مرة أو مرتين بينما عليّ أن أبذل اضعاف هذا
الجهد مع نص باللغة الفصحى لألين نطقي وحركات يدي وحركاتي كلها
بصورة عامة . وان احترامي لتلك اللغة خاصة اذا كان النص من التراث فان
الجهد يكون أكبر بكثير . . . ولا أكنم أن مردود هذا الجهد يكون رائعا كما
سبق وقلت حين يصفق لي الجمهور على مستوى الوطن العربي كله ،
لا فقط على مستوى مصر كما هو في اللهجة العامية المحلية . . .

ويوجد نقطة أخرى أن هناك مواقف مختلفة كل موقف تصلح له لغة أخرى
غير اللغة التي تصلح لموقف آخر . وكل شخصية يجب أن تتكلم بلسانها

ولا تنطق بلسان مستعار مثلاً حتى لو كنت أمثل باللغة الفصحى فإذا ما تكلمت مع الخادم . فان رد الخادم سيكون بدون شك باللغة العامية أو باللغة العربية الأقل فصاحة . . .

وملاحظة أخيرة . . . أقول ان حكم الجمهور يكون على قدرة الممثل في أن يتقمص دوره ويعبر عن المعاني وعن العواطف التي يريد التعبير عنها ويريد توصيلها الى الجمهور سواء بالعامية أو بالفصحى وكم من مرة سمعنا الجمهور يصرخ طرباً لله . . . سواء كان التمثيل بالعامية أو بالفصحى . . .

السيدة سلوى حجازي :-

هل نستطيع أن نختم هذا الموضوع ؟

الدكتور سامي الدروبي :-

لم يستفد طبعاً كل جوانبه . . . لكننا نخضع لدكاتورية السيدة سلوى حجازي .

السيدة سلوى حجازي :-

أسفة يادكتور دروبي اننا نخضع لدكاتورية الوقت . رغم أنني لاحظت أنك تحب ان تتعمق بالموضوعات التي تطرحها بشكل عام ولكن الوقت دكاتور صارم

الدكتور دروبي يستضيف السيدة فريدة فهمي نجمة الرقص الشعبي .

سامي الدروبي :-

قد يكون الموضوع أكثر غنى وتنوعاً من ان يقتصر على الرقص الشعبي في الحقيقة ان السيدة فريدة فهمي قد وثبت بالرقص في بلادنا وثبة جديدة وكبيرة بعبقريتها الخلاقة ومواهبها الفذة ينبغي أن أمهد في الواقع للحوار الذي يمكن أن يدور بيني وبين السيدة فريدة فهمي أو بالأسئلة التي يمكن أن أطرحها . يقول الشاعر الفرنسي (Paul Valiri) بول فاليري في المحاضرة التي القاها عن الرقص وهي أجمل ما كتب في الواقع عن الرقص حتى الآن وطبعاً لم أعرض الآراء التي وردت في تلك المحاضرة ولكنني أكتفي بأن أذكر أن بول فاليري (Paul Valiri) قال :- ان الرقص تعبير أن الرقص شعر أن

الرقص هو من الحركات العادية بمثابة الشعر من الشر . فاذا كان الشر يعبر عن الأشياء اليومية . فان الشعر ينفذ الى أعماق الحياة وبهذا المعنى استطيع أن أقول أن رقص السيدة فريدة فهمي يرتقي فعلا الى مستوى الرقص المعبر عن اعماق الحياة والكاشف عن المعاني المترققة وراء الظاهر . فهي حين ترقص تحس أنها تعبر ونحن الذين شهدنا رقصها كنا نشعر دائما أن هناك معاني ومشاعر وعواطف تؤذيها بحركات يديها وساقها وجسمها كله . ولكن لأن الحياة متنوعة فكذلك الرقص متنوع فهناك الرقص البلدي والرقص الفلوكلوري - والرقص التعبيري والرقص الباليه فالرقص البلدي الذي يعبر عن جانب من جوانب الحياة هو الغرائز وربما كان يعبر عن بعض الغرائز خاصة ما يسمى برقص هز البطن . وهنا أطرح هذا السؤال هل في الرقص الذي يسمى بالرقص البلدي معرفة وتعبير ؟ جوابي نعم . . . هو معرفة وتعبير ولكنه فقير فقر الجانب الذي يتناوله من جوانب الحياة الثرة الغنية . . . هو يغترف من بعض الغرائز الانسانية ، بل من بعض جوانب غريزه واحدة من الغرائز الانسانية ، الغريزة الجنسية . لذلك فان قيمته محدودة بحدود الجانب الضيق الذي يتناوله من حياة الانسان . ويظلم حين يتهم ولكنه يظلم ولا يظلم حين يكون ، في مجتمع من المجتمعات الرقص الوحيد . . . وحين يطنى على كل رقص عداه . ومن هنا كانت رقصات فريدة فهمي التي تذكر بالرقص البلدي أعلى في مقياس المعرفة والتعبير من رقص الراقصات العاريات وهنا تكمن عبقرية فريدة .

وهناك الرقص الفلوكلوري الذي هو رقص جماعي والذي يعبر عن قوة الجماعة وتماسكها كما هو في رقصة الدبكة في سوريا .

أريد أن أوجه بعض الاسئلة للسيدة فريدة فهمي وهي ترقص الآن رقصا نسميه شعبيا هذا الرقص الشعبي قد استمدت بعض عناصره من رقصات موجودة في واقع الحياة يرقصها الفلاحون في بلادنا . ولكن يخيل الى أن عناصر الاقتباس من واقع الحياة في هذه الرقصات قليلة زهيدة وان عملية الخلق أكبر من عملية الاقتباس . وغير هذا نجد في رقصة الدبكة السورية . مثلا فيها استمداد مباشر من الحياة فالقرويون في سوريا يرقصون الدبكة .

وقد انتقلت من الحياة الى المسرح هذه الرقصة . في حين رقصات فرقة رضا ان كانت تستمد من واقع الحياة بعض عناصرها فعنصر الخلق والابتكار يخيل اليّ أنه أكبر اليس كذلك ؟

السيدة فريدة فهمي :- محمود رضا يأخذ كثيراً من خطوات البيثة من الرقصات فان هذه الخامة وأقدرها فقط بـ ٢٥٪. يجب ان يعمل لها عملية خلق حين ينقلها الى المسرح مهما تكن هذه الخامة غنية بالحركات والخطوات فان هذه الخطوات حين تؤخذ الى المسرح يجب ان يعمل لها عملية اغناء واثراء وتهذيب وتشذيب وتجديد وتشكيلات وهذا ما تسميه حضرتك عملية خلق وابتكار . وعلى كل في رقصات ورقصات فمثلا رقصة النوبة بها عنصر الاقتباس قوي جدا وكذلك عنصر الاثراء والاغناء والتهذيب قوي أيضا .
الدكتور درويبي :-

سؤال آخر يتصل بالسؤال الأول فيما يتعلق بالدبكة نقلت من الحياة الى المسرح مع اغناء واثراء وتطوير فهل تتصورين أن الرقصات التي استنبتموها واستنبتم بعض عناصرها من واقع الحياة وأضفتم اليها أشياء كثيرة وخلقتموها خلقا جديدا وقدمتموها للمشاهد على خشبة المسرح هل سيتاح لهذه الرقصات أن تنتقل الى الحياة فيرقصها الناس ؟
السيدة فريدة فهمي :-

اذا كنت تقصد حضرتك الناس بالقاهرة فهذا صعب شويه أما في جميع الاقاليم فان كل الناس بالأقاليم يرقصون رقصات جماعية . . . قد تختلف عن رقصة الدبكة ولكن هناك مجاميع من الناس في الصحراء الشرقية والغربية يرقصون رقصة الدحيه . . . والحجالة . . . والكشافة كلها رقص جماعي . . . وفي الصعيد يوجد رقصة التحطيب . . . يشترك بها كل أهل البلد ليس فقط جماعة قليلة .
الدكتور سامي الدروبي :-

أنا اطلمت الآن عن شيء كنت أجهله في الواقع وكنت اظن العكس ، كنت أتصور عامل الخلق والابتكار في الرقصات التي تقدمونها اقوى كثيرا

من عامل الاقتباس .

السيدة فريدة فهمي :-

مثل ما قلت لحضرتك حسب الرقصات مثلا رقصة تابلوه العرق السوس .
هنا يأخذ محمود شخصية بائع العرق سوس : يخلقها خلقا جديدا بالحركة
والايماء والتعبير .

الدكتور درويبي :-

أنا أميل الى الاعتقاد بأن الرقص الذي تقدمونه يجب أن يدرج في صنف
الرقص التعبيري . أكثر من أن يدرج في صنف الرقص الفلوكلوري ، هناك
أخيرا رقص الباليه وهو الطرف الأقصى من أنواع الرقص ، وهو ما يعبر عن
صبوة الانسان وشوقه الى التسامي والعلو والتحرر حتى من جاذبية الأرض
والسمو الى أعلى نحس ونحن نشاهد راقصات الباليه أنهن يحاولن التحرر
من جاذبية الأرض ويرتقين الى أعلى . . .

اعزروني وأنا اسمع كلام زوجي سامي هذا اذا انتقلت بي الذاكرة الى عام
١٩٥٧ حين دعينا سامي وأنا الى موسكو وكان رئيس الجامعة السورية
الدكتور شوكت القنواطي رئيسا للوفد الجامعي ومثل كل من كليات الجامعة
استاذ من تلك الكلية .

دعينا الى مسرح البولشوي لمشاهدة عرض باليه . وجلس زوجي الى
يسار الدكتور قنواطي وجلست أنا بجواره . وكنت اسمع تعليق سامي واعجابه
واندهاشه بقدرة الراقصين والراقصات ولكنني كزوجة حين سمعته يحدث
الدكتور القنواطي (في الإستراحة) عن رشاقة الراقصات التي استطاعت
التحكم بالجاذبية الارضية والتحرر منها مسني تيار الغيرة ففرصت زوجي من
ذراعه . فأحس ما اعتمل بنفسي لم يلتفت الي بل تابع حديثه قائلا :
«سيخربيتهم شو ديب» .

الدكتور الدرويبي : يسعدني ان أقدم العازف الموهوب الفنان رمزي يسه
وأريد أن القى عليه بعض الاسئلة اذا تكرم بالاجابة عليها يكون
مشكورا . . . طبعاً هنالك الاغنية . وموسيقى الخفيفة موسيقى الحجرة
والموسيقى السمفونية بعض الأوساط تصم آذانها هنا في بلادنا دون سماع

هذه الموسيقى زاعمة أنها ليست موسيقانا وانما هي موسيقى غربية فلا نستطيع ان نسمعها ولا نفهمها ولأنهم يصمون آذانهم لا يستطيعون أن ينفذوا الى هذا العالم الفني الواسع مع أنه لو فتحو قلوبهم وفتحوا آذانهم لاستطاعوا أن يلجوا هذا العالم الفني وأنا في اعتقادي ان الموسيقى السمفونية ليست موسيقى غربية بل هي موسيقى انسانية ويستطيع أي انسان ان يفهمها اذا كان قد أوتى قدرة على قدرة التذوق الموسيقي والفهم الموسيقي . الغربيون انفسهم ليس كلهم يستطيعون أن يطربوا للسينفونيات . اذا حتى الغربيون بعضهم لا تستسيغ آذانهم الموسيقى السينفونية العميقة لفقر في نفسهم وذوقهم للموسيقى . . . أظن أنني استطردت وخرجت عن الموضوع مع أنني أريد أن أطرح سؤالاً دقيقاً على الفنان الموهوب الاستاذ رمزي يسه . . . ما رأيك في المحاولات التي قام بها بعض الموسيقين هنا من أجل انشاء موسيقى سينفونية مستمدة من بعض الالخان الفلوكلورية مثل محاولة المرحوم أبو بكر خيرت هل تعتقد أنه ارتقى في محاولته هذه لمستوى الموسيقى الانسانية التي تستسيغها أذن العالم كله المؤهلة موسيقياً .

يؤسفني أنني لم أستطع أن انقل جواب الفنان رمزي يسه لعدم وضوح صوته ربما كان بعيداً عن الميكرفون . لذا سمحت لنفسي أن أطرح هذا السؤال على الفنان الموهوب الاستاذ صلحي الوادي فاجابني :-

الدكتور أبو بكر خيرت محاولته هذه ارتبطت في علوم موسيقية قد تعتبر في يومنا هذا مضي عليها الزمن اي بمعنى آخر ليست عصرية . مع أنه أنا شخصياً أقدر محاولاته لانها تحاول أن تضع بلهجة عالمية ما هو محلي الا انه يبدو وكأن اطلاع الدكتور ابو بكر خيرت على مدارس القرن العشرين العالمية كان محدوداً فلذا لم تتحدث موسيقاه بلهجة القرن العشرين .

وعلى ذكر موسيقى أبو بكر خيرت اذكر في أيام الوحدة في عام ١٩٦٠ كان سامي الدروبي مديراً عاما بوزارة الثقافة المركزية في القاهرة وكان عضواً في الهيئة العامة للعلوم والفنون والآداب وقد رشح بعض الفنانين من موسيقيين وادباء لدراسة انتاجهم ولاعطائهم جوائز تقديرية وتشجيعية . ومن جملة من

رشح الدكتور أبو بكر خيرت . وقد اعترضت السيدة أم كلثوم وكانت عضواً في اللجنة الموسيقية على ترشيح الدكتور أبو بكر خيرت لأخذ الجائزة التقديرية بحجة انه يؤلف في موسيقى غربية ليست موسيقانا .

لكن سامي الدروبي اعترض على اعتراضها قائلاً :-
الدكتور أبو بكر خيرت أعطى شيئاً يستحق التقدير ويجب أن لا نتعصب للموسيقى الشرقية فنصم آذاننا عما عداها والحقيقة أن لكل لون من ألوان الموسيقى دورها ووظيفتها . ويوجد في الجيل الجديد اعداد كبيرة معجبة ومتعصبة للموسيقى السيمفونية وأنا أرفض كذلك أن نستخف بما عداها من ألوان الموسيقى .

لكن أم كلثوم انفعلت وقالت لسامي :-

أنا أفهم الموسيقى أكثر منك . . .

فأجابها سامي الدروبي :-

لا غرابة أنهم علم النفس أكثر منك ولا أحد ينكر أنك بطلة في ميدانك ولكن هذا لا يعني أن لا يكرم الدكتور أبو بكر خيرت لأنه لم يؤلف بالموسيقى الشرقية . وقد قدر وكرم عالمياً فيجب أن نكرمه بلده . ومن الظريف أنه في صبيحة اليوم التالي قرع بابنا باكراً جداً . . . وإذا بالقادم الدكتور أبو بكر خيرت . ضم سامي إلى صدره وقد اغرورقت عيناه وقال له :

دكتور دروبي أنا علمت ما حصل أمس بالاجتماع ولم أنم هذه الليلة . واعزرنى أنني ايقظتك لكنني رغبت أن أحضر أولاً لا شكرك من قلبي وثانياً لارجوك أن لا تتحمس وتعادي «الست» ويقصد السيدة أم كلثوم أحسن يحبسوك .

أجابه سامي :- لقد قلت قناعتي وما زلت مصراً عليها . ما قيمة الحبس مقابل كلمة الحق . . .

وعلى عكس تقدير الدكتور أبو بكر خيرت . لقد أخذ برأي سامي فكرم الدكتور أبو بكر خيرت وأخذ جائزة تشجيعية . ولم يحبس سامي الدروبي كما صور لهم أن من يقول كلمة حق يسجن .

أعود لاتابع تفرغ شريط التسجيل وقد وصلنا إلى الشعر الحديث والشعر القديم .

نستضيف الآن الشاعران الموهوبان يمثلان الاتجاهين في الصراع هما الشاعر عبد الرحمن صدقي والشاعر أحمد عبد المعطي حجازي .

الحقيقة أن الخلاف بين أنصار الشعر القديم وأنصار الشعر الحديث متعدد الجوانب . ومن أجل أن نبرز ونعدد جوانب هذا الخلاف يمكن أن نشير إلى جانبين على سبيل المثال ، هما جانب الموضوع ، وجانب الشكل . فمن جانب الموضوع يمكن أن يكون الصراع بين أنصار القديم وأنصار الحديث صراعاً بين من ينتمون إلى المدرسة الكلاسيكية وبين من ينتمون إلى المدرسة الرمزية مثلاً أو المدرسة السريالية .

أما من جانب الشكل فالصراع هو صراع على النظم . . . كيف يكون ؟ بتعبير آخر : إن الصراع هنا هو صراع حول العروض .

فأما أنصار القديم فيلتزمون في النظم ، بالنسبة إلى الشعر العربي ، بالقواعد التي استخرجها الخليل بن أحمد الفراهيدي . فهم ينظمون على بحر الخليل ، وعلى أوزانه ، وهم يرفضون الخروج على قواعده العروضية ويرون أن الموسيقى الشعرية لا تتحقق إلا بالتزام هذه القواعد المقدسة . وأما أنصار النظم الحديث فهم يرون أن هذه القواعد ليست مقدسة ، ويمكن الخروج عليها ، بل يجب الخروج عليها ، فمن الممكن أن يكون الشعر موسيقياً مع تحلله من قواعد النظم التقليدي ، بل من الممكن أن تكون موسيقاه أغنى وأوقع في الأذن حين يتحلل من تلك القواعد .

والحق أن هذين الجانبين ، جانب الموضوع وجانب الشكل اللذين هما من جوانب الصراع بين مذاهب الشعر الحديث ومذاهب الشعر التقليدي ، مرتبطان ارتباطاً ما ، بل هما مرتبطان ارتباطاً وثيقاً ، فالشعراء الذين تحللوا من قواعد العروض الكلاسيكي الصارمة ، يرون أن هذا التحلل ضرورة اقتضاها تطور المادة الشعرية نفسها ، تطور الموضوع الشعري نفسه ، فالشاعر التي يعبر عنها الشاعر الحديث أوسع وأغنى وأحفل من أن يمكن سجنها في أطر النظم التقليدية الضيقة ، فإذا أصررنا على أن نودعها في تلك

الأطر كنا نخنقها خنقاً ، وكنا نخونها ، وكنا نعجز عن الافصاح عنها بأمانة .
أعود فأقول أن الخلاف بين أنصار الشعر الحديث متعدد الجوانب ،
ولا نستطيع في هذا المجلس أن نناقش جميع هذه الجوانب ، وقد اخترنا أن
نقتصر على مناقشة جانب الشكل الشعري ، جانب النظم ، جانب
العروض .

وينبغي أن نشير إلى أن العروض الحديث، لم يتحلل من جميع قواعد النظم
الكلاسيكي ، وإنما تحلل من قاعدتين أو كسر قاعدتين هما عدد تفاعيل
البيت وشطرها شطرين متساوين هما الصدر والعجز ، ووحدة القافية في
القصيدة . فالشعر الحديث ما يزال يلتزم التفعيلة وحدة لموسيقية الشعر ،
ولكنه لا يجعل عدد تفعيلات البيت واحداً إلا مشطوراً في القصيدة كلها ،
هذا من جهة ومن جهة أخرى فالشعر الحديث ينوع القافية في القصيدة
الواحدة ، بل لا ينوعها فحسب ، وإنما هو بصرفها تصريفاً فيه كثير من
الحرية .

هنالك تعصب : فالتقليديون ، أن صحت هذه التسمية يلعنون الشعر
الحديث كله دفعة واحدة ، وبعض الشعراء المجددون يتورطون ، من باب
الدفاع عن النفس ، في ما يشبه بالغاء كل شعر ما يزال يتمسك بعمود
الشعر . وهؤلاء وأولئك يصمون آذانهم عن نفحة الشعر في الشعر أيا كان
العروض الذي يصطنعه هذا الشعر ولو فتحوا آذانهم لنفذت منها إلى قلوبهم
نفحات شعرية علوية ، رغم اختلاف العروض .

إن بين كلا الفريقين شعراء حقيقيين ، وإن بين كلا الفريقين أناساً لا شأن
لهم بالشعر .

بين المحدثين من يتوهمون أن رصف الألفاظ على نحو من الانحاء فيما
يشبه البهلوانية العابثة شعر . وما ذلك شعر . هؤلاء يتسلقون على الشعر ،
وما هم منه في شيء . . . وبين أدباء نصررة العمود نظامون لا شعراء ،
يتوهمون كذلك أن مجرد ايداع الألفاظ في بحر طويل أو خفيف أو وافر أو
رجز أو ما إلى ذلك من أبحر الخليل يخرج شعراً ، مهما يكن كلامهم فارغاً
أجوف لا يعبر عن خلجات قلب أو ومضات فكر ، وما هذا من الشعر في

والصحيح أن نفرق بين قديم وحديث في الشعر من ناحية العروض إلا حين نعلم ذلك للتلاميذ في المدارس ، فأما أن نضع الأثر الشعري في ميزان القيمة الشعرية ، فإنما المعيار لذلك شاعرية الشعر أيا كانت طريقة نظمه ، فلا نرفضه أو نقبله لمجرد أنه يلتزم العمود ولا نرفضه أو نقبله لمجرد أنه يتحلل من العمود ، وإنما نقبله لأنه شعر ، ونرفضه لأنه ليس شعراً .
وقد استضاف الأستاذ الفنان صلاح طاهر وتحدث معه عن الفن التشكيلي فقال :-

هنالك حوار أصبح مشهوراً بين بيكاسو وبين أحد الذين شاهدوا أعماله :-

يامسيو بيكاسو ماذا تريد أن تقول في هذه اللوحة ؟
بيكاسو :- لا شيء أنا أريد أن أقول شيئاً .

المشاهد :- أقصد ما الذي تريد أن تعبر عنه ؟

بيكاسو : لا شيء ! لا أريد أن أعبر عن شيء

أنا لا أعبر أنا لا أخلق ، أنا أوجد شيئاً لم يكن موجوداً .

لا شك أن بيكاسو في هذا الحوار قد أفصح عن ماهية الفن التشكيلي الحديث . والذي يعكس روح العصر الميالة إلى السرعة .

وكان آخر الضيوف على شريط التسجيل الشاعر والمخرج والكاتب والممثل هذا الفنان الموهوب وليس يملك موهبة الفنان فقط ولكنه يملك مزاج وطبع الفنان لذا يلقي كثيراً من المصاعب وانني واثق أن موهبته الخارقة سوف تذلل كل مصاعب تعترضه .

إنه الفنان نجيب سرور وأريد أن اناقش مع الاستاذ نجيب مشكلة حارة قامت بينه وبين المخرج لمسرحيته آه بالليل يا قمر المخرج الاستاذ جلال شرقاوي .

إن الخلاف أبدي ، وقائم في جميع بلاد الدنيا . فلما يرضى مؤلف عن اخراج مسرحياته ولكن قد يحدث أيضاً أن يبلغ اعجاب المؤلف بالمخرج حداً كبيراً .

ومشكلتنا أن الشاعر نجيب سرور كتب تلك المسرحية المستمدة من أسطورة شعبية قد تكون مأخوذة من الواقع وأجاد كتابة هذه المسرحية .
والجماهير في القاهرة والجماهير في دمشق بل استطيع أن أقول أن الجماهير العربية صفقت لهذه المسرحية طويلاً ، وأعجبت بها تأليفاً مسرحياً ، وصياغة شعرية أيضاً .

المشكلة التي قامت بين المؤلف نجيب سرور والمخرج جلال الشرفاوي أن المؤلف لم يرض عن اخراج الشرفاوي بدعوى أنه قد أدخل عنصراً ميلو درامي في مسرحيته لم يكن في بال المؤلف حين كتب تلك المسرحية ، وكما سبق وقلت أنه قلما يرضى مؤلف عن المخرج لعمله الفني وقد يقوم صراع أو يقع صراع حاد بين المؤلف والمخرج كما هو الآن في هذه المسرحية . «آه يا ليل يا قمر» .

أنا شخصياً رأيت مسرحية هملت يمثلها لورانس أوليفيه ويخرجها . ورأيت مسرحية هملت يخرجها ويمثلها أيضاً هستري جاروك في باريس ورأيت هملت تخرج فيلما روسيا . ورأيت هملت تمثلها فرقة يوغسلافية في مدينة دوبروفنك منذ ثلاث سنوات . ولا أظن أنني أكون مبالغاً اذا قلت أن هذه التأويلات الأربعة للمسرحية الواحدة كانت مختلفة كأنني أمام أربع أعمال مسرحية لا مسرحية واحدة . قد يقول لي نجيب سرور أن شكسبير قد مات ولا يمكن ان يكون حكماً ولا يمكن أن يستشار ولا أن يكون له القول الفصل ومن حق المخرج أن يفهم مسرحيته على النحو الذي يتصوره فلو كان المؤلف حياً لكان له قول الفصل قطعاً ولربما عمد الى أن يطعن بالسكين الشخص الذي يخون مسرحيته ويخون تصوره والمعاني التي اراد أن يؤديها . أنا شخصياً أعارض الاستاذ نجيب سرور . ذاكرة قبل كل شيء لا من باب الارضاء له ولا التملق . ان لكل عمل فني كبير هو من الغنى والثراء بحيث يمكن أن يفهم على أشكال مختلفة وبحيث يمكن ان تفجر منه معاني جديدة باستمرار واذا كنا نعطي للمتفرج حق ان يفهم المسرحية على النحو الخاص به فمن باب أولى ان نعطي للمخرج وهو خالق ، المخرج ليس مترجماً بالمعنى العادي للكلمة . وعلى المخرج ان يغير . . النص

مقدس فلا ينبغي العبث بالنص ، فلا يزيد كلمة أو ينقص كلمة فيما عدا هذا يجب ان يعطي حرية اخراج تصوره للنص على النحو الذي يراه ويتصوره للمسرحية .

النقطة الثانية : بالاضافة ان المخرج خالق فان المؤلف نفسه الخالق نفسه كثيرا ما يقف أمام عمله مدهوشا ، عمله الذي ينبع من ذاته في لحظات الالهام ويتساءل كيف خرج منه هذا . . . لماذا يقف موقف الدهشة ؟ . لأن اللاشعور والتي اختمر فيه أشياء كثيرة في نفسه قد قذفت الى عالم الواقع امورا لم تكن على سطح الوعي عند المؤلف ذاته فمن حق المخرج أن يغوص الى تلك الأعماق فيكشفها وأن يبرزها . . . الخالق كثيرا ما لا يعي ما أراد أن يقول وقد حدثنا كثيرا من الشعراء عن مثل هذا .

أنا رأيت مشهدا من مسرحية «آه يا ليل يا قمر» من اخراج الاستاذ كرم مطاوع باسم «يا بهية وخبريني ، ولقد أعجبت كثيرا جدا بتأويل المخرج كرم مطاوع كما أعجبت كثيرا جدا بتأويل جلال الشرقاوي .

وأرجو الآن أن نسمع رأي الأستاذ نجيب سرور في الخلاف مع المخرج جلال شرقاوي .

الأستاذ نجيب سرور :-

الحقيقة أنا مش مختلف مع سيادتك في كل المقدمة التي طرحت وكل التحفظات التي قبلت . مش غريب أن اثنين فنانين مختلفان على تفسير عمل فني معين . ومش غريب النزاع بين المؤلف والمخرج ، ومش غريب أبدا عملية تعدد التفسيرات المختلفة للنص الواحد بالدليل الذي حضرتك قلته عن هملت وشفث هملت في أكثر من عمل بره . هو الغريب أن الخلاف لا يكون موجوداً يعني الفن زي ما سيادتك بتقول انه من الغنى بحيث يقبل هذا التعدد في وجهات النظر . وأنا مش فاهم هو الخلاف الموجود بيني وبين الأستاذ جلال هو صراع فني مشروع وعادل وموضوعي سؤالي :- له استقبل على الصعيد النقدي وفي وسطنا الفني بالذات وسط المثقفين بالاستغراب ده ؟ . ربما لانه الحادثة الاولى أو السابقة الأولى في حياتنا الفنية ، الأستاذ جلال الشرقاوي .

أنا أعتز جدا بالعمل يلي قدمه «آه ياليل يا قمر» . ويعتبر عمل أخلص له وأجهد نفسه جدا وكل واحد اشترك بهذا العمل أعطى أقصى طاقة . وأدوا واجبهم على قدر طاقتهم . وكان عملا رائعا وأنا معتز به . . . ولكن ما فيش عمل فني رائع وجاد ممكن ما نأخذ عليه بعض المآخذ خاصة اذا أنا على مستوى النقد حملت مسؤولية ماهياش بتاعتي وهي ان «آه ياليل يا قمر» حكم عليها بعض النقاد بأنها عمل ميلودرامي . وده طبعا كان يمكن يؤدي الى أخطاء كثيرة عند بعض الجماهير والقراء . أزيد وأقول لقد اشتركت في هذه المسرحية كعضو في الكورس وكمثل خلال ثلاث شهور أثناء البروفات . وخمسة عشر يوم في العرض . وهذا يدل على أنه ليس هناك حاجة بيني وبين الاستاذ جلال وأكثر من هذا حين أدلت نفس النص تأويلا آخر واسميت المسرحية «يابهية وخبريني» . فقد تناقشت وعرضت الأفكار مع الاستاذ جلال نفسه في أكثر من موقف في أكثر من قعده خاصة . وحين وجدت ان هذا لا يهمني أنا وجلال فقط بقدر ما يهيم المثقفين ورجال المسرح . ويتهم جلال نفسه شخصا . . . وبما انني اشتركت في العرض خمسة عشر يوما هذا ليس دليلا على أنني موافق على أسلوب الاخراج او متنازل عن فكري بضرورة انفصالي أنا كمؤلف عن النص الذي قدمته لمخرج آخر لتولي اخراجه .

ثانيا أنا قدمت مسرحية «يابهية وخبريني» . ومسرحية «ياسين وبهية» . الى مخرجين آخرين . وأنا نفسي مخرج في نفس الوقت الذي أنا فيه مؤلف واعتقد بحرية المخرج المطلقة في أن يعرض رؤيته الخاصة على النص هو على الجمهور ولكن هناك معايير موضوعية ، في ضوابط في فروق جوهرية ، وده الصراع الذي دار بين «يابهية وخبريني» وآه ياليل يا قمر» . بهية يموت حببها ياسين وتلتقي بعد زمن من موت ياسين بأمين العامل في ابور الطحين . بتحب أمين . تفرق كثير قوي قوي أنا باعتماد كانشان وكشاعر ان الانسان لا يجب بالسهولة ده ولا ينسى بالسهولة حب كبير قوي بالسهولة هذا كان جوهر الصراع في الفصل الأول بالذات هل بهية نسيت ياسين أو بتحاول تنساه تفرق كثير قوي على المستوى الفني .

الدكتور سامي الدروبي :- أنا رأيت هذا المشهد الذي تشير إليه حين يتحلق الجمهور حول بهية ويسألوها انت شفتي أمين ؟ ... فلجيب - مرة ... لا مرتين ... لا ثلاثة .. لا كثير .. وتضحك أثناء ذلك ..

أظن أن هذا موقف فيه خفة وطيش بالنسبة لامرأة لا يزال الحب يعتمل في قلبها ولا يزال الشجن يكوى روحها ...

نجيب سرور :- أنا أعتز بهذا التفسير لانه في صالحى ...

الدكتور دروبي :- اسمح لي سيادتك قلت لا ينسى الانسان حبا بمثل هذه السهولة . أنا الذي فهمته من هذا المشهد أن ياسين تجسد لها ... في أمين ومن أجل هذا أقبلت على أمين رأيت فيه صورة ياسين ثم ان تعدد الحب شيء بشري وشيء انساني ولا أريد أن أخرجك فأسألك كم مرة انت حبيت ؟

الاستاذ نجيب سرور :- بالحقيقة حبيت بس عايز أقول لك بس عايز أقول لسيادتك حاجة بهية بالسهولة تحب أمين وبالسهولة تنسى ياسين . يجعل بهية انسانة تستحق الاحترار لا تستحق العطف .

الدكتور دروبي :-

انت قلت أنه انقضى زمن ،

الاستاذ نجيب سرور :- أيوه انقضى زمن ولكن ليس الزمن الكافي لتنسى حبا كبيرا «كحبها لياسين وفعلا كان حبا كبيرا مش ممكن تنساه وأنا كمخرج اتناولها بالتدرج .

الدكتور سامي الدروبي :- أنا لم أفهم ابدا انها نسيت حب ياسين اطلاقا أنا فهمت أن ياسين تمثل لها في أمين مرة أخرى .

الاستاذ نجيب سرور :- عملية التجسد لا تتم عمليا بالسرعة دي فكيف تتم فنيا بهذه السرعة ؟؟

الدكتور سامي الدروبي :-

أنا كمشاهد وارتحت اليه . هذا لا يمنع انني حين رأيت هذا المشهد بالذات الذي تعترض عليه مؤلاً على طريقتك مع المخرج كرم مطاوع اعجبت أيضا بالتأويل الثاني ورضيت عليه كل الرضى . لكن هذا لا ينفي أنني اعجبت كذلك بالتأويل الأول . وهذا يضفي على أترك الفن قيمة كبيرة

لانه يدل على أنه ينبوع ثر وقادر لتأويلات كثيرة ويمكن ان تتفجر منه معاني لا نهاية لها ولا ينضب معينها .

الاستاذ نجيب سرور : - اشكرك دكتور سامي . وانتهد هذه الفرصة لأقول للجمهور أن الخصومة بيني وبين جلال الشرقاوي ليست خصومة شخصية وليس من صالحني وصالح الزميل والصيديق المخرج جلال الشرقاوي أن ينقلب الحوار الموضوعي ، والعلمي ، والفني ، الى هذا المستوى . .
الدكتور سامي الدروبي : أ أنا شخصيا لا أثير هذا الموضوع على مستوى الشخصي وأرفض أن أثيره على صعيد شخصي وسوف نحتكم الى الجمهور . . ونريه المشهد في التأويل الآخر بعد ان رأى هذا المشهد في «آه باليل يا قمر» تأويل الاستاذ جلال .

من عيوب سامي أنه كان حين يعمل ينسى نفسه ، وينسى قلبه ذا الشرايين الثلاثة المسدودة . وكأنه هناك تحدى دائم بين ما يرغب في أن يعمله وبين ما يستطيع ان يعمله هذا القلب .

لا لن أنسى في آذار ١٩٧١ كانت رئاسة دورة الجامعة العربية لسوريا . ولم يحضر وزير الخارجية السوري . فترأس الاجتماع سامي . . أذكر انه دعى الوفود العربية الى العشاء ولم ينم قبل الواحدة صباحا . وكان مرهقا والتعب ظاهر عليه وكان عليه أن يستيقظ باكرا ليرافق نائب رئيس الجمهورية المصري السيد حسين الشافعي في سفره الى دمشق . أذكر أن سامي أمضى تلك الليلة كلها تحت الاوكسجين لم أنم تلك الليلة وأنا خائفة عليه اراقبه بهلع ولقد اتصلت مع طبيبه الدكتور حمدي السيد بدون علمه فحضر مع زوجته السيدة اصلاح وحقنه بأدوية فنام وقررت في صبيحة الغد أن أعتذر من نائب الرئيس الاستاذ حسين الشافعي لعدم تمكن سامي من مرافقته الى دمشق . . ولكنه في السابعة صباحا حين نهض من سريره بدأ بمقدمات حتى لا أضايقه بنقاشي . قال :-

ان الاوكسجين نعمة من الله . لقد نمت نوما عميقا وزال تعب أمس كله ولا شك ان حقنة الدكتور حمدي أزالته كل تعب أمس وأنا الان بصحة ممتازة . أرجو أن تكون الحقبة مهيئة وحين حاولت أن أعارض وأذكره بما

عانى ليلة أمس . نظر اليّ تلك النظرة الحادة التي معناها أن لانقاش لأن لفائدة منه وتابع قوله : - هذه زيارة عمل ولا بد من القيام بها ، ونقاشك هذا معي سيتعب قلبي أكثر من السفارة . . يا احسان .

آه كم ندمت على طاعتي العمياء بتنفيذ رغباته وعدم وقوفي في وجهه بعناد حين يندفع الى العمل متحمدا حتى وضعه الصحي . ربما لو سمع نصيح الاطباء في اللجوء الى الراحة التامة لكان قد خدمه قلبه مدة أطول . . ولكن طبعه كان أقوى من أن يعاند . . فسافر الى دمشق وكان يوما حافلا بالعمل المتواصل واللقاءات امتد حتى الواحدة . وكان من جراء ذلك كله أن أصيب بتلك الجلطة القلبية الرهيبة بعد ساعة من انتهاء الاجتماع في الساعة الثانية صباحا ونقل الى المستشفى في حالة سيئة جدا .

استدعيت مع الأولاد من القاهرة وقد حضر معي طبيبه الخاص الدكتور حمدي السيد وطبيب الرئاسة الدكتور محمد عطية .

حين دخلت الى غرفة الانعاش المشدد ، رد على نظرتي بكلمة معك حق . . فرحت بوصولكم . . لكنكم تأخرتم . . سألناه وهل كنت تدري أنا قادمون ؟

أجاب :- «عادني السيد الرئيس حافظ الأسد وسألني هل ترغب في أي شيء . . قلت :-

أرغب أن أرى أم مصباح والأولاد . .

فقال السيد الرئيس :- استدعيناهم وهم في الجو الآن . . وماذا ترغب أيضا ونظر اليّ «كمن يقول ،، ليس الشهيد هو الجندي الذي يستشهد في الجبهة . بل هناك من يستشهدون أيضا في سبيل العمل لخير أمتهم . . وتذكرت هذا بوضوح حين حضر السيد الرئيس لدارنا معزيا بسامي في ١٣/٢/١٩٧٦ حين قال :-

لا يقاس عمر الانسان بعدد السنين التي عاشها وانما يقاس عمره بعمله ، وبعطائه ، . . لذا أحسب أن عمر المرحوم الدكتور سامي مائة سنة . .

بعد فترة العلاج والاستجمام التي امتدت ثلاثة اشهر عدنا للقاهرة . . وكان التقارب الثلاثي بين مصر وليبيا وسوريا يثلج قلب الدروبي ويعمل له بجهد

وكان عضوا في لجنة الدستور الاتحادي التي يرأسها آنذاك نائب الرئيس
الاستاذ محمود الأيوبي والاعضاء الاستاذ محمد حيدر والمرحوم الاستاذ
الدكتور محمد الفاضل .

حين انتهى الميثاق الثلاثي وأعلنت الدولة الاتحادية قلد الرئيس الاسد
سامي الدروبي وساما تقديرا لما بذل في هذا السبيل . وقد يقن ان الجهد
الذي على عاتق المسؤل السوري في القاهرة اكبر من أن يتحملة انسان
مريض ومندفع بالعمل مثل سامي الذي بدأ يزداد تدهور حالته الصحية بين
يوم ويوم . فنقلنا الى اسبانيا . . حيث كنا نظن ان المسؤل ولية هناك أقل مما
هي عليه في القاهرة . وفعلا كانت كذلك الى ان قامت حرب تشرين
فتحولت السفارة الى خلية نحل كان سامي يعمل بدون رحمة بوحشية . جعل
من صالون السفارة مركزاً للتبرع بالدم تحت إشراف الصليب الأحمر
الاسباني . . وكانت هناك اللقاءات والمؤتمرات الصحفية الخ . ولن أنسى ان
طبيب القلب الاسباني والذي كان يشرف على علاجه الدكتور استياحين سأل
الدكتور السوري قاسم العون عن صحة السفير . فعلم منه ان السفير يظل
في السفارة كل يوم ثماني عشرة ساعة . . . صاح الدكتور الاسباني قائلاً :-
سفيركم هذا يريد أن يتتحر . تعال معي لننقذه وجاء مع الطبيب السوري
الى السفارة وأخذنا سامي بالرغم عنه الى المنزل .

قال لي مرة السفير السعودي الشيخ ناصر المنقور حين نجتمع نحن السفراء
العرب ابان فترة الحرب وقد اتفقنا على العمل الجماعي . صباحا في تمام
الساعة الحادية عشرة في السفارة المصرية . نتداول الأخبار ونوزع الأعمال
وقد تقرر أن يزور سامي مع السفير المصري بصفتهم سفري الدولتين
المتحاربتين مع اسرائيل وزير الخارجية الاسبانية . وكان المتحدث سامي
فطلب من الوزير الاسباني أن تصدر اسبانيا بيانا توضح فيه موقفها من هذه
الحرب . لكن وزير الخارجية اعتذر بلباقة ذاكرا ان اسبانيا يجب ان تبقى
على الحياد حتى تستطيع أن تلعب دور الوسيط كما فعلت ابان حرب ١٩٦٧
ولم ينس أن يتحدث عن اسبانيا صديقة العرب وليس بينها وبين اسرائيل
تمثيل . . فرد عليه سامي :- ان وزير خارجية فرنسا أصدر بيانا بالرغم من أن

لها تمثيل دبلوماسي مع اسرائيل وقد لمح أن الصداقة الاسبانية العربية سوف يعاد النظر فيها وبمصالحتها على كل المستويات العربية لا المصرية والسورية فقط اذا بقيت اسبانية متجاهلة ولم تصدر بياناً لموقفها المؤيد للعرب .
بعد انتهاء الزيارة بساعتين فقط صدر بيان من الخارجية الاسبانية يدين اسرائيل .

أذكر في حديث لنا مع وزير السياحة الاسباني ذات مساء أنه قال :-
ان للعرب فضلاً كبيراً على اسبانيا حين جعلوا من جامع قرطبة منبراً ثقافياً يلتف حوله مثقفوا أوروبا ليعودوا إلى بلاط ملوكهم وقد نهلوا المعرفة على أيدي فلاسفتكم . ونحن الآن نعمل المهرجانات ونحتفل بذكرى هؤلاء الفلاسفة وان دخلنا السياحي بما تركه لنا العرب في الأندلس من الآثار الرائعة «كذا مليون» ، «لا أذكر الرقم» . وبعد بضعة أيام زارتنى صديقة وذهبتنا معا إلى الأندلس وبينما نحن في قصر الحمراء المدهش فإذا بدليل اسباني يترأس مجموعة سياح أمريكا ويحدثهم عن العرب بلهجة عدائية تختلف عن لهجة وزير السياحة . وحين تمادى شرحه المفترى قائلاً :-

ان في هذا القصر غرف على عدد أيام السنة وعلى عدد حريم الأمير الذي يستمتع كل يوم بحرمة . . وبدأ يعطي صورة عن امراء الأندلس العرب قمينة .

التفت الى الجمع السياحي وقلت بصوت به من الرصانة والقناعة مالفت نظر الجمع اليّ :-

أيها السيدات والسادة أرجو أن تحكموا بعقولكم على ما تسمعون وتساءلت هل يمكن لأمير ليس له من هم سوى الحريم أن يترك مثل هذا الأثر الفني المعماري الرائع منذ كذا قرن من الزمن . والتفت نحو الدليل وقلت ان وزير سياحتكم منذ يومين فقط قال الكثير عن فضل العرب الحضاري على اسبانيا في القديم وعلى الدخيل المادي بفضل السياح الذين يأتون ليشاهدوا ما تركه العرب في وقتنا الحاضر . فاذا بالدليل يغير اللهجة العدائية للعرب ويأخذ يتحدث عنهم بطريقة اعادت لهم اعتبارهم خاصة حين أخذ يشرح وقد وصلنا الى الحمام في قصر الحمراء كيف ان العرب كانوا بدرجة من

الرقمي والحضارة يثير الاعجاب . هذا صنوبر ماء ساخن ، وهذا صنوبر ماء بارد ، وهذا صنوبر العطر . .

وأخذ يقارن كل هذا كان عند العرب في حين لم يكن في قصور أوروبا المراحيض في ذلك الوقت . وتابع شرحه قائلا . . كيف كان الموسيقيون يجلسون في شرفة مرتفعة في الحمام الأوسط . . يعزفون الموسيقى . . ريثما يرتاح المستحمون . . فلا يملوا من الانتظار لحين «يرد عرقهم» حتى لا يخرجوا من الحمام الساخن الى الحديقة للوصول للمنزل . اذا كانت كل الفنون متقدمة عند العرب في ذلك الوقت ليس فقط فن الحرب ولا فن العمارة . . ولا فن الموسيقى .

ولقد علمنا فيما بعد ان عدداً من اليهود الاسبان انتسبوا الى المدرسة السياحية في غرناطة ومن خلال هؤلاء الأدلاء السياحيين اليهود كانت تشوه صفحتنا التاريخية الناصعة وكان هذا الدليل أحد خيريجيها وأذكر ان توصية رفعت الى الأمانة العامة للجامعة العربية بخصوص افتتاح مدارس سياحية في غرناطة واشبيلية وقرطبة يدرس فيها تاريخنا بصدق وبدون تشويه .

ومن الأمور التي لا أنساها في احدى زيارتنا لجامع قرطبة مع بعض الأصدقاء وقفنا أمام المحراب بخشوع ليس له مثل مأخوذ من بروعة ودقة بنائه وأخذ الدليل يشرح بإعجاب هذا المحراب ويصف وصفادقيقاً شيقاً قبه الفخمة والخزف الجميل الذي يزينه والفسيفساء التي وضعت بدقة فائقة ثم انتقل بالحديث كيف ان الامام كان يسمع صوته في ارجاء الجامع على كبره حيث صمم هندسيا بشكل مدهش حقا يستفيد من الاصدااء فيسمع صوت الامام جميع المصلين . وقد طلب الى عدد من السياح الانتشار في المسجد فابتعدوا على مسافات لا تقل عن مئة ومئة وخمسين مترا ومزق قطعة ورق فاذا بصدى صوتها يصل لهؤلاء السياح الواقفين والمنتشرين في المسجد على بعد وبينما نحن نتابع تجوالنا في الجامع مررنا بالجزء الذي أصبح كنيسة وكان يوم أحد والكاهن يلقي قداسا وللصدف أصاب الميكروفون عطلا ما فلم يسمع صوت الكاهن وأخذ المصلون يتهامسون . . عن غياب الصوت واذا بنفس الدليل يضحك ويقول :

من كذا قرن لم يقع امام المسلمين بمثل هذا المأزق لأن المهندسين العرب كانوا عباقرة في فن العمارة وبنوا المحراب بشكل يوزع الصوت في كل أرجاء الجامع كما شرحت منذ قليل . كم أحسسننا بالاعتزاز لهذا الشئ الذي لم نتوقعه . . والذي أثار اعجابنا أكثر من كل هذا حين وقف في البهو ونظر نحو الحائط الغربي حيث حول الى مدافن الى الأسر الحاكمة أو الثرية وانتقدتها لأنها تشوه هذا العمل المعماري الرائع ثم سرح بنظره وقال :-

لقد لعب هذا الجامع دوراً عظيماً حين كانت قرطبة عاصمة اسبانيا المسلمة ومقر بلاط امراء الأندلس فكان مثارة «للثقافة وللعلوم والفنون» وكان حول كل على عامود من هذه الأعمدة حلقة فكر تشع ساهم ابناؤها أمثال ابن رشد وابن حزم في نشر الثقافة وتلقت أوروبا ثمار هذه الثقافات من هنا . وكانوا الأباطرة الأوروبيون يتفاخرون أن مستشاريهم تخرجوا من هذا المكان . وأحسسننا بصوته يمتلج فقال لي سامي :-

لاشك أنه من سلالة أجدادنا الأمويين والدم العربي يسري في شرايينه فاقتربنا منه وقلت له وأنا أنظر في عينيه السوداويين ان سواد عينيك ، وسمرة بشرتك وشحنة العاطفة التي ترافق شرحك ، تجعلني لا أشك أنك من أحفاد لأجدادنا . .

فسأل : من أنتم ؟

وحين عرف أن سامي سفير سوريا نظر اليه مليا . . وأخرج بطاقته . . وكم كانت دهشتنا حين قرأنا اسمه انه فرناندو بني أومية . . أعدت تهجئة الأحرف اللاتينية ثلاثة مرات . . قبل أن أصرخ بني أومية . . بني أومية . . ويديا ترتبان على صدري . . وكأنني أقول ابنا . . ابنا . . فقال نعم بني أومية . . وهو يهز رأسه .

لن ننسى تلك الأمسية التي قضيناها حين دعانا الى العشاء في دار والده التي ما ان دخلتها حتى أحسست أنها دار جدي في القنوت . . البحرة في وسط أرض الديار ، والياسمين ، متسلق على الجدران وأشجار البرتقال والليمون والكباد والبارنج وأجمل ما في الدار كان صاحبها . وبدأ حديثه قائلاً :-

كم سررت حين أخبرني ابني أنه تعرف على سفير الأمويين ولقد بهرته بثقافتك واطلاعتك من اللقاء الأول وانني تشرفت بمعرفتك وفخور بك هنا بيننا وكان حديثه جذابا ممتعا وقد قال بحسرة تصوروا انني من سلالة بني أمية العربية المسلمة ، ولظروف أمنية وسياسية أصبح أجدادي كاثوليك . . وأنا عندي سبع بنات اربعة منهم راهبات في الدير . . وتجولنا في منزله العريق وأرانا طبقا فخاريا عليه شعار بني أمية. محتفظا به وقد ورثه عن أجداده . . لم استطع ان احبس دمتين سقطتا من عيني رغم كل ما حاولت أن أخفي من أحاسيسي وانفعالي . . ولن أنسى تلك السهرة لما تجلى بها من أحاديث ثقافية بترائنا أبهرتني فعلا . .

لن أنسى زيارة الوداع لولي العهد الامير خوان كارلوس والاميرة صوفيا . . كانت في أواخر سنة ١٩٧٥ . وكنت برفقة زوجي . وكانت مشكلة الصحراء الغربية ما زالت قائمة بين المغرب واسبانيا . فسأل ولي العهد الاسباني سامي عن موقف الدول العربية الصديقة لاسبانيا في حالة تشدد الاسبان مع المغرب كيف يكون موقفها من هذه المشكلة ؟

ابتسم سامي وقال لولي العهد :-
يوجد بالعربية مثل شعبي يقول :

«أنا وأخي على ابن عمي ، وأنا وابن عمي على الغريب» ان المغرب هو الأخ ومهما اختلفت الأخوة فهم أخوة ، لذا لا يمكن ان يقف احد من البلاد العربية مع اسبانيا رغم الصداقة التقليدية ضد المغرب العربي الشقيق . ان الشعب السوري لا يمكن ان ينسى ان دماء الأخوة الأبطال المغاربة لم تجف بعد في الجولان في حرب تشرين سنة ١٩٧٣ حين هب المغرب لنصرتنا فأرسل لسوريه ابناءه .

وأضيف فأقول ان كل مصالح اسبانيا الاقتصادية في الوطن العربي كله ستهدد . . أذكر ان الامير خوان كارلوس رفع يده اليسرى وضربها على ساقه والتفت الى زوجته الاميرة صوفيا وقال :-

ألم أقل هذا بالحرف أمس الى رئيس الدولة الجنرال فرانكو . . وانكل يعرف أن اسبانيا أعادت الصحراء المغربية في نهاية عام ١٩٧٥ أي بعد اشهر قليلة . .

اليوم وأنا أتابع مسلسل الايام لطفه حسين عاد لذاكرتي هذا الحديث الذي جرى بين طه حسين وأحد الصحفيين المصريين . حين سأله : ماذا تقرأ في هذه الايام يا أستاذنا الكبير ؟
أجابه الأستاذ طه حسين :-

انني أقرأ أترجمات الدكتور سامي الدروبي للاعمال الكاملة لدوستوفسكي والذي يثير اعجابي أن هذا الانسان اعتبره مؤسسة بكاملها بل أحسن . وتابع يقول الأستاذ طه حسين . . حين كنت مديرا عاما للثقافة في الجامعة العربية ، أنشأت لجنة من كبار الأدباء لكي ننقل آثار شكسبير الى اللغة العربية . وكانت تتوفر أمامنا الامكانيات المادية والمعنوية . ولم نستطع حتى الان وقد مضى ثمانية عشر عاما على اتمام ترجمة شكسبير وها نحن نرى شخصا واحدا يقوم بهذا العمل الجبار فيعطي القارئ العربي ، والمكتبة العربية أعمال دوستوفسكي كاملة بأسلوب واحد ولغة جميلة متينة وبعمق وفهم لروح المؤلف . . ولا تدري كم سررت حين سمعت تعليق المستشرق الروسي أستاذ اللغة العربية بجامعة موسكو حين زارني من مدة قصيرة اذ قال :-

حين قرأت ترجمة الدكتور سامي الدروبي لدوستوفسكي قلت لو كان دوستوفسكي عربيا لما كتب أجمل من هذا . مالي أعود لدوستوفسكي ؟ وبما أنني ما زلت احوم في فلكه اسمحو لي أن أنقل لكم ما كتبه فايز قنديل في جريدة البعث بتاريخ ٤/٤/١٩٧٤ :-

عندما استعرب دوستوفسكي على يدي سامي الدروبي قال أديب عربي ممتاز عبارة تحمل من الحقيقة أكثر مما تحمل من المرح . ان دوستوفسكي . هو الذي ترجم سامي الدروبي الى الروسية . .

ولكي تدرك العجب العظيم الذي نهض به الدكتور سامي الدروبي : يجب ان نتذكر انه عرب راية نيتوتشكا في عام ١٩٥٤ أي انه يعاشر هذا الكاتب منذ اكثر من ربع قرن تقريبا بلا انقطاع فالمسألة اذن ليست لهوا ، بل هي اشغال شاقة تفيض منها تيارات الفكر والجمال . . ثم ان اختيار دوستوفسكي بالذات اختيار عظيم في ذاته .

وربما اذا اطلع القراء على ما حصل من جدل ثقافي غلى صفحات الجرائد وفي الندوات الثقافية لعذروني حين أعود بين حين وآخر لأذكر دوستوفيسكي وترجمة سامي الدروبي لأعماله الكاملة ، لذا سأقبل لكم ما كتبه الصحفي المصري السيد غالي شكري في مجلة الوطن العربي في ٨ آذا سنة ١٩٧٩ تحت عنوان :-

ملعون ذلك اليوم.

من الاخطاء الصغيرة . لكن المثيرة . لصديقي اسماعيل المهدي . أنه في أواسط الستينات شن هجوما غريبا على مبدأ ترجمة أعمال دوستوفيسكي عن اللغة الفرنسية واذكر ان الذي تصدى لفكرته أيامها الشاعر أحمد عبد المعطي حجازي . . فقد دافع بحماس بالغ عن المترجم والترجمة . . على الرغم من أنه حينذاك لم يكن يعرف الفرنسية .
لماذا ؟

لان المترجم كان سامي الدروبي .

وفي تقديري أن هذا السبب وحده كان كافيا لحسم المعركة التي تشعبت في ذلك الوقت حتى جاوزت حدود المسألة المباشرة . . قيل مثلا . أن بعض الترجمات عن الروسية ، وقد صدرت في موسكو ذاتها بالغة الرداءة . وقيل أيضا بصيغة سؤال اذا لم يكن لدينا مترجمون عن الروسية هل ننتظر ونحرم أنفسنا من أعمال تشيكوف ، وتولستوي ، وبوشكين ، المترجمة الي الفرنسية والانكليزية ؟

وعلى الرغم من ان هذه الحجج والردود صحيحة في معظمها . إلا ان اسم سامي الدروبي وحده كان في ظني هو الرد الحاسم والاكثر اقناعا . قبل أن أتم نقل ما كتب الاستاذ غالي شكري أريد أن أشير الى ان ما قاله طه حسين قبل قليل وما قاله بحضوره المستشرق الروسي استاذ اللغة العربية في جامعة موسكو لهو الرد القاطع على اسماعيل المهدي لأن سامي كان يترجم الأدب الروسي عن الترجمة الفرنسية المعتمدة من الاونيسكو لدار النشر .

أعود الآن الى الاستاذ غالي شكري وأتابع ما كتبه في ٨ / آذا ١٩٧٩ لكن

سامي الدروبي لم يبتغ المال والشهرة . لذلك لم يكن قط مترجما محترفا
على الرغم من أنه أحد أعظم المترجمين .
وتعالوا نتفحص هذا الكلام . .

ان الترجمة . أي ترجمة حين تصبح اختيارا شخصيا لا تعود مجرد اجادة
للغة أجنبية . بل تصبح فنا وخلقاً واكتشافا . وجزءا أصيلا من الذات شأنه
في ذلك شأن أي ابداع .

ولقد كان «الاختيار» الرئيسي لسامي الدروبي هو دوستوفسكي وتولستوي
قام بنقل أعمالهما الكاملة في دأب ومثابرة وصبر تنوء بحمله اللجان
والمؤسسات ووزارات الثقافة .

هنا أرى من واجبي كزوجة لسامي الدروبي أن الفت نظر الاستاذ غالي
شكري أن هذا الكلام لا ينطبق على وزارات الثقافة لانه في الحقيقة ان
وزارة الثقافة المصرية تعاقدت مع سامي الدروبي على نشر الاعمال الكاملة
لدوستوفسكي ووزارة الثقافة السورية . تعاقدت مع سامي الدروبي على
نشر الاعمال الكاملة لتولستوي .

أعود بعد هذه الملاحظة لأتمم ما كتبه الاستاذ غالي شكري في مجلة
الوطن العربي .

اذا عرفنا ان الدروبي لم يكن محتاجا لترجم . ولو كان محتاجا لترجم
أشياء اخرى . . واذا عرفنا ان الرجل كان مثقلا بأعباء أعماله الرسمية
السياسية والدبلوماسية لاقتربنا من سر هذه «الرهينة» في معبد الجمال لم
يكن دوستوفسكي وتولستوي الا جزءا لا ينفصل عن ذات سامي الدروبي
لقد رأى نفسه فيهما على نحو من الانحاء ، ومن هنا . لم يكن نقله
لاعمالهما الى لغتنا ترجمة ، بل عطاء للنفس وتحقيقا للذات وتجسيذا عميقا
«لوجوده» الشخصي . لقد «كتبهما» ولم يترجمهما . أو هو بدلا من أن
«يكتب» رأى فيهما الخلاص والفرح . . فكانت الترجمة هي ذاتها «الكتابة»
لا تنتظر تكليفا من احد ولا تحميسا ولا تشجيعا . بل كان فيها معاناة
الخلق . فقد توحد مع الكاتبين في عملية ابداعية واحدة :

وحين نعرف من كان دوستوفسكي وتولستوي في تاريخ الابداع البشري .

يجب أن نعرف في اللحظة عينها . أي «فنان» كان سامي الدروبي . على الرغم من أنه لم يكتب رواية واحدة .

ملعون ذلك اليوم

مقال غالي شكري

من الاخطاء الضميمة . لكن المثيرة . لصديقي اسماعيل المهدي . أنه في أواسط الستينات شن هجوماً غريباً على مبدأ ترجمة أعمال دوستوفيفسكي عن اللغة الفرنسية . وأذكر أن الذي تصدى لفكرته أيامها الشاعر أحمد عبد المطي حجازي ... فقد دافع بحماس بالغ عن المترجم والترجمة . على الرغم من أنه حينذاك لم يكن يعرف الفرنسية لماذا ؟

لأن المترجم كان سامي الدروبي .

وفي تقديره أن هذا السبب وحده كان كافياً لحسم المعركة التي تشعبت في ذلك الوقت حتى جاوزت حدود المسألة المباشرة ... قيل . مثلاً . أن بعض الترجمات عن الروسية . وقد صدرت في موسكو ذاتها . بالغة الرذالة . وقيل أيضاً في صيغة سؤال ، إذا لم يكن لدينا مترجمون عن الروسية هل ننتظر ونحرم أنفسنا من أعمال تشيخوف وتولستوي وبوشكين المترجمة الى الفرنسية والانكليزية ؟

وعلى الرغم من أن هذه الحجج والرذود صحيحة في معظمها إلا أن اسم سامي الدروبي وحده كان في ظني هو الرد الحاسم والأكثر اقناعاً .

لماذا . مرة أخرى ؟

لأنه لم يكن مترجماً . ولو أراد لانكبُ على أشياء لا علاقة لها بدوستوفيفسكي أو تولستوي أو برغون أو أيفو اندريتش أو كروتشه . ولو أراد . لأصبح مليونيراً في قليل من الاعوام . ولو أراد أيضاً . لتفرغ للكتابة لا للترجمة . ولأصبح أحد أبرز المشاهير في التأليف العربي المعاصر .

لكن سامي الدروبي لم يبتغ المال ولا الشهرة . لذلك . لم يكن قط مترجماً محترفاً على الرغم من أنه أحد أعظم المترجمين .

وتعالوا نتفحص هذا الكلام .

إن الترجمة . أي ترجمة . حين تصبح اختياراً شخصياً . لا تعود مجرد اجادة للغة أجنبية . بل تصبح فناً وخلقاً واكتشافاً . وجزءاً أصيلاً من الذات شأنها في ذلك شأن أي ابداع .

ولقد كان « الاختيار » الرئيسي لسامي الدروبي هو دوستوفيفسكي وتولستوي . قام بنقل أعمالهما الكاملة في دأب ومثابرة ومسير تنوء بحمله اللجان والمؤسسات ووزارات الثقافة . فاذا عرفنا أن الرجل لم يكن محتاجاً ليرجم . ولو كان محتاجاً لترجم أشياء أخرى ... وإذا عرفنا أن الرجل كان مثقلاً بأعباء أعماله الرسمية . السياسية والدبلوماسية . لاقتربنا من سر هذه « الرهينة » في مصد الجلال . لم يكن دوستوفيفسكي وتولستوي إلا جزءاً لا ينفصل عن ذات سامي الدروبي . لقد رأى نفسه فيهما على نحو من الانحاء . ومن هنا . لم يكن نقله لأعمالهما الى لغتنا ترجمة . بل عطاء للنفس وتحقيقاً للذات وتجسداً عميقاً « لوجوده » الشخصي . لقد « كتبها » ولم يترجمهما . أو هو بدلاً من أن « يكتب » رأى فيهما الخلاص والفرح ... فكانت الترجمة هي ذاتها « الكتابة » لا تنتظر تكليفاً من أحد ولا تحمياً ولا تشجيعاً . بل كابد فيها معاناة الخلق . فقد توحد مع الكاتبين في عملية ابداعية واحدة .

وحين نعرف من كان دوستوفيفسكي وتولستوي في تاريخ الابداع البشري يجب أن نعرف في اللحظة عينها . أي « فنان » كان سامي الدروبي . على الرغم من أنه لم يكتب رواية واحدة .

الوجه الآخر لمحراب الفن كان « الأمة » التي ينتمي إليها . فهو بترجماته أضاف الى العربية رصيداً بالغ الثراء من الألفاظ والمعاني والتراكيب والأخيلة والأيقاع . قلنا توفر لنا من بعض الكتاب المنشئين أنفسهم . وهو . بذلك . حصل من دوستوفيفسكي وتولستوي وبرغون وكروتشه وأيفو اندريتش أدباء في العربية لا أدباء أو فلاسفة أجنب . إن عبقريته في التوليد والاشتراق لا تتم فحُب عن معرفة عميقة بأسرار اللغة الفرنسية . بل كانت خلقاً للعربية وتثويراً لقواعدها الاصلية .

والسبب أنه اذا كان « باختياره » الرئيسي للآداب التي ترجمها قد حقق ذاته « الفنية » . فإنه بصياغته الفذة حقق ذاته « العربية » . فالفن والأمة في حياة سامي الدروبي هما محور هذه الشخصية « المتصوفة » في تاريخ العرب الحديث .

منذ ثلاث سنوات رحل سامي الدروبي السفير الذي جعل من السفارة السورية في مصر بيتاً للمتفنين والفنانين والعشاق ... عشاق الأمة الواحدة وبناء اللغة الواحدة والمصير الواحد .

لعله ببصيرة الفنان وتصوف العربي لم يشأ أن يشهد الساعة التي يقال فيها : ملعون ذلك اليوم الذي تغلق فيه سفارات العرب في القاهرة . استعداداً لافتتاح سفارة « اسرائيل » .

لم يكن قلبه الكبير ليتسع للمسأة في مثل هذا الحجم . لكن هذا القلب . وإن توقف . لا يموت ...

الوجه الآخر لمحراب الفن كان « الأمة » التي ينتمي إليها . فهو بترجماته اضاف الى العربية رصيذا بالغ الثراء من الألفاظ والمعاني والتراكيب والأخيلة والايقاع . قلما توفر لنا من بعض الكتاب المنشئين أنفسهم . وهو بذلك حصل من دوستوفسكي وتولستوي وبرغسون وكروتشه وايفو أندرتش أدباء في العربية لا أدباء وفلاسفة أجانب . ان عبقريته في التوليد والاشتقاق لا تتم فحسب عن معرفة عميقة بأسرار اللغة الفرنسية بل كانت خلقا للعربية وتثويرا لقواعدها الأصلية .

والسبب أنه اذا كان « باختياره » الرئيسي للاداب التي ترجمها قد حقق ذاته « الغنية » فانه بصياغته الفذة حقق ذاته « العربية » . فالفن والأمة في حياة سامي الدروبي هما محور هذه الشخصية « المتصوفة » في تاريخ العرب الحديث . منذ ثلاث سنوات رحل سامي الدروبي السفير الذي جعل من السفارة السورية في مصر بيتا للمثقفين والفنانين والعشاق . . . عشاق الأمة الواحدة وأبناء اللغة الواحدة والمصير الواحد .

لعله ببصيرة الفنان وتصوف العربي لم يشأ أن يشهد الساعة التي يقال فيها ملعون ذلك اليوم الذي تغلق فيه سفارات العرب في القاهرة . استعدادا لافتتاح سفارة « اسرائيل » .

لم يكن قلبه الكبير ليتسع لمأساة في مثل هذا الحجم . لكن هذا القلب وان توقف . لا يموت

في اليوم الأول من تشرين أول سنة ١٩٧٣ غادرنا مدريد الى روما حيث سيقدم سامي أوراق اعتماده في الفاتيكان لقداسة البابا . وقد حدد اليوم الرابع من ذلك الشهر .

قام سامي بالزيارات الرسمية . وكل شيء كان على ما يرام الى يوم الثالث من تشرين أي قبل يوم واحد من موعد تقديم أوراق الاعتماد حين حضر لرد الزيارة لسامي المنسيور وزير خارجية الفاتيكان وأثناء الحديث تطرق سامي الى المشكلة الفلسطينية . فلفت بلطف نظر سامي الا نتطرق في الكلمة الى المشكلة الفلسطينية لأن قداسة البابا سيرد على كلمتك بكلمة من روحها ، والفاتيكان يرغب ان يكون في موقف حيادي غير متحيز بالنسبة الى شخصية

البابا الروحانية . . العالمية . .

أعود لأقول ان صلابة سامي الروحية والعند الذي عرف به منذ نعومة أظفاره لم يصلها العمل الدبلوماسي أبدا . اذ رد على سيادة الكاردينال قائلا :-
ان لبلادي قضية . وان من واجبي أن أوضح هذه القضية لقداسة البابا لما تتمتع شخصيته الروحية العالمية من تأثير عالمي واذا كان هذا غير مرغوب فيه فلامانع من تأجيل موعد تقديم أوراق الاعتماد ريثما أرجع الى حكومتي التي انتدبتني لهذا الموقف . واذا بالدبلوماسية الفاتيكانية ترى أن لا داعي لتأجيل موعد تقديم أوراق الاعتماد .

في صباح الغد رافقت زوجي لتقديم أوراق الاعتماد ، وحسب المراسم المتبعة هناك يستقبل مدير المراسم عائلة السفير ويرافقها في زيارة المتحف . بعدها يستقبل قداسة البابا السفير وزوجته في مكتبه الخاص حين دخلت الى مكتب قداسة البابا . وقفت مدهوشة أمام شخصية مهيبة مؤثرة لها هالة من الرهبة تقدمت باحترام شديد وماأن مددت يدي لمصافحته حتى سمعت صوته يقول :-

سأصلي لك ولزوجك ولأولادك .

رفعت رأسي ونظرت في عينيه وقلت :

أرجو من قداسة البابا أن يصلي لأهلي الفلسطينيين الذين تركوا بيوتهم ومزارعهم ويسكنون تحت الخيام واذا بدموعي تنهمر بغزارة بدون أن استطع السيطرة عليها . لفت نظري أن دموعا هطلت من عيون قداسة البابا وهو يتصور وضع اللاجئين أطفالا وشيوخا تحت الخيام .

أذكر بعد انتهاء الزيارة وفي عودتنا قال لي سامي بارتياح شديد لقد وفقت بكلمتك لقداسة البابا «الله يعينا على هذا الجنس» صار لي ساعة وأنا أحدثه عن القضية الفلسطينية وبجملة قصيرة دخلت الى قلبه وأبكيته .

الدكتور الدرويحي يقدم أوراق اعزازة للبابا في الفاتيكان .



اليوم وصلتني دعوة من جمعية أهلاً وسهلاً إلى فندق الميرديان . . .
لعرض الأزياء الشعبية السورية . . . وكم سررت للفكرة حيث أيقظت من
ذاكرتي أيام كنا في يوغسلافيا في ١٩٦٥

قبل سفرنا لبلغراد أخذنا أولادنا وكانوا أطفالاً في زيارة لمعالم
دمشق أذكر حين زرنا قصر العظم استقبلنا صديقنا الأستاذ شفيق
الإمام . . . استقبلاً جميلاً وفتح لنا غرفة الأزياء الشعبية . فسأله سامي : -
هل يمكن إقتناء مثل هذه الثياب يا أستاذ شفيق ؟ ومن أين ؟
أجابه الأستاذ شفيق : -

تأتي إلينا الفلاحات من القرى تحمل لنا أعمالهن فننتقي منها
القديم . . . كأشياء من التراث والجديد الجيد لفت نظرنا
سروالاً مطرزاً بألوان زاهية وبإتقان ملفتاً للنظر . . .
سألت الأستاذ إمام :-

هذا سروال مطرز ومزخرف وملون وهل كانت تلبس الرجال
مطرزات ؟
أجاب : -

لهذا السروال قصة حضرت مرة فلاحه عجوز وأحضرته وقالت : -
هذا السروال اشتغلته أيام «سفر بر» أي الحرب العالمية الأولى . وكنت
عروساً حين أخذوا زوجي عريس شهر إلى العسكريه وكنت أمل حين يعود
ويحضر الأحباب ليسلموا عليه . . . أن يلبس سروالاً جميلاً فاشتريت قماشاً
وكنت أذهب إلى الشيدروان أجلس وأشوف ألوان الأزهار وأطبقها وأطرزها
على هذا السروال وانتهت الحرب وانتظرت وانتظرت ولم يعد زوجي ووضع
هذا السروال في صندوقي . . . وكلما اشتقت لعريسي فتحت الصندوق
وأخرجته منه ثم أعيدته هكذا مدة أربعين سنة والآن وقد مرضت وأنا بحاجة
لدواء ومعالجة وليس عندي أقيم من هذا السروال فهل تشتروه بلبيرة ذهبية ثمن
قماشته وخيطاته ولا أريد منكم ثمن تطريز . . .

كان الأستاذ الإمام يحدثنا تلك القصة بصوته الهادئ العميق الذي
يدخل إلى أعماق القلب فما انتهت حتى مسحت الدموع من على خدي . . .

وتابع شرحه هذا ثوب من منطقة كذا وذاك آخر . من قرية كذا ويشرح لنا الفرق بين هذا وذاك شرحاً ممتعاً بمعلومات مستفيضة استمتعنا بها وما أن وصلت إلى الدار حتى كتبت هذه المعلومات القيمة . . . وفي الغد اشترينا مجموعة من الثياب الشعبية السورية .

وفي يوغسلافيا نضجت فكرة أن أدعو لحفل «العرض الأزياء الشعبية السورية» في النادي الدبلوماسي في بلغراد . وقد طلبت من زوجات السلك الدبلوماسي العربي أن أستعين بأطفالهن لهذا الحفل ويشهد الله أنني وجدت كل مساعدة . وخاصة من السيدة فطمه حرم سفير مصر حمدي أبو زيد . التي أعجبت بفكره يوم سورية . وطلبت إلى موفدة من وزارة الثقافة المصرية تدرس الرقص الفولكلوري . . . أن تدرب الفتيات العربيات على الرقص . . وعلى عرض الأزياء .

وكان يوماً رائعاً ناجحاً ، وحفلاً مبهجاً ونال إعجاب الجميع وطلب منا إعادته يوماً آخر

لذا قلت لا شك أن حفلة جمعية أهلاً وسهلاً التي بطاقتها بين يدي الآن ستلاقي نجاحاً واعجاباً من السلك الدبلوماسي الموجود عندنا وستعمل دعايه كبيره للبلد خاصة أنها تملك إمكانيات كبيرة تفوق إمكانيات حفلتنا تلك في بلغراد .



في حفل الازياء الشعبية السورية في بلغراد .



بغداد، ١٩٦٤
في حفل الأزياء الشعبية السورية في بلغراد، نا. الكحلاني

الموسيقى الأعمى

لا أدري لماذا انتقلت بي الذاكرة إلى موسكو وبالذات إلى المستشفى الجامعي بموسكو والذاكرة لا يقيدها تاريخ فلها حرية الانتقال بدون ضبط تاريخي ولو بفارق عشر نوات . . . كما سبق وذكرت . دعت جامعة موسكو بعض أساتذة الجامعة السورية لزيارة الأتحاد السوفيتي وقد كنا سامي وأنا عضوين في ذلك الوفد . وقد صادفني سوء الطالع فأصيب بوعكة صحية دخل المستشفى على أثرها . فعاده رئيس جامعة موسكو والمستشرق الأستاذ فلاديمير كراستوفسكي أستاذ اللغة العربية هناك . وحملنا بعض الكتب من الأدب الروسي الكلاسيكي باللغة الفرنسية . وكان كتاب الموسيقى الأعمى لكورولنكو بين هذه الكتب . أذكر أنه بعد العشاء أخذ سامي هذا الكتاب وبدأ يتصفحه . . . ومازلت أذكر أنه منذ قرأ الفصل الأول قال لي مؤكداً وبجزم . إن هذا الكاتب غير عادي . . . ان المؤلف مرهف الحس . . . إنه مبدع حقاً . . . وسوف أترجم هذا الكتاب حتماً .

كم كانت دهشتي حين استيقظت صباحاً وكان زوجي ينتهي لتوه من قراءة هذا الكتاب . طلب مني أن أذهب إلى المكتبة القريبة جداً من المستشفى لأبتاع ورقاً

اشتريت الورق وجلست على حافة سريري . وحولت الكومودين إلى منضدة . . . وكان سامي راقداً في سريره ويديه النص الفرنسي يملئ علي بالعربية ، وكانت ملاحظته لي بين وقت وآخر أن يكون خطي واضحاً لأنه قرر أن يهدي هذا الكتاب إلى دار التقدم بموسكو لطباعته باللغة العربية ، وكان يردد : لا تنسي أن عامل المطبعة ليس عربياً ، وعليك أن تعني بوضوح الخط .

وراح يعمل بجهد قدر استطاعته حتى استطاع انهاء ترجمة الكتاب قبل خروجه من المستشفى ، وكان المستشرق الأستاذ فلاديمير كراستوفسكي يزورنا بين حين وآخر قال له سامي بعد أن أنهى ترجمة الكتاب :
أستاذ فلاديمير ، أريد أن أشكرك أنت ورئيس جامعة موسكو لاختياركم هذه المجموعة القصصية الجميلة ولقد اخترت منها قصتين «بطل من زماننا» للكاتب ليرمانتوف . «والموسيقى الأعمى» للكاتب كورولنكو .

وإنني ترجمت هذا الكتاب فارجو أن تقدمه هدية مني إلى دار التقدم لطبعه
باللغة العربية .

أخذ الأستاذ فلاديمير كراستوفسكي المخطوطة وبعد بضعة أيام وبالذات
يوم سمح لنا بمغادرة المستشفى وكان يرافقنا هذا الأستاذ ليترجم لنا طلبنا
حساب العلاج . فقال لسامي مستغرباً : -

دكتور دروبي ألا تعلم أن الطب في الاتحاد السوفيتي مؤمم ؟
أجابه سامي ؛ -

أعلم هذا ، أن الطب مؤمم إلى أفراد الشعب السوفيتي ، أما أنا
فغريب .

أجابه الأستاذ كراستوفسكي : -

لكنك يا دكتور دروبي أنت ضيف الاتحاد السوفيتي .

وكانت المفاجئة التي سبقتنا إلى الفندق حيث أقمنا بضعة أيام بعد
الخروج من المستشفى . أن حضر رئيس الجامعة ومدير دار التقدم وتولى
الترجمة الأستاذ كراستوفسكي .

وكان الحديث التالي : -

أستاذ سامي قرأت كورولنكو بالعربية واسمح لي أن لا أبدي اعجابي
بالترجمة الجميلة والأمانة فقط . بل بالإنسان الفذ الذي استطاع وهو راقد
بالمستشفى وتمت العلاج أن يترجم بهذه الدقة والسرعة . وأخرج ورقة وطلب
من سامي أن يوقع عليها ، فقال له سامي مازحاً :-

كيف أوقع على بياض ؟

فأجابه مدير دار التقدم : -

أجر الترجمة .

فأجابه لامي : -

ان هذا الكتاب هدية مني عرفاناً بكرم الضيافة وحسن الاستطباب .

فضحك مدير الجامعة وقال : -

ليس في الاتحاد السوفيتي عمل بدون أجر . هل تقبل يا دكتور دروبي

أن أكون لهما فأسطو على أتعابك .

بعد عشرة سنين من ذلك التاريخ عدنا بعد غيبة طويلة عن دمشق بحكم عمل سامي كسفير . علمنا أن وزارة التربية قد عممت إحدى كتبه المترجمة «كتاب الموسيقى الأعمى» للكاتب كورولنكو على طلاب الصف الثالث الاعدادي . . . قال لي سامي : -

لقد أخذت أكبر أجر عن كتبي كلها من هذا الكتاب . . .
فسألته بعفوية الزوجة : - كم أخذت ؟

فأجاب وعلى وجهه ابتسامه وفي عينيه بريق الرضى . . .
أخذت زيرو وفلوس ولكن الكتاب سيدخل إلى بيت كل عائلة عندها طالب في الاعدادية .

بعد رحيل زوجي كتبت إلى مديرية الكتب المدرسية أسأل عن عدد الكتب التي طبعتها المديرية من هذا الكتاب منذ أن عمم على طلاب الإعدادية في سنة ١٩٦٧ فأجابتنني أن العدد حتى عام ١٩٧٩ - مئتان وخمسة وسبعين ألف نسخة .

طوبى لك يا سامي لقد تحقق ما قلته قبل رحيلك بعشر سنوات إذ قلت : -

لقد أخذت أكبر أجر عن كتبي كلها من كتاب الموسيقى الأعمى «زيرو فلوس» لكنه سيدخل كل بيت فيه طالب اعدادية .

قصة مع مكتبة الجامعة

في صباح السابع من أيار ١٩٧١ سمعت زوجي يتحدث مع الدكتور شاعر الفحام . وكان آنذاك وزير تعليم عالي . فقال له : -

يا دكتور شاعر قررت أن أقدم مكتبتي هدية إلى الجامعة السورية . أرجو أن ترسل من مكتبة الجامعة شخصاً ليستلم مكتبتي لأنني قررت أن أقدم مكتبتي هدية إلى طلاب جامعة دمشق (وكان قد عمل بها سامي أستاذاً لعلم النفس سبعة عشرة عاماً) .

التفتُ إلى سامي وقلت : -

يا أبا مصباح إن مكتبتك هذه من حق أولادك . . . كيف تقدمها إلى الجامعة ؟ . . .

أذكر أنه نظر إلي بعمق وقال : -
إسمعي يا إحسان . . . لن أنسى ما حييت كم كنت أشقى حين كنت
طالباً جامعياً وكنت أرغب باقتناء المراجع ، وكان ثمنها باهظاً ، ودخلي
محدوداً . . . وتابع حديثه قائلاً : -

قد تجدين أنت كام أن مكتبتي من حق أولادنا . . . وأجد أنا أنها من
حق طلابي في الجامعة ، الذين هم أولادي بالروح . . . أما أولادي بالدم
فإذا ما إختاروا علم النفس والفلسفة ليتخصصوا بالجامعة فإن ظروفهم الآن
تساعدهم على اقتناء المراجع التي تلزمهم .
وكان له ما أراد .

وقد أرسل إليه الدكتور شاکر فحام رسالة يقول فيها : -
السيد الأستاذ الدكتور سامي الدروبي . . .

تحية طيبة . وبعد فيسرنني أن أعلمكم بأن مجلس جامعة دمشق وافق في
جلسته المنعقدة في ١٠/٥/١٩٧١ على قبول الكتب العلمية التي قد متموها
هدية منكم إلى مكتبة الجامعة ، وقرر توجيه الشكر لكم على هذه الهدية
القيمة .

وإنني إذ أنهى إليكم ذلك لا يسعني إلا أن أشكركم باسمي على وفائكم
للجامعة التي تعز بأنكم كنتم أحد أركانها . وما زلتم تعملون في سبيل
تقدمها وازدهارها محيياً فيكم الإخلاص للجامعة وبركم بها .
وتفضلوا بقبول فائق التقدير .

وزير التعليم العالي
رئيس جامعة دمشق
الدكتور شاکر الفحام .

الجمهورية العربية السورية

جامعة دمشق

الظهور الادارية

التصنيف :

الموضوع :

هـ

السيد الاستاذ الدكتور سامي الدروبي
المحتسرم

الرقم : ١٦١٠ / ١٩٧١

تحية طيبة :

بعد فترتي ان اطعمكم بأن جلس جامعة دمشق واتفق في جلسته الطمعدتة نسي
١٩٧١/٥/١٠ طى قبول الكتب العلمية التي قدتموها هدية منكم الى مكتبة الجامعة وقدر
توجيه الشكر لكم على هذه الهدية القيمة .

وانسى ان اتبين اليكم ذلك لايعني الا ان اشكركم باسمي على وفائكم للجامعة
التي تمتاز بانكم كنتم احد اركانها وما زلتتم تعملون في سبيل تقدمها وازدهارها سعيا فيكم
الاخلاص للجامعة بركم بها،
وتفضلوا بقبول ناتيقي التقدير

١٩٧١/٥/١١

١٠

وزير التعليم العالي

رئيس جامعة دمشق

شاكرا

الدكتور شاكرا الفحام

رسالة الدكتور شاكرا الفحام

بعد عدة سنين ، أذكر ذات يوم عاد سامي من السنارة في مدريد وكان قد نقل سفيراً لاسبانيا وأعطاني رسالة وصلته من جامعة دمشق كان على شفثيه ابتسامة . . . وبنظرته كلاماً . . . فضضتها وهذه هي صورة عنها .

الجمهورية العربية السورية .
جامعة دمشق

السيد الأستاذ الدكتور سامي الدروبي تقوم المكتبة المركزية بمجرد محتوياتها وتعد سجلات جديدة لها ، وقد تبين للجنة الجرد المكلفة أنكم كنتم استعرتم الكتب المذكورة رفقاً .

فيرجى التكرم بالعمل على إعادة المطبوعات إلى مكتبة جامعة دمشق بأقصر وقت ممكن . واثقين من حيكم للجامعة ورغبتكم في إثناء مكتبتها التي هي عمود الدراسة والبحث وتقبلوا أطيب تحياتنا .

دمشق في ٢٤ / ١٠ / ١٩٧٣

رئيس جامعة دمشق

الدكتور عبد الرزاق قدورة

وقدرد عليه سامي بهذا الجواب :

السيد الأستاذ الدكتور عبد الرزاق قدورة رئيس جامعة دمشق

تحية طيبة وبعد . فبقدر ما سرّني وأبهجني أن أقرأ تحيتكم الكريمة التي زينتم بها الرسالة التي أرسلتها إلى المكتبة مطالبة ببعض الكتب ، فقدذ ساءني من نفسي تقصيري عن تصفية أمر هذه الكتب ، التي نقلناها من المكتبة المركزية إلى المكتبة الخاصة التي أنشأتها في مخبر علم النفس لتكون في متناول الأساتذة والطلاب كأدوات عمل مستمرة ، ويبدو أنني - من فرط تحمسي لوجود هذه «الكتب - الأمهات» في مخبر علم النفس قد ارتضيت أن تكون استعارتها باسمي ، فكان أن أصبحت مديناً بها وما هي في حوزتي .
ومهما يكن من أمر ، فإنني مستعد لدفع ثمن أي كتاب تعتقدون أنني مسؤل عن فقده .

وإني إذ أهنيء الجامعة بكم ، أعرب عن عظيم تقديري لكم .

سامي الدروبي

الجمهورية العربية السورية

جامعة دمشق

السيد الاستاذ الدكتور سامي الدروبي

تقوم المكتبة المركزية بجزء محتوياتها وتعد سجلات جديدة لها وقد تبين اللجنة
البيروت المكلفة أنكم كنتم استعترتم الكتب المذكورة رفقاً .
فيودنى التكرم بالحمل على اعادة المداخيل الى مكتبة جامعة دمشق بأقصر وقت ممكن
والتقنين من حكم للجامعة ورشحكم في انماه مكتبتها التي هي عمود الدراسة والبحث
وتقباهم األيب تحياتنا .

دمشق في ١٠/٢٤/١٩٧٣

رئيس جامعة دمشق

.....

الدكتور عبد الرزاق قدورة

سرا لبيب تخليا في التتمينة وعبارة تهنيتي .

.....

رسالة الدكتور عبد الرزاق قدوره .

الله درك يا سامي . . . كم أنت كريماً وكبيراً . . . بهذه الروح الرياضية أجبنا جامعة دمشق حين تسألنا عن كتابين استعيرنا باسمك للجامعة نفسها . مع أنك أهديت الجامعة مكتبتك كلها .

المربي بعد رحيل سامي . . . كان علي أن أقوم بأعمال كثيرة في دوائر الدولة . . . وهذه مهمة كنت وما زلت أمقتها . . . وحصل معي حادثه أعطت ضوءاً على شخصية سامي المربي . . .

في إحدى زياراتي لدوائر الدولة . لتابعة عمل ما . . . وجدت المدير العام في انتظاري . . . واستقبلني بترحاب واحترام وأمر لي بفنجان قهوة في حين أمر أحد معاونيه بمتابعة الأوراق . . . فحين شكرته قال :

لاشكر على واجب . . . فأفضل الدكتور سامي كبيرة على البلد .
وأفضلك أنت كبيرة علينا . . .
قلت له :

أن تكون أفضل سامي كبيرة فأنا أقرأها معك بكل تواضع . أما أن تجاملني فتقول أفضل لي أنا فإنني أعترض عليها .
قال : يشهد الله لا أقول هذا مجاملة . ولكنها الحقيقة ولابد أن القصة من أولها .

كنا طلاباً في يوغسلافيا . حين كان المرحوم الدكتور سامي هناك سفيراً . وكنت من الطلاب الأوائل في الستين الأولى والثانية . بعدها توفي والدي وطلب إلي أن أعود لسوريا لعدم تمكن الوالدة من تسديد مصروفاتي . . . ولكنني رفضت العودة طامعاً أن أعيل نفسي . . . وأتابع دراستي . . . وفعلاً بدأت أعمل . . . وكان عملي على حساب دراستي التي تفهقرت .

أفاجأ في يوم برسالة من السفارة تستدعيني لمقابلة السفير شخصياً . . . أذكر حين دخلت إلى غرفة السفير مندهشاً ومتهيباً ، استقبلني بلطف وقال :

لا تستغرب استدعائي لك . إنه بحكم عملي كمربي واستاذاً بجامعة دمشق سابقاً أحرص كل الحرص أن أدرس حالات طلابنا في يوغسلافيا مع

مستشارنا الثقافي . وقد لفت نظري ، وأزعجني ، أنك في الستين الأولى والثانية ، كنت متفوقاً ومن الأوائل . . . أرى وضعك الآن سيئاً فما هي الأسباب ؟؟ .

أجبتة سيادة السفير بكل بساطة توفي والدي . . . وانقطعت دراهمي . . وقررت أن أعمل لأعيل نفسي على حساب دراستي . . . وهأنذا أعمل في مطعم . . .

نظر إليّ رحمه الله نظرة عميقة ملؤها الحنو ، وقال :-

اترك العمل المرهق هذا . . . وانتظم في الجامعة . . . وفي يوم الأحد إجازتك خصص ساعتين من وقتك من العاشرة إلى الثانية عشرة صباحاً لتعطي دروساً باللغة العربية . لأولاد السلك الدبلوماسي العربي . . . فجميعها يبحث عن استاذ للغة العربية .

وفعللاً عدت لجامعتي وصرت أذهب صباح يوم الأحد إلى منزل السفير الذي حول إحدى غرف المنزل إلى صف لطلاب اللغة العربية بعد انتهاء الدرس كان السفير يدعونا للغداء السوري الذي كنا نشتهيهِ في الغربية وإنما لهذا أشرت سيدتي على أفضلك أنت ، لا فقط أفضل المرحوم الدكتور سامي علينا . . . حيث تابعت الدراسة وعدت طالباً متفوقاً بفضل طريقته التربوية الممتازة رحمة الله عليه .

اغرورقت الدموع بعيوني وقلت :

رحمة الله عليك يا سامي . . . أنت تعمل العمل الصالح ونحن نجني الثمر مع الأصلاء الذين لا ينسون المعروف .

الغائب الحاضر حين اجتمع مع أصدقاء سامي أشعر بوجوده معنا وأكاد أنسى أنه رحل ، ربما من طريقة تفكيرهم ، أو من نوعية أحاديثهم أو من أسلوب كلامهم وإنني أرى أن بكل واحد منهم شيئاً من سامي . . . لذا قلما أو بالأصح نادراً ما أتخلف عن اجتماعهم الدائم صباح كل يوم جمعة في منزل الدكتور بديع الكسم وقلما تخلو جلسة من التحدث عنه أو من ذكره

وحين أكون خارج دمشق أحرص على زيارة أصدقائنا أينما كانوا . . .

فمشلاً في صيف هذا العام كنت باللاذقية فزرت الدكتور وهيب الغانم ...

مع أنه مضى وقت طويل لم نره تقريباً من أيام الوحدة بين مصر وسوريا ...

كان لقاؤنا مؤثراً ... كانت زوجته وهو ينظران إليّ ويحولان عيونهما عني بحثاً عن نصفي الغائب الحاضر ... والذي كان حضوره أقوى من غيابه ... الكلام عنه عطراً ... مسكت القلم وسجلت حرفياً حديث الدكتور غانم إذ قال لجميع الزوار الذين امتلأت بهم الشرفة المطلة على البحر بعد أن عرفني عليهم وتحدث عما يعرف عن زوجي ، وما يرى في أدبه ، قائلاً :-

لقد أتيت لي بإحسان فرصة ... لتحقيق أمنية كنت أتوق دائماً إلى إنجازها . . لا لأن سامي صديق عهد الشباب الزاهر ، ورفيق أيام البدايات الخلاقة ، وإنسان تتحقق فيه الكلمة الشعبية : «الأسماء تنزل من السماء» بأحل صورها . وإنما لحافز أقوى من كل هذا :

هو تقديم ما أحسست به أيام إنتاج سامي ... تلهفاً إلى أن يشد ذلك أنظار الجيل أكثر فأكثر إلى ذلك الإنتاج . قرأت لسامي في البدء حباً به كرفيق ، وصديق ، وتشوقاً إلى أن أرى ما يستطيعه إنسان أعرفه وأحبه . ولكن سرعان ما صرت أقرأ له شغفاً بما يختار ، وتذوقاً للجمال والوضوح في ما ينقل .

قلت : الجمال والوضوح .. صفتان تزينان لدى سامي جو كتاباته ، فتشعر أنك بالعدوثة تلف إنتاجه ،

عدوثة الأسلوب ..

عدوثة الجملة ..

عدوثة الكلمة ..

فإذا أردت أن تنقص الأسباب لم تجد عناءً كبيراً في احتوائها .

كان سامي يترجم لنفسه ..

كان مغرماً ، متياً بمواضيعه . .
ذوافة أدب . . يطلع على الرائع . . يضع يده على الكنز فيتمنى من
الأعماق أن ينقله إلى كل الناس ، ليشركهم في الثروة والفرح .
هل يعرض الآخرون عن موازينه ؟ لا بأس . إنه يكتب للقادمين . .
للمستقبل . . فالشعب لن يظل غافياً . .
إنه في سبيل النهوض من الكبوة . .
ولسوف ينهل قريباً ، وبدون ارتواء ، من مناهل الأدب المنعشة .
ما كان يخاطر لسامي الدروبي أي ربح مادي .
بل إن بداياته قد تكون كلفته خسارات مرهقة .
وما ضرر ؟ أليس العشق غبطة الحياة الكبرى . . تتلاشى أمامه مفاهيم
الثواب والعقاب ؟ .

يكتب تجار الكلمة فيحققون لأنفسهم مايسمونه : ثراء المال . أما
سامي . . فكان يكتب ليمتع نفسه ، ، وشعبه ، بما يسمى كنوز الأدب
والفكر ، التي لاتقدر بالأثمان .
تمنيت دائماً أن يبدي الأدباء في اللغات التي نقل عنها رأيهم في ترجماته
وكان سروري غامراً عندما علمت أن كباراً منهم يرونها نسخاً أمينة عن
الأصل ، لا تقتصر على التعريب الأمين فقط ، وإنما تنقل أيضاً النكهة
الأدبية ، وتصور الأجواء بكاملها

ربما كانت مؤلفات سامي نادرة . . . لظروف لايعينني تفصيلها الآن إلا
أنه ، من خلال ما ترجم ، تكشف عن أديب موهوب ، أصيل .
وإنه ليندر - على قدر ما أعلم - أن نجد انساناً مثله ، سما عن طريق
الترجمة ، إلى مصاف الأدباء ، المبدعين . .
هل أذكر في هذا المجال . ثروة عكاشة . . عادل زعيتر . . محمد
عوض محمد ؟

والآن . . وقد توقف القلب الكبير تظل انجازاته تواصل العطاء . .
متمنياً أن ينهلوا من ينابيع الجمال ، فإنسي لأشعر بالارتياح والفرح كلما
وحدت كتاباً يتلأأ عنوانه بعبارة : ترجمة سامي الدروبي .

أعرفتم لماذا حين اجتمع مع أصدقاء سامي أشعر بوجوده معنا وأنسى أنه
رحل . . .

في أواخر شهر كانون الأول «يناير» سنة ١٩٨١، زرت القاهرة ومن
الأصدقاء الذين أحرص على زيارتهم كلما زرت مصر . الأستاذ محمد
حسنين هيكل والسيدة حرمه . وفعلاً بزيارتي لهم الأخيرة دخل إلى الصالون
أحد أبنائها وحياتي . . وقال له الأستاذ هيكل :

أعرفك السيدة احسان زوجة الدكتور سامي الدروبي . . الذي كنت
أحدثك عنه أمس وتابع الأستاذ هيكل كلامه :

من المصادفة أنني أمس جلست مع ابني وكنت أستعيد بعض المواقف
للرئيس عبد الناصر ، وإذا بي أتذكر سامي وأتذكر كلمة اعتماده التي قالها أمام
الرئيس عبد الناصر فقلت لابني :

لم يسبق في تاريخ الدبلوماسية أن قيل مثل تلك الكلمة . . . وأذكر
كذلك صوراً عن سامي حين استقبلتم استقبلاً حاراً الرئيس عبد الناصر في
بلغراد وكان هذا الموقف يضابق الحكومة السورية آنذاك . . . وأثناء الحديث
دخلت هدايت «زوجة الأستاذ هيكل» . وقالت لي : يا أحمد إحسان الدروبي
في مصر وتحدثت بالتلفون الآن وستورنا غداً مساءً . . . قلت يالها من
صدف الآن أذكر سامي !

نظرت من الشرفة إلى النيل الذي أحبه سامي حتى العشق وقلت :

رحمة الله عليك يا سامي . . .

كلمة تكتبها من قلبك وبصدق . . .

وتصرفُ يمليه عليك موقف وطني . . .

يتحدث به جيل لجيل . . بعد كذا سنة .

دعيت من قبل صديقنا الأستاذ أحمد بهاء الدين وحرمه إلى الكويت
وكان وقتها رئيس تحرير مجلة

العربي . . . لن أنس دعوة الغداء التي دعينا إليها خارج مدينة

الكويت ، «في البر» مع الأستاذ عبد الله النيباري وحرمه . وحين أخذوا

يسألونني عن كتب وترجمات سامي . . . وكيف يمكن الحصول على المفقود منها .

كم شجعوني على إعادة طبعها . . . ومن أحلى التحليل لترجمات سامي لدوستويفسكي كان أن ما تميزت به ترجمة سامي ليست فقط بلاغة اللغة بل ما تمتع به من دراسة لنفسية الكاتب بحكم إختصاصه في علم النفس جعلت فهمه لروح المؤلف فذه ونادرة . . . ولن أنس كذلك السهرة في منزل الأستاذ محمد بمساعد الصالح وزوجته حصة والحديث الذي دار في ذلك المساء وفي صباح اليوم الثاني أرسل لي الصحفيه الأنسه غاليه قباني من أجل نشر حديث في جريدة الوطن الكويتية التي هو رئيس مجلس إدارتها .

وعلى ذكر الأستاذ أحمد بهاء الدين تذكرت مرة عاد سامي من زيارة للسيد الرئيس عبد الناصر فقال بإعجاب عنه : -

ياله من رئيس دوله عظيم إنه يعرف كيف يقيم الأشخاص حتى الذين يختلف معهم في الرأي فمن اختلف معه بشرف وبدون دوافع مشبوهة لا يحاربه بل يحترمه .

هل تتصورى يا احسان أن مذكرة توقيف لبهاء بصفته نقيباً للصحفيين قد صدرت بعد بيان نقابة الصحفيين بتأييد المظاهرات التي قامت ضد صدور أحكام خفيفة على قادة سلاح الطيران في ٥ حزيران ١٩٦٧ . ١٩٧٧
لكن الرئيس عبد الناصر يعرف أن بهاء شريف وليس هنالك دوافع مشبوهة له لذا قال لي : -

«يا أخ سامي بلغ صاحبك بهاء ان يوم المظاهرات كانت أمامي مذكرة بطلب اعتقاله . لكنني لم أعتقله لأنني أعرف أن هذا رأيه المخلص ، وليس وراءه دوافع أخرى «إن عقله كده» .

لقد ذكر الأستاذ بهاء هذه الحادثة في جريدة القبس الكويتية بعدد ٣٠٨٠ في ١٢/٩/١٩٨٠ حين قال : -

كان السفير السوري في مصر المرحوم سامي الدروبي في زيارة للرئيس عبد الناصر وكان صديقاً مقرباً منه . وكان يعرف صداقتي الحميمة لسامي فقال لي . - « . . . وأشار لما ذكرت سابقاً . »

كانت أمامي مذكرة يطلب اعتقاله
كذلك كنت أحرص على حضور أمسيات كل يوم الجمعة حين أكون في
القاهرة في منزل الدكتور عبد العزيز الأهواني .
وفي آخر زيارة من تلك الاجتماعات قال لي :
يا أم مصباح كتبت مقالة . . .
وأهديتها إلى روح الدكتور سامي الدروبي . . . لم تنشر بعد . . .
وأعطاني المقالة . .
بعد عودتي بأيام سمعت خبر وفاة الدكتور عبد العزيز الأهواني المفاجئة
بجلطة قلبية .
تساءلت بيني وبين نفسي . ترى هل أعطاني المرحوم الدكتور الأهواني
هذه المقالة . . . وهي بخطيده . . لإحساسه أن المنية قريبه . وليوصيني على
نشرها !!
ها أنذا أوصل الأمانة . . وأنشرها باسمك وبإهدائك ضمن هذا
الكتاب .
فرحة الله عليك أيها الصديق العزيز .



● احسان الدروبي تراسي لأحسان بن غالبه قباني

احسان الدروبي

حكاية رفقة عمر مع عميد الترجمين العرب سامي الدروبي



● سامي الدروبي

أجرت اللقاء غالبه قباني

حين يرجل عنا المشاهير نشعر برغبة شديدة لاعادة فتح ملفهم الشخصي ومعرفة جوانب من شخصيتهم لم تكن لنتهم بها كثيرا اثناء حياتهم * ربما بسبب الفضول الذي يدفعنا لتتساءل : هل ان المشاهير يختلفون عنا ؟ وان كانوا كذلك فيماذا ؟ .. في حالة كهذه - حالة الفضول - لا يوجد امامنا غير الاشخاص الذين عايشوا ذلك الشخص وكانوا لصيقتين به * وفي اغلب الاحيان لا يوجد اقرب من الزوجة .. احسان الدروبي .. رفيقة درب الاديب والسفير العربي الراحل الدكتور سامي الدروبي زارت الكويت مؤخرا قادمة من بغداد حيث ابرمت اتفاقا مع وزارة الثقافة العراقية على اعادة طبع الاعمال الكاملة لادستويفسكي التي ترجمها سامي الدروبي اثناء حياته .

وفي لقائي معها استشعرت لهفتها للحديث عن كل ما يخص رفيق الدرب * في نفس الوقت الذي ترفض فيه لقب ارملة سامي الدروبي .. انا لا اصدق ان رجلا كزوجي يمكن له ان يرجل عن هذا العالم .. فهوباق بأعماله واثاره .

بقلم: أحمد بهاء الدين



• رفعت الأجهزة الرسمية مذكرة باعتقال سي ٠٠ وأوتها عبد الناصر

تفكير عبد الناصر

ولامناه صورة عن طريقة عبد الناصر في التفكير ونسي تقييم الأشخاص ، إذ كان يغضب ولكنه لا يجارب من يشعر أنه يخطف معه بشرف ودون دواعي مشيوية .. فأتسنى أروي هذه الواقعة :

نفي خلال تلك السنة التي كتبت فيها نقياً للمحاسبين قابت المظاهرات العنيفة المعروفة بعد صدور احكام خفيفة على قادة سلاح الطيران .. وكاد يتكرر حريق القاهرة . وكانت النصيحة التي قدمت لعبد الناصر — كما عرفنا فيها بعد — هي انزال الجيش واطلاق النار للسيطرة على الموقف .

يوماً ، قررت كل النقابات المهنية اصدار بيانات تؤيد المتظاهرين ومن ضمنها مجلس نقابة المحاسبين . ونجاة ، صدرت تعليمات لكل النقباء ، من الاتحاد الاشتراكي ، بعدم اصدار اي بيانات في تلك الليلة الممسيبة .

وقلت إن اتصل بي تليفونيا : البيان في جيبى . وهو يدعو الدولة الى الإستجابة الى مطالب المتظاهرين التي اعتقد انها مطالب وطنية . وموعدي في النقابة السادسة مساء لاصدار البيان . وأياكم احد أمرين : إما اصدار امر بتحديد اقامتي فلا اخرج من البيت ، وتكونون انتم مسؤولين عما سيحدث من احتشاد ١٥٠٠ صحافي وإما أن اذهب الى النقابة ، واصهر البيان ، وأنا المسؤول عما يحدث .

مذكرة باعتقالي

وهذا ما كان بالضبط !

وكذا النقابة الوحيدة التي اصدرت بياناً !

وبعد ايام ، بنى عبد الناصر تقريباً ما اقترعناه ، حين ذهب الى العمال في حلوان واعلن بيان ٣٠ مارس والقى خلاله الشهير « الشعب يقول كذا .. وانا معه ! » . وناعلمنا كل الأجهزة الرسمية .

وبعدما يشهور ، كان السفر السوري في بحر المرحوم سامي الدروبي ، في زيارة لعبد الناصر . وكان مديناً يقرباً منه . وكان يعرف أيضاً مدينتي الحبيبة معه ، مقال للمرحوم سامي الدروبي مجاة : ألمح صاحبك بهاء ان يوم المظاهرات كانت ايامي بذكرة يطلب اعتقاله . . ولكنني لم اعتقله لانني اعرف ان « عتله كده » .

اي ان هذا رايه المخلص ، وليس وراءه دواعي اخرى ربحه الله . .

واسف اذا كانت « قنشة » الغاري، الكريم قد جعلتني استرسل وراء هذه الفكريات .

الدعوة إلى العروبة في مصر

.....

ذكريات أهديا إلى روح الصديق العظيم سامي الدروبي لأنه شارك في صنعها .

عبد العزيز الأهواني

.....

لم يكن الأمر سهلاً ولا يسيراً ، إنه أشبه ما يكون بالتحول من دين إلى دين .

إن الدعوة إلى العروبة بين الشباب الجامعي المصري خلال الثلاثينات والأربعينات كانت مهمة عسيرة ، تكاد تذكر بالدعوة إلى الإسلام بين أهل مكة ، كيف نقنع الشباب المصري بأن مصر جزء من وطن كبير ، هو الوطن العربي ؟ وكيف نقنعهم بأن المصريين شعب من أمة أكبر : هي الأمة العربية ؟ وكيف نجعل لهذه الأمة العربية دوراً حضارياً حياً بين أمم العالم اختلف عن دور مصر القديمة ؟ كيف نجعل لها رسالة إنسانية تميزها عن أمم أخرى اشتركت معها في العقيدة الدينية ؟

ماذا تستطيع «جماعة الطلبة العرب» التي تكونت في كلية الآداب بالجامعة المصرية في أوائل الأربعينات أن تفعل في هذا السبيل ؟

كان ذلك الجيل من الشباب المصري تلامذة لجيل ثورة سنة ١٩١٩ . وكانت تلك الثورة ذروة الوطنية المصرية الخالصة . أو بعبارة أخرى ذروة «القومية المصرية» فلقد كانت كلمة الوطنية في ذلك الوقت تعنى تماماً كلمة القومية في الوقت الحاضر بكل ما تحمل من معان سياسية وعاطفية . وكانت كلمة «شعب» حين تضاف إلى مصر مرادفة لكلمة «أمة» .

كانت الأناشيد الوطنية لا تحمل غير اسم مصر موصولاً بمصر الفرعونية . وكانت خطب الزعماء قبل سنة ١٩ وبعدها لا تذكر غير مصر متفردة عن غيرها .

وكانت بلاغة سعد زغلول بكما فيما يتصل بالعرب والعروبة . وكانت الأقطار التي تتكلم العربية عند الزعيم اصغاراً على اليسار حين يخاطب في نوع

من التعاون السياسي بينها وكانت عبقرية سيد درويش في أغانيه وأوبراته ،
ونبوغ مختار في ثمانيه لا تستوحى غير الحياة في مصر القديمة أو مصر الحديثة .
وكانت أقلام الأئمة من الكتاب ، فضلاً عن الناشئين ، وقصائد المخضرمين
من الشعراء والمحدثين تلهج بوحداية مصر وتفردا عما حولها منذ أقدم
العصور ، وتتحدث عن السبق المصري في مضمار الحضارة ، وأستاذية مصر
لكل شعوب الأرض . وكان من يفدون إلى الغرب الأوربي من طلاب
البعثات المصرية يرون المتاحف الكبرى هنالك ممتلئة بروائع التحف
الفرعونية ، ويرون المسلات المصرية تزين أكبر الميادين في باريس وروما ،
ويستمعون إلى أساتذة الغرب يتحدثون ويكتبون عن مصر القديمة في فنتة
وإعجاب ، ولا يكادون يذكرون شيئاً عن مصر الإسلامية أو العربية . فكان
هؤلاء الطلاب لا يجدون ذواتهم إلا في الانتساب إلى مصر الفرعونية ،
ويمتلثون زهواً بأجدادهم قدامى ، وتراودهم الأحلام في أن يعيشوا مصر القديمة
لتحى مرة ثانية في مصر الحديثة . بل إنهم ليرون أنها لا تزال حية ،
ويلتمسون كلمات عامية شائعة بين الناس يردونها إلى أصول اللغة المصرية
القديمة ، وعوائد وتقاليد في الأفراح والموالد الدينية والمآتم والسلوك الفردي
والجماعي يرونها مصرية خالصة ، وإن تخفت في ثوب إسلامي . وصدرت في
هذا السبيل كتب ومقالات تؤكد أن مصر هي هي ، لا تشبه غيرها ولا يشبهها
غيرها ، عند من ينظر إلى الجوهر واللب لا المظهر والقشور . وكان لهؤلاء
الكتاب عشرات لا تقال ، فيقفون عند ظاهرة شعبية يردونها إلى ميراث مصر
القديمة تصوراً منهم أن مصر انفردت بها ، ولا يعلمون أن نفس الظاهرة كائنة
في كل البلاد العربية . مثل حديثهم عن تلقين الموتى وعن اليوم الأربعين بعد
الوفاة إلى عشرات الطقوس والعادات . فان أخرجوا زعموا أن مصر هي
المصدرة لأقطار العرب وأقطار العالم كله .

في هذا الجو الرومانسي العاطفي من الاعتزاز بمصر الفرعونية والزهو
بالانتساب إليه ، كان القول بين الشباب المثقف بعروبة مصر ، وبأن
المصريين عرب ، أشبه ما يكون بالصوت النشاز بين أصوات متناغمة .
في هذا الجو اجتمع عدد من الطلاب الوافدين للدراسة في كلية الآداب

المصرية من أقطار عربية ، وفكروا في أن ينشئوا «جماعة الطلبة العرب» . منهم طلاب من سورية ومن العراق ومن المغرب ومن السودان وقلّة من المصريين . وكان لا بد من تقدم بطلب الإنشاء إلى المسئولين عن اتحاد الطلبة بالكلية . وكان الطلب يبدو غريباً . فالجمعيات التي تنشأ في الكلية ضمن اتحاد الطلبة هي جمعيات رياضية أو ترفيهية أو ثقافية تتلقى معونة مالية محدودة عند توزيع ميزانية النشاط الطلابي أثناء العام . وهذه الجمعيات أو الجماعات مفتوحة أمام طلاب الكلية جميعاً ، وكلهم قابل أو مهياً للانضمام إليها . وجماعة الطلبة العرب نمط لا يدخل تحت هذا العموم فالطلاب العرب هم الوافدون . ولا يعتبر الطلاب المصريون عرباً ، فهي جمعية محدودة كما يقال في وصف الشركات التجارية . ثم كان التساؤل عن النشاط الذي تمارسه جماعة تحمل هذا الاسم بين أنواع النشاط المعترف بها في الاتحاد ؟ ولولا رعاية الأستاذ الدكتور عبد الوهاب عزام لهذا الطلب واستعداده لأن تكون الجماعة تحت إشرافه لما صرح للجماعة بالقيام . ومع ذلك فقد كانت النظرة إلى الجماعة من وجهة النظر الرسمية أشبه بجماعة (غرباء) يحتاجون إلى شيء من رعاية اجتماعية أو مالية .

ولكن أفراد الجماعة كانوا يعرفون مهمتهم ، ويدركون الصعاب التي ينبغي مواجهتها ، إنهم يطالبون أنفسهم بأن يبشروا بين الشباب المصري فكرة القومية العربية ، وعليهم أن يلتمسوا كل طريق ليحققوا نجاحاً مهما يكن قليلاً . وهذه المهمة سياسية في المقام الأول . وكان النشاط السياسي لطلاب الجامعة في ذلك الوقت نشاطاً حافلاً واسعاً ، ولكنه لم يكن في صورة جماعات أو جمعيات تنشأ تحت رعاية اتحادات الطلبة ، وإنما كان على صورة لجان طلابية ترتبط توجيهها وتمويلها بأحزاب سياسية خارج الجامعة . ولم يكن في مصر للعروبة حزب . ولم تكن الأحزاب القائمة لها نزوع عربي ليصبح دعاة العروبة من الطلاب فرعا من حزب سياسي أو لجنة له داخل الجامعة تظفر بالتمويل والتوجيه . لقد كانت جماعة منقطعة لا تعتمد على قوة خارجية ، ولا يرادو أعضاؤها ما يرادو أعضاء الجماعات الحزبية من آمال بعد التخرج من الجامعة ، بل وقبله . وفضلاً عن ذلك فأعضاء هذه الجماعة لم يكونوا من

مختر في السياسة . وكانت جدبتهم في الدراسة العلمية وحرصهم الشديد على التفوق العلمي لا يتيح لهم الفراغ الذي يتاح لآخرين .

وبدأت الجماعة نشاطها بما تفعله كل جمعية ثقافية : المحاضرات والندوات تعقد في قاعات الكلية في المساء بعد انتهاء المحاضرات الجامعية . فاستقدمت الجماعة عدداً من المفكرين من أصحاب الأسماء المعروفة ليحاضروا في موضوعات تتصل بالعروبة وبحاضر الوطن العربي وبفكرة الوحدة العربية . وكان أكثر هذه المحاضرات لا ترضي الجماعة تمام الرضا . لأن المحاضرين وهم من جيل سنة ١٩ ، كانوا مترددين في التسليم بما تسلم به الجماعة من مبادئ . وتذكر الجماعة في هذا السبيل محاضرة ألقاها الكاتب الصحفي الكبير محمود عزمي . لقد كان من أكبر الصحفيين استنارة ، ومن أوسعهم تصوراً لقضايا السياسة العالمية ، ولما يتمخض عنه العالم من تطور وانتقال في مبادئ القوى السياسية . ومع ذلك فإن الصحفي الكبير كان يرى أن الصحيح هو أن يقال «بلاد العربية» لا «البلاد العربية» يريد أن الظاهرة المشتركة بين هذه البلاد استخدام اللغة العربية . أما وصف البلاد نفسها بالعربية ودلالة ذلك على أن أبناءها عرب فأمر فيه شك ، أو هو أكثر من ذلك أمر غير صحيح من حيث الدقة العلمية . وتذكر الجماعة أن الدكتور عبد الوهاب عزام عقب مداعباً على الصيغتين بأن الفارق بين الجماعة وبين الأستاذ محمد عزمي هو «أل» وهي عند بعض النحاة «حرف» وحذفه أمر هين ، وأمل اللقاء بين الجماعة والمحاضر كبير .

وفي الحق أن هذا الخلاف ينطوي على قضية غير هينة لها تاريخ طويل . وكانت جماعة الطلبة العرب أيضاً تتورط حينما يتورط فيه مخالفتها من تضيق مفهوم القومية وربطه بعنصر الجنس البشري أو الأرومة أو العرق ربطاً يدخله في علم الأجناس البشرية بأكثر مما يدخله في نطاق الثقافة الانسانية الخاصة بجماعة من البشر . ولعل هذا المفهوم الضيق الذي كان سائداً في تلك الحقبة الزمنية كان من أهم الأسباب في أن جماعة الطلبة العرب لم توفق كثيراً في اقتناع الشباب المصري بعروبة مصر . وأحسب أن هذا التضيق في معنى القومية كان أثراً من آثار الثقافة الأوروبية في القرن التاسع عشر وأوائل القرن

العشرين ، وأحسب أيضاً أن له ما يبرره في تراثنا الثقافي العربي القديم لما ازدهر علم الأجناس أو السلا لات البشرية Ethnology في الغرب تلقفه دعاة القوميات الأوروبية . وهو علم يقوم على اثبات الفروق المادية بين الأجناس من حيث شكل الجماجم وحجم الهياكل العظمية وما يتبع ذلك من خصائص مزاجية وعقلية ونفسية - وكذلك جعل بعض دعاة القومية في أوروبا حجر الزاوية في القوميات وقاعدة البناء فيها مرتكزاً على خصائص ثابتة للأقوام تترد إلى تكوين جشائي متميز وبالغت القومية الألمانية ، والحركة النازية فيها بنوع خاص ، في هذا السبيل مبالغة جرت الكوارث على الدنيا . ومع ذلك لم تسلم القوميات الأوروبية الأخرى من مثل هذه النزعات المتطرفة . وأصبحت فكرة الأصل البشري المشترك للقومية فكرة تجتذب المشاعر وتشير الحماسة . وكادت تلغي العناصر الأخرى . وانحرفت الفكرة القومية إلى شوفانية غير متعقبة .

ويبدو أن هذا المفهوم في الوقت الذي نتحدث عنه لم يكن بعيداً عن أذهان دعاة القومية العربية ولا دعاة (القومية) المصرية أو (القوميات) الإقليمية في أكثر من قطر عربي . ومن هنا كان النقاش العقيم في أن المصريين عرب أو غير عرب . وفي التراث العربي ما يشير إلى أن هذا الاتجاه بعد الفتوحات العربية كان الشغل الشاغل لكثير من الناس . فالتفرقة بين عرب وعجم وبين عرب ومستعربين كان قائماً ، وكان من الطبيعي أن يكون قائماً بعد الفتوح العربية لأقطار تسكنها أجناس أخرى لم تتعرب بعد . ولكن الأمر انتقل أيضاً عند بعض كتابنا القدامى إلى التماس خصائص ثابتة لكل جنس ، من يونان وفرس وترك وسودان وعرب ، وبربر ، وإن لم تأخذ المنهج الحديث الخاص بعلم الأجناس والسلا لات البشرية في العصر الحاضر .

وكان لهذا كله أثره في تفكير جماعة الطلبة العرب . فعلى الرغم من أن الجماعة ركزت على فكرة التعرب ووحدة الثقافة العربية التي صنعتها لغة واحدة مشتركة ، فقد دخلت مع ذلك في مناقشات تنصل بالسلالة البشرية ، وبأصل المصريين القدماء ومن أين جاءوا وإلى أي الأجناس ينتمون ، كما

ناقشت الجماعة مع المصريين المهجرات التي توالت على مصر من قبائل جاءت من الجزيرة العربية قبل الاسلام وبعده . وامتد الأمر أيضاً إلى البربر سكان المغرب الكبير وأصولهم وهجرات قديمة إلى بلادهم من اليمن والشام تحدث عنها بعض النسابة البربر والعرب .

وليس من شك في أن المفهوم العروبة إذا اتخذ هذا المنطلق كان أقرب إلى أن يثير الخلاف والجدل منه إلى أن يدعو إلى الاقناع والموافقة . على حين أن التركيز على اللغة والتراث الثقافي والمصالح المشتركة ووحدة المصير أجدر بقومية كالقومية العربية شملت وطناً واسعاً مترامي الأطراف كالوطن العربي وجمعت شعوباً عديدة قديمة وحدث بينها آلام وآمال مشتركة عبر تاريخ طويل .

وسلكت الجماعة طريقاً آخر في الدعوة هي أن تقوم بزيارة عدد من القادة المشتغلين بالقضايا السياسية العامة وما يتصل منها بالوطن العربي أو المنطقة العربية ، بدعوى الاستفادة من تجاربهم وتلقي النصائح منهم . ولو شاءت الجماعة الصديق لقاتل لبث روح العروبة في أولئك القادة وإغرائهم على السير في طريق الوحدة العربية . وتذكر الجماعة من بين هؤلاء القادة محمد علي علوبة باشا . وكان للرجل عناية بالقضايا العربية ، فاشترك في عدد من أحداث الوطن العربي ، وكان عضواً في لجنة للوساطة بين اليمن والعربية السعودية حين قامت الحرب بين القطرين .

ومن هذه اللقاءات والزيارات وضح الفرق بين فهم الجماعة للعروبة وبين فهم كثير من القادة المصريين لها . فعلى حين أن فهم الجماعة للعروبة كان واضحاً ، وكانت حدود الوطن العربي عندها ثابتة ، كان أكثر القادة المصريين يخلطون بين العروبة وبين الإسلامية أو يخلطون بين العروبة والإسلامية من جانب وبين الشرقية بمعناها الواسع من جانب . وكان لا بد للجماعة من التلطف في مناقشة هذا الأمر مع أولئك القادة تلطفاً يعين على تصحيح الفكرة ولا يحدث قطيعة أو نفوراً أو سوء ظن .

وليست تخفى الأسباب القريبة التي جعلت العروبة مختلطة بالإسلامية في مصر وفي أقطار المغرب العربي لظروف النضال السياسي وحركات

الاستقلال في هذه المنطقة . فعلى حين كان النضال في المغرب العربي بما في ذلك مصر ضد مستعمر أوروبي يختلف ديناً عن المناضلين ، كان نضال الشام والعراق ضد الترك أو الفرس وهم يتفقون مع المناضلين ديناً . وعلى حين كانت العشائر البدوية في العراق والشام مرتبطة ارتباطاً متصلاً بالقبائل البدوية في الجزيرة العربية بما يذكر بالعرق والأصل كانت مصر أقل ارتباطاً وأضيق اتصالاً بالحياة البدوية وبالنظام القبلي والعشائري . هذا إلى أن تعرب كثير من مناطق العراق والشام كان واقعاً سابقاً على ظهور الاسلام وكان واقعاً معروفاً خلال الفتوحات الاسلامية الأولى .

لقد كانت الجماعة تجدد كثيراً من الحرج حين تعالج أو تناقش قضية الصلة بين العروبة والاسلام مع القادة وغير القادة من المصريين . وكثيراً ما كانت تطرح قولاً مأثوراً شائعاً هو «إذا عزَّ العرب عزَّ الإسلام» أو كانت تشير إلى أن الوحدة العربية مدخل لاغنى عنه للوحدة الاسلامية التي ينشدها دعاة الاسلامية ، أو كانت تعرض للقضية من حيث الاستطاعة والإمكان وقدرة التحقيق ، فالأقطار العربية كانت في وحدة أو شبه وحدة في عصور قريبة قبل الغزو الاستعماري الأوروبي ، خلافاً لما كان قائماً بين الأقطار الاسلامية . أو تشير إلى أن الوطن العربي يشتمل على عدد غير قليل من المسيحيين الذين يؤمنون بالعروبة ويدعون للوحدة العربية وأن لهم جهوداً محمودة معروفة في هذا السبيل بما يجعل التركيز على الاسلامية ينطوي على شيء من الحرج للدعاة . وربما كانت هذه المحاولات التوفيقية من الجماعة تجدد موافقة ورضا من المناقشين ، ومع ذلك فإن قضية القومية العربية والاسلامية بمعناها السياسي ظلت مسألة غائمة غير واضحة ، وظلت مصدراً لكثير من النقاش العنيف .

ويجئ إلى أن الخلط الذي كان قائماً ، والذي لايزال قائماً في كثير من الأذهان ، مصدره الوقوف عند نقطة البدء التاريخي وافتراض استمراريتها إلى الحاضر والمستقبل ، دون تنبه إلى تغير الأوضاع وتطور الحياة وتغير القضايا والمشاكل بتغير العصور والأزمنة .

صحيح أن الإسلام حقق للقبائل العربية التي كانت تعيش في جزيرتها مبعثرة متنافرة وحدة سياسية ، وأقام لها أول دولة مركزية عربية في المدينة ، ثم إن الإسلام جعل لهذه الدولة الجديدة رسالة دينية يخرج العرب تحت لوائها فاتحين منتصرين شرقاً وغرباً ، وقامت تبعاً لذلك دولة عربية كبرى عاصمتها دمشق تضم شعوباً متعددة ، أخذت العقيدة الدينية الجديدة وأخذت اللغة العربية . تنتشر بينها شيئاً فشيئاً .

صحيح إذن ، أنه لولا الإسلام لما كانت الفتوح العربية ، ولولا الإسلام لما تجاوزت اللغة العربية مهدها لتصبح لغة هذه الشعوب العديدة شرقاً وغرباً ، ولولا الإسلام لما وجد عملياً ما نسميه بالوطن العربي الذي يمتد من الخليج إلى المحيط ، والذي يتكلم أهله العربية ويدينون بالإسلام ويرجعون إلى تراث مشترك وتاريخ مشترك . كل هذا لا ينكره منكر ولا يجادل فيه مجادل .

ولكن من الحق أيضاً أنه قد مضى منذ ظهور الإسلام إلى اليوم ما يقرب من أربعة عشر قرناً تغيرت فيها الدنيا وتبدلت ، واختلفت فيها موازين الأشياء ، واجتازت الإنسانية مراحل من التطور بعدها مراحل ، لكل مرحلة منها قضاياها الأولى ومشاكلها الرئيسية ، فإذا كانت العقيدة الدينية في المجتمع الانساني على عهد الفتوح العربية هي المشكلة الكبرى في الجزيرة العربية وخارجها شرقاً وغرباً ، وإذا كان الصراع الداخلي بين الفرق الدينية اليهودية والمسيحية ثم الاسلامية من جانب ، والصراع بين أديان سماوية وأديان وثنية من جانب آخر هو القضية الأولى أو إحدى القضايا الأولى في عصور تالية ، فقد ظهرت فيما بعد منذ عصر النهضة الأوروبية والثورة الصناعية والتقدم العلمي مشاكل من نوع جديد استأثرت باهتمام الناس ، وصارت في المقام الأول بين المشكلات الانسانية . فاختلفت بذلك تحديات العصر الحديث عن التحديات التي كانت قديماً ، واختلفت بناء على ذلك أساليب مواجهة التحدي تبعاً لروح العصر وقيمه السائدة واتجاهاته العملية والفكرية ، وصارت الدولة الحديثة غير الدول القديمة ، وحلت فكرة القومية كأساس الدولة محل الرابطة الدينية ، ووجدت تكتلات دولية على أسس

اقتصادية أو حضارية لم يكن لها نظير في عهود سالفه ، واستحدثت قوانين دولية ونظم عالمية وروابط بين التجمعات البشرية لاعهد للبشر بها من قبل .

فالذين ينكرون القومية العربية والدعوة إلى الوحدة العربية باسم الاسلامية يسقطون من تفكيرهم كل هذا التاريخ الطويل من التطور الانساني ، ويعودون إلى نقطة يتوهمون أنها هي دائماً نقطة الانطلاق الوحيدة لكل نهضة في كل عصر . والذين ينكرون القومية العربية باسم الوطنية القطرية أو القومية الاقليمية يذهلون أيضاً عن هذا التطور الحضاري العالمي ، ويلتفتون إلى نقطة بدء أوغل في القدم وأمعن بعداً عن الواقع العصري .

إن للعقائد الدينية محلاً كبيراً في نفوس المعاصرين من الناس ولها دور خطير في حياة البشر إلى اليوم ، وكذلك للأقاليم والأقطار خصائص وارتباطات عاطفية بسكان تلك الأقطار والأقاليم .

وللفكرة القومية سلطانها ودورها العظيم في الحياة السياسية للمجتمعات البشرية الحديثة .

ولكن لكل من هذه المشاعر والنزعات والفكر مجاله وميدانه ، ولا ينبغي أن تختلط الأمور في الأذهان ولا أن تتداخل الميادين والمجالات تداخلاً تنعدم معه الرؤية الواضحة . فالوحدة العربية ضرورة سياسية وحضارية لأقطار الوطن العربي كله في العصر الحديث ، وهي المنطلق الأساسي للنهضة العربية الشاملة ، وهي الضمان الأكيد للمستقبل العربي .

وكان للجماعة نشاط من نوع آخر هو ما عرف بحفلات السمر . لقد كان للجماعة باعتبارها عضواً في الاتحاد حصة من ميزانية مالية تتيح لها أن تضم حفلة سنوية أو نصف سنوية فينادي الكلية . وكانت الجماعة تنتهز هذه الفرصة التي يجتمع فيها نفر غير قليل من الطلاب حول موائد الحلوى والشاي فتدعو عدداً من الشخصيات الكبيرة ليشاركوا في الحفل ، وليكونوا محل التكريم والتشريف .

وتذكر الجماعة حفلة حضرها عبد الرحمن عزام وعدد من سفراء العرب في القاهرة ، وتطوع الموسيقار الكبير سامي الشوا بعزف بعض مقطوعاته

المشهورة على الكمان . وتبادل الكلمات في مثل هذه المناسبات ، وتفتح شهية المتحدثين والمستمعين ويتنافسون في الكلام ، ويتحدث أعضاء الجماعة عن أماني الشباب في العروبة وفي الوحدة ، ويمجد حديثهم تجاوباً من الضيوف وردوا تنقل تجارب الجيل السابق إلى الجيل اللاحق .

غير أن الطريق في حفلات السمر هذه فيما تعده الجماعة من بعض العروض الفنية البسيطة التي تمثل الأقطار العربية في فنون غنائها المحلي ورقصاتها الشعبية الجماعية ، وكان الطلاب أنفسهم ينهضون بهذا الدور يساعدهم في ذلك زملاء لهم من كليات جامعية أخرى غير كلية الآداب ولاحظت الجماعة أن هذه الطرائف الفنية ، وإن بدت لهواً وسمراً ، كان أحياناً أكثر تأثيراً على الشباب المصري من بعض وجوه النشاط الأخرى ، من حيث خلق روح التعاطف مع العروبة . إن هذه الفنون الشعبية كانت تكشف عن التشابه الأصيل بين سكان الوطن العربي شرقاً وغرباً ، وثبت أن مزاج العربي وذوقه وخياله ونظرتة لما حوله مماثل متقارب على اختلاف الديار .

وفي الحق إننا لاحظت الجماعة في هذا السبيل جعلها تعمي الحقيقة المؤلمة ، وهي أن الشباب المصري لا يكاد يعرف شيئاً عن الأقطار العربية التي تتاخم مصر فضلاً عن الأقطار التي تبعد عنها ، وأن هذا الجهل بالشعوب العربية عقبة كثود أمام الدعوة للعروبة في مصر . لقد كان عيون المصريين تتجه إلى الغرب الأوربي وتعرف عنه الكثير في جميع ميادين النشاط ، ولكنها لم تكن تلتفت إلى الشعوب العربية ، وكانت تجهل عنها كل شيء . وعلى العكس من ذلك كان الشباب العربي في العراق والشام والمغرب يعرف من دقائق الحياة المصرية ما لا يعرفه بعض الشباب المصري ، وكان لا بد من تبادل المعرفة ليتم التعاطف وتجد العروبة طريقها إلى مصر مهدداً .

صحيح أن القاهرة كانت منارة في الحياة العربية منذ مطلع النهضة الحديثة لاتنافسها في ذلك عاصمة عربية أخرى . وكانت مصر أكثر ازدهاراً وأعلى صوتاً من كل قطر عربي في مجال الفنون والثقافة والعلوم والعمران والسياسة ، ولكن التعاطف الذي تنمو به المشاعر القومية لا يشترط أن يكون

وليد الانبهار والاعجاب بالتفوق ، وإنما هو أيضاً وليد الاتصال المباشر بالمواطن مهما يكن حظه من الثقافة ، اتصال تفتح معه القلوب وتتواصل العواطف وتتكشف أواصر القربى التي استحكمت خلال أجيال طويلة من تراث مشترك وتاريخ مشترك وهموم وآمال مشتركة .

وكان جهد الجماعة في التعريف بالوطن العربي محدوداً ، فهذا التعريف مهمة ثقيلة لا تستطيع الاضطلاع به إلا أجهزة إعلامية ذات قدرة ونفوذ .

تلك هي أهم وجوه النشاط المنظم الذي كانت تمارسه الجماعة ، أما النشاط اليومي المتصل فكان في لقاء أفراد الجماعة فيما بينهم ، أو في لقاء بين بعضهم وبين زملائهم من الشباب الجامعي المصري . وكانت هذه اللقاءات مجالاً تتفاعل فيه الأفكار وتناقش فيه القضايا السياسية . ولعل موضوع الطريق العملي للوحدة العربية والدور العالمي الذي تضطلع به القومية العربية كان أكثر الموضوعات خصومة وإثارة أما فيما يتعلق بالموضوع الأول فكان بعض أفراد الجماعة يتصورون أن تحقيق الوحدة يجيء بظهور الدولة الوحدوية الطليعية يقودها الزعيم الوحدوي ، شأن بروسيا في الوحدة الألمانية بزعامه بسبارك والبعض الآخر يتصورها في انتفاضات جماهيرية في كل قطر تلتقي حول تحرير الوطن العربي من الاستعمار ، فإذا زال الاستعمار ، وهو عندهم سبب التجزئة ، قامت الوحدة ضرورة . وكان بعضهم يرى أن الطريق اللبرالي الذي يتيح وجود الأحزاب في الأقطار العربية كفيلاً بأن يصل بأحزاب وحدوية إلى الحكم فتحقق الوحدة الشاملة . . وتبعاً لهذه التصورات تكون الخطط المقترحة وأساليب الدعوة ولعل الجماعة لم تكن تدرك تمام الإدراك أبعاد القضية ، وأن الوحدة العربية لن تكون إلا بعد عمل ثوري شامل طويل المدى يهز كل قواعد المجتمع العربي ليخلق منه مجتمعاً جديداً في كل شيء

أما فيما يتعلق بالموضوع الثاني أي الدور العالمي الذي يفترض أن تضطلع به القومية العربية فكانت الصيغة المألوفة التي ورثها الشباب عن الجيل السابق هي أن في العالم قديماً وحديثاً صراعاً عنيفاً بين المادية والروحانية وأن المشرق مهد الأديان هو القلعة الروحانية . وعلى ذلك فإن القومية العربية

تكون أقرب القوميات ، لتراثها وموقعها الجغرافي وخصائص مواطنيها ، إلى أن تنهض بدور التوفيق بين النزعتين ، والخروج بنوع من التآلف بين الضدين ، أشبه ما يكون بما عمله الفلاسفة المسلمون قديماً من التوفيق بين العقل والنفل أو بين الشريعة والفلسفة .

وهذا التصور كان يبدو لأعضاء الجماعة معقولاً ومنطقياً . ولم تكن الجماعة تدرك وجوب إعادة النظر في هذه الدعاوى الفكرية والتقسيم النظرية التي لا يؤيدها الواقع ، ولا تثبتها حقائق عالم سريع التطور لا يعرف حدوداً لما هو شرق وما هو غرب ، ولا فواصل بين ما يسمى روحانية وما يسمى مادياً .

ومهما يكن من شيء فقد كان لهذه الجماعة الصغيرة فضل لا ينكر في إثارة دعوة العروبة بين الشباب المصري في الجامعة ، في وقت لم يكن لهذه الدعوة تنظيم في مصر . وكان لها فضل التعارف الوثيق بين شباب عربي أقصى المغرب العربي من أقصى المشرق العربي . ولا تزال هذه الجماعة ذكرياتها في نفوس أعداد من المصريين نهتهم وأيقظت وعيهم وفتحت أمامهم آفاقاً جديدة .

القاهرة في يونيو ١٩٧٧

عبد العزيز الأهواني

وسام عبد الوهاب

بعد نكسة حزيران عام ١٩٦٧ اجتمعنا بسيدات السلك الدبلوماسي

العربي .

وكنا كما سبق وقلت نعمل بصورة جماعية ، حرم سفير الجزائر الأخضر
الابراهيمى . وحرم سفير المغرب المهدي زنطار ، وحرم سفير الكويت حسن
الدباغ ، وحرم سفير العراق عبد المحسن زلزله ، وحرم سفير لبنان حليم عز
الدين : وحرم سفير الأردن حازم نسيه ، وعدد كبير من السيدات المصريات
منهن حرم نائب رئيس الجمهورية أنور السادات . وحرم وزير الخارجية
عمود رياض .

دعتنا السيدة الشيخة سعاد المبارك الصباح الى عشاء عمل في منزلها
وكانت من المدعوات السيدة أم كلثوم وقد تحدثنا معها عن صوتها وما يلعبه في
وحدتنا . . وكيف عليها الآن أن تختار كلمات أغانيها ، لتناسب وضعنا وقرآنا
لها العديد من القصائد وأظن أن الجميع يذكر في تلك الفترة قصيدة نزار قباني
التي غنتها أم كلثوم

أصبح الآن عندي بندقية

وكان الفضل للشيخة سعاد المبارك الصباح كبيراً في مضمار العمل
الجماعي لجمع المال من أجل المجهود الحربي . وكانت سفريات السيدة أم
كلثوم لنفس السبب قد أعطت مردوداً مادياً عظيماً للمجهود الحربي ومردوداً
معنوياً لأم كلثوم شخصياً .

أخبرتنا حرم السفير المغربي السيدة ميلوده زنطار أنه حين أبرم العقد مع
أم كلثوم على إحياء حفلة في المغرب كان مقيداً حسب الميزان النقدي بين مصر
والمغرب . أن يدفع لها بالجنيه المصري .
وتابعت السيدة زنطار كلامها . .

حين زارت السيدة أم كلثوم جلالة الملك في المغرب . . قالت له إن ريع
هذه الحفلات ستكون للمجهود الحربي ، أي لشراء سلاح وعليه سيدفع
بالعملة الصعبة . . فأمر جلالة الملك أن لا تقيد بالميزان النقدي بين مصر
والمغرب وتصرف أجور الحفلة بالعملة الصعبة .

في صباح يوم قال لي سامي :

منحت سوريا وساماً الى الاستاذ الموسيقار عبد الوهاب ، ويجب أن نكرمه بحفل يليق به .

كنا نرى حرجاً أن نكرم عبد الوهاب ، في حين أن تكريم أم كلثوم خاصة بعدما بذلت من جهد في حفلات الى المجهود الحربي ، أصبح واجباً .
المهم دعينا للحفل عدد كبير من الأصدقاء والسلك الدبلوماسي ، ورجال الاعلام . وكانت كلمة سامي حين قلد الوسام لعبد الوهاب كلمة في منتهى الرقة والحكمة . إذ قال هذا وسام يقلد لنجمين لعبا دوراً رائعاً في موسيقانا هما أم كلثوم وعبد الوهاب . ثم لمح بكلمته لدور أم كلثوم الوطني بالسفر والجهد وما إلى ذلك من كلام يدخل إلى القلب . وما أن أنهى سامي كلمته حتى علقت أم كلثوم بسرعة بديتها .
سيادة السفير :

لقد وسمتني بجميل كلامك ، ولو طلب مني عبد الوهاب أن أبادله كلامك الخلو بوسامه لما رضيت . .
كم أسفت أن كلمة سامي كانت مرتجلة . وإن الشريط الذي سجلت عليه هذه الكلمة قد فقد .

كتاب الجيب

من الأمور التي كانت تشغل بال سامي كثيراً هي :
كيف يمكن أن يصل الكتاب إلى أكبر عدد ممكن من القراء وخاصة ،
لمحدودي الدخل بأقل سعر ممكن . ولتحقيق تلك الأمنية في نشر الثقافة فقد عمل دراسة لمشروع كتاب الجيب العربي .

قبل الرحيل بأيام قليلة

زارنا الاستاذ محمود الأيوبي وكان وقتها رئيس وزراء . والاستاذ عبد البر عيون السود .

تحدث سامي رغم تعبته بحماس لا يوصف عن هذا المشروع . .
وكنت وأنا أراقب حماسه بقلق . . أراقب في الوقت نفسه نظرة الاعجاب المزوجة بنظرة الاندهاش التي تشع من عيني الاستاذ الايوبي وهو



من لقاءات العمل النسائي في مصر - أم كلثوم تتوسط زوجات الدبلوماسيين العرب .

بعض صور اللقاءات النسائية في مصر - أم كلثوم تتوسط زوجات الدبلوماسيين العرب



الدكتور د. سامي الدروبي ، وفي الوسط ، وفي أقصى اليمين نظير كريمة السعيد .
أم كلثوم ، وفي أقصى اليمين نظير كريمة السعيد .

في الصورة الى اليمين فريضة الدكتور د. سامي الدروبي ، سفير سوريا ، وفي يمينها السيدة .
نبيلة الكسبي ، فريضة الأستاذ عبد الوهاب ، وزيرها فريضة السيدة هانم وهي الآن .
وفي الصورة اليسرى فريضة السيدة هانم وزينبي ، وفريضة السيدة هانم وهي الآن .



تخصيات نسائية في حلل السفر السوري تكريما لسيدة الوهاب

اكثر من ثلاثين معلوماً ومعلوماً
من المثاليين والديبلوماسية السورية
العمل الذي اقامه الدكتور سامي
الدروبي سفير سوريا في القاهرة ،
وقد تم في الازدياد ، وصدق عليه
الرجوع الى وساح الاستقلال من
السياسة الاولى ، لتغيرها للغة ،
ودوره في تطوير السياسة السورية ،
من بين هؤلاء الامميين كانت مثالا
كريمة السعيد ، أم كلثوم ، و
فريضة السيدة هانم ، وزيادة
وزارة الخارجية ، والسيدة هانم
جديدة ، ونجل وزارة الارشاد
تاليا من دبيرها السيدة هانم
تاليا من والدكتور هانم هانم
التي ، والصفحة الرئيس باسم
الجمهورية العربية ، وسفيرها
السورية والكويت واليمن لبنان ،
كانت السيدة فريضة الكسبي ،
فريضة الحظي به ، هي حرمين
العمل بنجاح ، للغة كانت تميزت
بجهدتها في المساعدة والاعتراف
والعزم . لها فريضة السيدة
السيدة هانم حرمين السيدة
التي ، التي تسمى كل فرد هو
تسببا به هو سببا الحاصل . كان
وقد هو سببا الحاصل . كان
سفيرها سببا الحاصل . كان
العمل ، للغة حرمين سببها من
السياسة والساعات ، من يتبع
فريضة السفر السوري ، وفريضة
السيدة هانم وهي الآن .

من أنشطة السفير السوري الدروبي في مصر بعد النكسة .



وسام سورية لمبدع الوهاب بحضور أم كلثوم

تم تكريمه من قبل سورية في حفل أقيم في دمشق في شهر كانون الثاني ١٩٥٢م

يستمع الى الشرح الكافي ، والوافي ، عن هذا المشروع .
كان الأستاذ الأيوبي مطلعاً على حالة سامي الصحية ، وما وصلت
اليه ، لم يتالك نفسه فهض ، وخرج الى الشرفة وسمعتة يقول :-
هل يُعقل ما أسمع ؟ إنه من أصحاب الرسائل .. إنه يفكر بنشر
الثقافة .. ويفكر بمحدودي الدخل وهو يشارف على الأبدية .. ما أعظمه
من أستاذ ..

قبل أن يودعنا ، أعطاه سامي تلك الدراسة ..
قال سامي :-

أرجو لهذه الدراسة أن تتحقق ، وإنني ارتحت حين سلمتها للأستاذ
محمود .

قلت لسامي :-

أما لاحظت قلق الأستاذ الأيوبي عليك ؟ . وقلقي أنا أيضاً لفرط
تحمسك وتابعت فقلت ليتك تخفف من شدة تحمسك هذا ...
فقاطعني وقال :-

لماذا هذه النصائح ؟ هل يملك الانسان أن يغير طبيعته ؟ وهل استطيع
أنا أن أغير طبيعتي ، فأصبح قليل الاكتراث ، رغم كل ما بلوته من كثرة
الاهتمام .

قبل الرحيل بأيام قليلة

قرأ بجريدة الليموند الفرنسية ، إعلاناً لمعجم جديد ، فاتصل مع
الصديق أديب اللجمي واستعان به ليؤمن وصوله سريعاً .

وأذكر حين رتبت المعجم في المكتبة ، نظر الى رف المعاجم وقال :-
حرصت أن يكون هذا المعجم في مكتبتي .. فاذا أعطاني الله عمراً ،
فسيتموض ثمنه مئات المرات .. واذا وافتنى المنية ، فان وجوده في البيت
أيضاً ثروة ، لأنه سيكون في متناول أيدي الأولاد ..

يذكر جيداً الأستاذ أديب لجمي أن الرحيل كان بعد ثلاثة أيام من
وصول المعجم .

زارنا قبل الرحيل بأيام قليلة الاستاذ علي عقلة عرسان في صباح يوم

ومعه موفد من اتحاد الكتاب السوفيتي الاستاذ ايغريير ماكوف ليلبغنا دعوة الى
الاتحاد السوفيتي .

قال سامي :-

شكراً على دعوتكم . . أظن أن وضع قلبي لايساعد على السفر . .
فأجابه ضيفنا :

نحن نعلم هذا ، لذلك سترافقكم طيبة قلب طوال زيارتكم لنا كما
أنه ستوفر كل الاجراءات الصحية اللازمة .

قال سامي :-

إذا كتب لي عمر فانا حريص جداً على زيارة الاتحاد السوفيتي . . ولي
رجاء أن يكون في برنامج الزيارة مقابلة المسؤلين في دور النشر التي تنشر في
بلادكم عيون الأدب الروسي . . الى اللغة العربية ، لأنني حريص أن يُقدم
الكتاب المبدعون للقارئ العربي بشكل سليم وبدون تشويه . . وفعلاً بعد
انتهاء الزيارة شرع في دراسة حول هذا الموضوع .

لكن المنية سبقت تلبية الدعوة .

زارنا الاستاذ حافظ الجمالي رئيس اتحاد الكتاب العرب حينذاك والاستاذ

أديب لجمي .

تحدث الاستاذ حافظ قائلاً :

ياسامي قرر اتحاد كتاب العرب أن يقيم حفلة تكريم لك على مدرج

جامعة دمشق . . حضرنا لنبلغك ذلك ونرجو تحديد اليوم المناسب لكم . .
بدوؤوا يتحدثون عن برنامج حفل التكريم .

نظر الأستاذ أديب إلى سامي ، والتفت إلي يسألني :

يأم مصباح ، أريد أن أسألك وأنت الآن أعلم الناس بوضع سامي

الصحي . . . هل يستطيع قلبه تحمل الإنفعال الذي يرافق مثل تلك

الحفلات . . .

سبقني سامي قائلاً :

يا حافظ أهلاً إن فكرة أن يكرم أديب وهو على قيد الحياة ، فكرة لم تشع

عندنا . المعروف سابقاً أن الأدباء يكرمون بعد الممات إن اقتراحكم هذا يثلج

قلبي ، أن أفتح هذه السنة للأدباء . . . فيكرموا وهم أحياء فهذا شيء عظيم .

أما يا أخي أديب ، فإن خوفك على قلبي من الإنفعال فإنسي أطمئنتك . . . لا تخف . فوالله لأن يموت الإنسان أثناء تكريمه . . . خير له من أن يموت على فراشه .

قبل الرحيل بأيام قليلة .

زارنا اللواء مصطفى طلاس ، وعلم من سامي ، عما دار من حديث مع الأستاذ محمود الأيوبي ، بخصوص كتاب الجيب العربي .

وغاب يومين وحضر بعدها ومعه كتاب «آلام فرلتي» لغوته وقد نفذ الفكرة «كتاب الجيب العربي» مطبوعاً بالطريقة التي عرضها سامي . . . نظرت بعيني أبي فراس باندهاش ، وبنفسي سؤال ، أريد طرحه . . . لكنه عفاني إذ رد على سؤال بل تساؤل لاتي قائلاً :

شعرت بزيارتي السابقه من يومين بتحمس أستاذنا سامي لهذا المشروع ، فأردت أن أحقق له رغبته هذه وأطمئنته أنها أصبحت بيد رفقاء أمناء .

بعد أيام كان الرحيل ، وكان كتاب آلام فرلتر ما زال على المنضدة بقرب السرير . . . نظرت إلى الكتاب ونظرت للمعلم الحبيب المسجى وقلت له : -

لقد أحس أبو فراس بقرب المنية ، فعمل المستحيل لتنفيذ رغبتك كم هو جميل وفاء ، وحب التلاميذ لأساتذتهم وعلى ذكر محبة تلاميذ سامي له تذكرت رسالة أملاها علي سامي . . . حين علم من طبيبه الدكتور حمدي السيد أن الأستاذ أحمد الخطيب وكان رئيساً للوزارة الاتحادية لما علم أن سامي في لندن ووضع الصبحي سيء هياً له السفر السريع جداً وقد كتب فيما بعد هذه الرسالة :

عزيزي الأخ أحمد

رغم أن الدكتور حمدي ينصحني بأن لا أمسك القلم لأكتب إليك ، تحاشياً لمخاطر الجهد والإنفعال معاً ، لكن ما حدثني عنه الأخ الدكتور حمدي

من أمر القلق الشديد ، وما بذلته من جهد متصل لم ينقطع في ليل أو نهار ،
لتأمين سفره إلا مسعفاً بأقصى سرعة ممكنة ، هذا كله هز نفسي هزاً خاصاً
قوياً ، ربما كان لتكويني النفسي الخاص الذي قوامه الإعتراف بالجميل . لذا
لم أتهدب أن أمسك القلم لأعبر لك عن بعض شكري لأم حسان مني ومن أم
مصباح
أصدق الود

سامي الدروبي

الطبيب الصديق

حين كنا بمجريد أصيب سامي بجلطة تكاد تكون قاتله ، نقل إلى
الإنعاش المشدد . اتصل سفير مصر بصديقنا الدكتور حمدي السيد وبعد فترة
وصلت إشارة من القاهرة عن وصول الدكتور حمدي ظهر اليوم التالي . . .
أذكر أن الأستاذ الدكتور رئيس قسم الإنعاش ، إمتعض ونظر إلينا
باستنكار وقال باستياء : -

سيدة دروبي ! أريد أن أبلغكم حالة السيد السفير سيئة جداً . ونحن
عملنا ونعمل ، وسنعمل ، أقصى جهدنا . . . هل لاحظتم أي تقصير
لا استدعاء طبيكم من الشرق ؟ .
أجبتة : -

السيد الأستاذ الدكتور . . . لا شك أن إهتمامكم بزوجي يفوق
التصور ، لكن أرجو أن لا يزعجكم حضور الدكتور حمدي السيد فهو
صديقنا وطيبه منذ عام ١٩٦٦ حين ابتداء المرضي والدكتور حمدي يعرف تطور
مرضه منذ ذلك التاريخ . وقد رافقنا حين سافرنا لعلاج زوجي في أمريكا ،
وانكلترا ، وفرنسا .

ومع هذا لم يرتح الدكتور رئيس قسم الإنعاش المشدد . ولم تقل
حساسيته من الطبيب القادم من الشرق إلا حين دخل الدكتور حمدي بعد ظهر
اليوم التالي لدخوله سامي غرفة الإنعاش المشدد على مرضه . وأخذ يسأل عن
كمية الدواء المميع للدم التي يفترض أنه حقن بها سامي . كما سأل أيضاً عن

عدد مرات «تبديل القطار الوريدي» الموجود في ساعده . . . كما طرح عدد من الأسئلة الطبية التي لم استوعبها ولكن الأستاذ الدكتور رئيس قسم العناية المشددة ، استوعبها وأدرك أنه يتعامل مع طبيب من الشرق لكنه من نوع فذة قمة علمية لا يستهان بها .

وبتواضع العالم اقترب الأستاذ الدكتور الإسباني وقال : -
سيدة دروبي معكم حق حين حرصتم على استدعاء طبيبه الأستاذ الدكتور حمدي السيد . . . قال هذا بلهجة تختلف من تلك اللهجة التي قالها حين علم عن حضور الدكتور حمدي .

سبق وقلت «إن الذاكرة لا يقيدها شيء حتى في غرفة الإنعاش ،
تسرح بدون ضابط . . . إذ تذكرت رسالة أملاها علي سامي إلى الدكتور حمدي السيد في ١٩٧٢/٢/٥
إذ قال فيها : -

أخي العزيز الدكتور حمدي

أصابني نوبة شديدة فعلاً ، وعانيت منها آلاماً مبرحة ، وخافت إحسان خوفاً رهيباً ، وكان يعودني طبيب أمراض القلب كل يوم ، ولكن شتان . . . شتان بين الطمأنينة التي نشعر بها حين نراك أنت بكل حميتك وشهامتك ونبلك وعاطفتك واخوتك وبين القلق الذي يساورنا حين نرى الوجه البارد الذي لا يعبر عن شيء . .

الخلاصة : لقد افتقدناك . كما افتقدنا الطمأنينة من ناحية صحتي التي نخاف عليها من المفاجآت ليس لها سواك إن كان في العمر بقية . . .
المهم حين وعى سامي من الغيبوبة ورأى الدكتور حمدي معه شعر بالطمأنينة .

٢٨ أيلول ١٩٧٠ حوالي الساعة السادسة والنصف

اتصل الدكتور حمدي بالتلفون وقال : -

أين الدكتور سامي : -

أجبت : -

في المكتب .

أرجوك لا تغادري الدار . . . سأحضر حالاً
أحسست من نبرات صوته بشيء ما !!!
وصل الدكتور حمدي . . . وكنت ألاحظ أنه يبذل جهداً ليخفي أمراً
.. ما

سألت بعد تردد : -

خير يادكتور ! أرجوك هل لك أن تصارحني ما الأمر ؟
هناك خبر فظيع أخشى على قلب سامي منه لذا حضرت لأكون معكم
قبل أن يذاع الخبر . . . توفي الرئيس عبد الناصر . . . وانفجر باكياً .

صحت .. مش معقول . . . وانتقلت إليّ عدوى الاضطراب . . .
وقلت الاذاعة . . .

قاطعني :-

الدولة تتهياً وتهيء للخبر . . وأنا حضرت لتوي من منشية البكري من
منزل الرئيس بعد أن نقل الجثمان الى قصر القبة لأكون مع سامي حين يسمع
الخبر . . .

سمع سامي صوت الدكتور حمدي . فدخل الى الصالون مرحباً
بالضيف الصديق ما أن نظر الى وجه الدكتور حتى قال :-

مالك يا حمدي ؟

أجابه بكذبة بيضاء ، لا أدري كيف خطرت له .

تساجرت مع زوجتي لإصلاح وأتيت إليكم هل تستقبلني كضيف لأبيت
هذه الليلة عندكم ؟

فأجاب سامي :

أهلاً وسهلاً على شرط أن نستضيف معك أختنا إصلاح ، وأوماً إليّ أن
اتصل حالاً لإصلاح ذات البيت بين الزوجين العزيزين .

واضطرت الى الاتصال مع السيدة إصلاح وفعلاً وصلت قبل إذاعة

الخبر بقليل ..

وفاة عبد الناصر

بعد الأخبار بالتلفزيون . سمع سامي الخبر وكان علاج حمدي قوي

بل ربما أقوى من الصدمة فحقته رأساً بأدوية . ووضع الأوكسجين في أنفه وحولت غرفة نومنا إلى غرفة أشبه ماتكون بغرف الانعاش . وكان الأخ حمدي يردد الحمد لله أنني وصلت قبل أن يعلم سامي بالخبر . . .
صحى سامي من تأثير المهدئات قليلاً وقال :-

إحسان اذهبي حالاً لمنزل الرئيس لتحية هانم . . ولا تقلقي علي حمدي وإصلاح معي . . . بالإضافة الى العديد من الأصدقاء الذين ما سمعوا الخبر حتى أتوا هلعين وقلقين على وقع هذا الخبر على قلب سامي . . .

امتثلت للأمر . ويعلم الله كم ذقت ومالقيت حين أصبحت في وسط كتل من البشر مترامصة مولولة ، نائحة ، نادبة ، مجهشة ، ولولا سيارة بوليس النجدة التي شقت الطريق أمام سيارتنا واستطاعت توصيلي إلى منزل وزير الداخلية الأستاذ شعراوي جمعة في الواحدة والنصف بعد منتصف الليل لأن وصولي الى بيت الرئيس عبد الناصر ولو بسيارة بوليس النجدة كان ضرباً من المستحيل لأن الكتل البشرية كانت قد احتلت كل الشوارع الموصلة إلى بيت الرئيس وبقيت مع السيدة سميره شعراوي إلى أن أمنوا عودتي بمعونة البوليس أيضاً إلى دارنا بعد أن عملوا ترتيبات مشاركتي للغزاء في اليوم التالي للسيدة الفاضلة تحية هانم .

بقي سامي في السرير ثلاثة أيام التي سبقت الدفن .
أصر على أن يكون في التشيع ضارباً بمعارضة الدكتور حمدي وصديقنا محمود العالم بعرض الحائط . . قائلاً :-

سأذهب . يعني سأذهب . وإذا لم يستحمل قلبي هذه المأساة فالوطن ليس بحاجة إلي أكثر من حاجته للرئيس عبد الناصر فليكن ما يكون وفعلاً ذهب في يوم الدفن إلى مجلس قيادة الثورة ، ورافقه الدكتور حمدي السيد والصديق محمود العالم ليكونوا معاً .

لكن ما أن سار الموكب عدة خطوات حتى انهار سامي . . . ولم يستطع قلبه مسيطرة الموكب . . . وأسعفه حمدي ونقل إلى الدار . . .
في اليوم الثاني كان المفروض أن يسافر الوفد السوري بعد غزاء عائلة الرئيس . وكان ترتيب هذه الزيارة أمراً شبه مستحيل عن طريق مكاتب

الرئاسة أو مكاتب الخارجية بسبب الحالة الصحية لحرم الرئيس ، وتعليقات
الاطباء وعقاقيرهم . وكان ما زال الدكتور حمدي مقيماً معنا . فطلب منه
سامي أن يرافقه الى فندق هيلتون حيث الوفد السوري مقيم هناك . .
أذكر أنه كلمني من هناك قائلاً :-

يا احسان يرغب الوفد تعزية حرم الرئيس ولكن لم نستطع أن نؤمن
الموعد لا عن طريق الرئاسة ولا عن طريق الخارجية . ليس غيرك الآن من
يستطيع تأمين ذلك الموعد .

فعلاً اتصلت مع السيدة هدى كريمة الرئيس عبد الناصر . وقلت
لها :-

سيدة هدى إن الوفد السوري يرغب في تعزية السيدة الوالدة والعائلة
قبل العودة لدمشق . .

بعد نصف ساعة انضمت الى الوفد في منزل السيد الرئيس معزين
السيدة حرمه وأولاده . وأظن أن الوفد لن ينس منظر حرم الرئيس المفجوعة
وهي تتقبل تعازي سوريا التي أحبها عبد الناصر ، والدواء المهديء يسري
بعروقها . كم كان مؤلماً ومؤثراً ذلك العزاء . .

كل هذا يعود إلى الذاكرة ، وأقدر لماذا إفتقد سامي مصر وأحبابه أهل
مصر حين كنا باسبانيا . كتب رسالة للدكتور حمدي أذكر منها .
أخي الحبيب الدكتور حمدي . .

دعني أكرر ما علق في الذاكرة من شعر حفظناه في الصبا .
وارحمته للغريب في البلد النازح ماذا بنفسه صنعا

ضيق أحبابه فما انتفعوا بالعيش من بعده وما انتفعا

وكقول عبد الرحمن الداخل ، ولم يكن شاعراً لكنها نفثة من القلب .

أيها الراكب الميمم أرضي أقر من بعضي السلام لبعضي
إن جسمي كما علمت بأرض وفؤادي ومالكيه بأرض
قد قضى الله بالفراق علينا فعسى باجتماعنا سوف يقضي
قبل الرحيل بأيام قليلة :- زارنا الدكتور بديع الكسم فسأله سامي عن

الكتاب قائلاً له :

منذ عشرين سنة وأنا أرغب في ترجمة هذا الكتاب والآن ، لم يبق من ترجمة المجلد الخامس من الأعمال الكاملة لتولستوي سوى خمسة وثلاثين صفحة سوف أنتهي منها وأبشر بهذا الكتاب وفعلاً أحضر الدكتور بديع ذلك الكتاب من مكتبته في زيارة لنا مع حرمه والدكتور شاكرا الفحام وحرمه .

فرح سامي بالكتاب وأذكر أن الدكتور شاكرا سأل سامي ، هل تذكر كم عدد الصفحات التي كتبتها ؟
أجابه سامي رأساً :-

ست وثلاثين ألف صفحة بين تأليف وترجمة .

كانت تلك الأسمية مع الدكتور بديع والدكتور شاكرا حلوة ، ممتعة ، سردت ذكريات أيام الشباب ، والدراسة الجامعية . وكنا نضحك من أعماقنا ولم ندر أننا في حضرة الموت إذ كانت المنية بعد أقل من أربع وعشرين ساعة ...

هاجس الدقة

حين قرأت مرة بكلمة للأستاذ سعيد حورانية جملة كان سامي الدروبي حي الضمير يحترم نفسه وقراءه . سمحت لنفسي أن أصف لكم حالة القلق التي كان يعانيها سامي منذ انتهائه من الترجمة الى صدور الكتاب ، مثلاً هذه الرسالة أرسلها الى صديقنا الأستاذ أديب اللجمي معاون وزير الثقافة قال فيها :

أخي أديب

قبلا تي وأشواقني الحارة ، أعتذر عن ارسال هذا الطرد عن طريق وزارة الخارجية ... ذلك أنه يضم مخطوطة المجلد الأول من مؤلفات تولستوي الأدبية وهي نسخة وحيدة (مسودة ومبيضة معاً) فان هي ضاعت فقد ضاعت أشهر سنة من عمري . سلختها عاكفاً على ترجمته ... أغفر لنفسي استغلال الحقيبة الدبلوماسية الاستغلال البريء المنتزه عن المنفعة المبرأ من الغرض ، اللهم غير المحافظة على جهد فكري ، وأثر أدبي ، وتجنبيه مخاطر الضياع الذي يكون لي كارثة وبلاء وطامة كبرى ، إذ لن يمكنني أن أعيد ترجمة الكتاب بحال من الأحوال إذا هو ضاع .

وفما يتعلق ببروفات المطبعة فإنني أود أن أتولى تصحيحها بنفسي ، ذلك أن خوفي ليس من وقوع أخطاء مطبعية ، بل من أن لا يخرج الكتاب الاخراج الذي تصورته له على غرار الأصل الفرنسي . فمتى صدر المجلد الأول كان عمال المطبعة قادرين على إخراج المجلدات التالية على نفس النسق والترتيب .. ولعلك تشاطرنى هذا الرأي . رغم أن ذلك سيؤخر صدور المجلد الأول زمنأ ، ولكن لأن يتأخر صدوره بعض الوقت خير من صدوره على غير النحو الذي أردناه له .

بل بالأحرى أراد أن يكون بين أيدي القراء خالياً من الخطأ .. وعلى ذكر الخطأ والدقة فإنني لن أستطيع أن أصف لكم إمتعاض سامي حين تقع عينيه على ترجمة مشوهة ، ناقصة ، غامضة لا دقة ولا اتقان .. كان يقول :

هذا الكاتب العملاق العبقري في بلده وفي لغته .. يجب أن يبقى عملاقاً يجب أن نقرأه بلغتنا بدون تشويه .

في يوم وقع بين يديه كتاب لبوشكين مترجماً ترجمة سيئة فيها فقرات برمتها وردت مختلفة ، ومختلفة ، وغامضة .

قال باستياء إن الإعلام في العالم ملك للعالم كله فلا يجوز أن تشوه صورهم وأعمالهم .

أعود للرسالة التي أرسلها للأستاذ أديب اللجمي لاثبت بالوقائع عن حرصه الشديد في دقته للحفاظ على روح الكاتب .

عزيزي أديب

أحب أن ألفت نظرك إلى أنني ترجمت النص الفرنسي الوارد في المطبعة السويسرية للمجلد الأول لتولستوي ، لكن الطبعة الفرنسية الصادرة في سلسلة «Pleide» كانت أمامي أيضاً ، فكنت أقرأ النصين ، فيتفق لي أحياناً أن أستحب جملةً في الطبعة الفرنسية . أو أن أراها أقرب الى الصواب أو الدقة .. فأخذها بديلاً للجملة الواردة في المطبعة الفرنسية .. أو أن أراها أقرب الى الصواب أو الدقة . فأخذها بديلاً للجملة الواردة في الطبعة السويسرية . وهذا يصدق على ألفاظٍ كما يصدق على جمل ، فكنت بما هو

ظاهر الصواب من هنا وهناك . . .

أذكر في أيام الوحدة حين كان سامي مديراً في وزارة الثقافة المركزية في مصر حضرنا لدمشق في إجازة . . . فطبع في دار اليقظة كتاب الزوج الأبدي لدوستويفسكي . . .

استدعي على عجل للقاهرة ، قبل أن ينهي تصحيح بروفات الكتاب . . فعهد لصديق بذلك . وحين وصل إلينا الكتاب مطبوعاً وجد به سامي العديد من الأخطاء . أبرق سامي إلى دار اليقظة طالباً منها أن تسحب الكتاب حالاً وعلى حسابه الخاص . وتعيد طباعة الكتاب بعد أن صححه سامي بنفسه ومازالت كل تلك النسخ الممتلئة بالأخطاء في سقيفة منزلي ، وقد اشتراها كلها غير مبال بالخسارة المادية .

وفاء وتقدير

لا أستطيع أن أنقل إليكم الدراسة التي كتبها الأخ الصديق الاستاذ عبد الكريم زهور في أربعة أعداد من مجلة المعرفة ولكن الذي أستطيع أن أقوله أن الاستاذ عبد الكريم زهور كان يتمنى على سامي أن يعمل ضمن اختصاصه في علم النفس والفلسفة إذ لأثرى المكتبة العربية بهذا الاختصاص .

جائزة اللوتس

في ظهيرة يوم رن جرس الهاتف وكان المتحدث الأستاذ علي عقله عرسان رئيس اتحاد الكتاب العرب . . . فوجئت به يقول :

سيدة دروبي إنني أكلمك من مطار دمشق . هذه اللحظة وصلنا من طشقند وألف مبروك . . . لقد منح المرحوم الدكتور سامي جائزة اللوتس للترجمة من الكتاب الآسيويين والأفريقيين . وهو أول سوري يأخذها . . . كانت كلماته واضحة . . . وجملة متلاحقة . . . تخرج من القلب ، لآتمس العصب السمعي فحسب بل تدخل الى كل خلايا جسدي . . . كانت أحاسيسي تتضارب بين الدموع التي أخذت تنهمر من عيني بغزارة وبين فرحة كفرح الاطفال مصحوباً بغصّة . . . وألم . . . واعتزاز . . . أي اعتزاز ؟
إعتزازي أنا بك ياسامي ! أم اعتزاز أمتك بك بعملك الذي خُلد بعد أن

رحلت ، والذي قُيم بعد رحيلك . . فكننت أول سوري توسم بجائزة اللوتس للكتاب الآسيويين الأفريقيين .

تساءلت ليه يارب لم تمد في عمر سامي حتى نفرح معاً وتسمع يا حبيبي نبرات صوت الاستاذ علي عقله عرسان رئيس اتحاد كتاب العرب التي تتم عن فرح واعتزاز كبير بك كمواطن متميز ، أنجز الهام الهام من الأعمال المشرفة له شخصياً ولأمته قومياً .

وكانت التهئة الثانية التي وصلتنا بعد أقل من أربع وعشرين ساعة برقية من الدكتورة نجاح العطار

نص برقية وزيرة الثقافة

فرددت على برقيتها

سيادة وزيرة الثقافة والارشاد القومي الدكتورة نجاح العطار
بكثير من الاعتزاز ، تلقيت البارحة ، تهنتك بجائزة اللوتس التي نالها زوجي المرحوم سامي الدروبي تقديراً لما بذل من جهد جبار في ميدان الأدب والثقافة ، خلال عمره القصير . إن كلماتك النبيلة جعلتني أشعر أن التهئة ليست لي شخصياً وإنما لأمتنا العربية المعطاء التي انجبت سامي الذي حمل عبء الكلمة في كل ماخط قلمه السخي . إنني أشكرك باسمي واسم اولادي واسم اسرة الدروبي على هذه البادرة التي لاتصدر إلا ممن عانى صعوبة التعامل مع الحرف ، فعرف كيف يقدر أربابه .

احسان بيات الدروبي

المدارة

نظراً لوضعه الصحي ، فقد كان يحرص أن أقوم بدلاً عنه ببعض الالتزامات الاجتماعية ، حتى أن إدارة البروتوكول في وزارة الخارجية الاسبانية حين توفي سفير هولنده إتصلت معي لتبلغني عن مراسم العزاء ، سواء في منزل السفير أم في الكنيسة أم حين وداع جثمان السفير الراحل في مطار مدريد .

كان السفير الهولندي هذا قد مثل بلاده في عددٍ من الدول العربية وهو صديق للعرب . . . ولهذا كتبت عن سامي خبر وفاته بنوبة قلبية . . .

خاصة كان زوجي يعاني من آفة قلبية . .
في موعد العزاء في منزل السفير «كذبت كذبة بيضاء» . وقلت له :
عندي موعد مع الخياطة . وقلت بواجب العزاء .
وفي اليوم التالي كذلك ، «كذبت كذبة بيضاء» وقلت له :-
عندي موعد مع طبيب الأسنان وقلت بالمشاركة في القداس المقام في
الكنيسة

وفي اليوم الثالث كذلك «كذبت كذبة بيضاء» وقلت له :-
سأزور مدرسة ولدنا مصباح .
حين عدت للدار فوجئت به يفتح لي الباب وفي نظرة عينيه ابتسامة
مداعبة ماكرة وقال :-

الزوج آخر من يعلم : أليس كذلك ؟ ويأتيك بالأخبار من لم تزود
لقد رأيتك على شاشة التلفزيون حين تشيع الجثمان وتوديع السفير
الراحل . .

وتابع حديثه مداعباً :-
«ويلى من كيد النساء» ما أسرع ما كنت تبدلين به ثيابك السوداء .
بأخرى ملونة حتى لا أشعر بما تخفين علي
أه ياسامي كم كنت أخفي عليك من أمور من شدة خوفي على قلبك ها
قد تذكرت في ١٢/٢٩ ذكرى ميلاد ابنتي سلمى . هذا اليوم منذ وفاتها
أحتفل به بزيارة ضريحها . حين كنا باسبانيا وأنت تلك الذكرى جلست
بغرفتي أقرأ القرآن وأنا أبكيها بحرقة إذا بي أسمع صوت سامي يعود الى الدار
في وقت لم أتوقع وصوله .

خفت على سامي إذا ما رأني بهذه الصورة أن أفتح جروحه وكنت أخشى
على قلبه من الانفعال فخرجت الى الشرفة مسرعة وغسلت وجهي بمياه مثلجة
ويظهر ان الاختلاف بدرجة الحرارة وبين الغرفة المدفأة ودموع الحرقه التي
تغرق عيني بها ، وبين الشرفة والمياه الثلجة التي غسلت بها عيني عملت
تخريش في عيني اليمنى جعلتني لا أنام تلك الليلة من شدة الألم . . وفي
صباح اليوم التالي وكان يوم سبت . . اتصلت مع الدكتور نقولا الحلبي

السوري المتخصص بالعينية . فاقترح الذهاب الى مستشفى الجامعة ليفحصني الاستاذ الدكتور دومنغيز Domengaze الذي قرر إجراء جراحة بالعين . . على أن تكون هذه العملية يوم الاثنين في بداية الاسبوع . . لكنني قلت للطبيب :

إذا كان لا بد من جراحة ؟ فلتكن اليوم . . . أجب باندهاش . . بدون أن تخبري زوجك بعملية ستجرى بعينك ؟

أجبهته :-

لا داعي لآخباره . . وقلت لنفسي سأعفي قلب سامي من حالات التوتر التي تعتمل بالانسان في مثل تلك الحالات . دخلت إلى الغرفة المخصصة لي وأمضيت الورق اللازم وأجريت لي العملية . .

بعد أن صحوت من التخدير كلم الدكتور الحلبي سامي . . وأخبره أن العملية أجريت للسيدة حرمكم وهي بخير في الغرفة رقم كذا في مستشفى الجامعة .

لأن انسى نظرة العتاب في عينيه وقال :-

«أنا زوج أم رجل كرسي» . كيف تصرين على إجراء عملية

لوحدهك . . والتفت وقال للدكتور حلبي :-

إن زوجتي من أصحاب السوابق في مثل هذه الأمور . . هل تصدق

حين كنت سفيراً بالقاهرة في يوم بعد أن خرجت مبكراً الى السفارة ببضع

ساعات رن جرس الهاتف وسمعتها تقول :-

سامي ألف مبروك نجحت عملية استئصال اللوز لابننا مصباح . وقد

بدأ يصحو من التخدير . . . وأرسلت لك السائق لتحضر لتراه . . . أنا لا

أفهم كيف تتحمل لوحدها هذا الجهد والتوتر لتحمي قلبي منه . . . وتابع

يردد ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم

مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون .

لاشك يادكتور حلبي هذه هي الرحمة التي يذكرها الله في كتابه العزيز .

اليوم اجتمعت مع الاستاذ بهيج عثمان والسيدة حرمة . تذكرت لقاءنا الأخير مع سامي في منزل سفير لبنان في القاهرة حين زار وفد من الكتاب اللبنانيين القاهرة وكان معظمهم من أصدقائنا . . . دعتنا زوجة السفير . . . وكانت تربطني بها صداقة بالاضافة الى زمالة زوجينا بالسلك فقالت إن الكتاب اللبنانيين بشوقٍ لسامي . . . فوعدتهم أن يكون بالعشاء المقام على شرفهم مع علمي أنه منذ أيام قليلة فقط خرج الدكتور سامي من المستشفى . . . ولكن سأعدك أن أعد عشاءً خفيفاً حتى لا ينزعج سامي .
وفعلماً قبل أن تدعونا السيدة نوف أبو عز الدين . . . إلى غرفة الطعام قالت :

ياجماعة اليوم قرأت مقالة صحية وما أذكره من المقال أن من تجاوز الأربعين يجب أن تكون وجبة عشاءه خفيفة واليوم جميعنا سيتناول وجبة خفيفة . . . مع العلم «يادوب وصلنا الاربعين» .
فإذا بسنامي يعلق :-

لاشك ياسيدة نوف ظلمتي الاخوان بسببي . أنا الذي كنت هارباً من عشاء احسان الخفيف جداً . فما أنذا أقع مع الاخوان بمطبخ تأمرك معها بعشاءٍ خفيف .

ونحن على المائدة كنت أجلس على يسار سفير لبنان حليم ابو عز الدين وعلى يمين وزير الخارجية المصري محمد حسن الزيات نظرت باتجاه سامي الجالس الى يسار حرم السفير في الطرف الآخر من المائدة . وكان يتحدث وعلى وجهه ابتسامة وفي عينيه بريق يشع . . .
علق السفير قائلاً :-

يا احسان يظهر ان سامي يتحدث مع نوف عن صبية حلوة .
أجبتة :-

لا إنه يتحدث عن أكلة حلوة .
أجاب :-

«ولو شو هل الثقة بالنفس»

وعلى رهان من ليرة إلى ألف ليرة . .

فوافقت وسألت سامي بملء صوتي :-

ياسامي عما تكلمت نوف ؟

أجاب :-

أحدثها عن أكلتي المفضلة الشعيبات الحمصية .

ضحك السفير وقال :-

والله خسرتني الرهان ياسامي .

مازال لي حتى الآن بذمة السفير حليم أبو عز الدين ذاك الرهان .

اليوم الثاني والعشرين من نيسان هو يوم خطوبتي والذاكرة لاتنسى هذا

اليوم . وها قد نبشت من أعماقها تلك الأيام الحلوة . . .

في صبيحة اليوم التالي للخطوبة دعينا من قبل طلاب سامي احتفالاً

بخطوبته إلى وادي بردى . . وكانت رحلة جميلة بفكرتها وبمضمونها . .

اجتمعنا بعض الأساتذة وزوجاتهم من كلية التربية أمام دار الطالبات

في الحلبوني ، حيث ستنتقل الرحلة من هناك .

بدأت تصعد الطالبات إلى الباص لاحظت همساً بينهن . .

سألت طالبة صديقتي ما الحكاية ؟

همست في أذني بمنتهى السرية يوجد طالبة مغمى عليها . .

حاولت أن أنفض إلى تلك الطالبة لأطمئن عليها . . .

لكن صديقتي منعتني وقال بحذر :-

لاتذهبي إنها مغمى عليها من الغيظ إنها معجبة بالاستاذ سامي . . .

مسنى تيار كهربائي . . ولعب الفأر بعبي . . قلت لها :-

لماذا لم يتوج جبهما بخطوبة إذا ؟

أجابت صديقتي :-

إطمئني . . . إنه حب من طرف واحد . . .

سمعت صوت السائق يسأل :-

نتيسر سيدي ؟

أجابه مشرف الرحلة :-

على بركة الله يا أبو أحمد .

سار الباص .. وأنا سرحت بالطالبة بحبها الطاهر البريء
الرومانسي ... طالبة متفتحة تعشق أستاذها فلا تبوح له بهواها ... ولا
يعلم إلا الله كم هي عانت وتعاني الآن وهي تفاجأ بخطوبته ، فلا تملك إلا أن
يُغمى عليها ...

صدقوني أحسست بعطف وعاطفة عليها نظرت إليها من خلال نفسي
وقلت لنفسي «معها حق إن سامي يُعشق» .

لذا حاولت كل ذلك اليوم أن أشعرها أنها الوحيدة مركز إهتامي من كل
الطالبات التي كانت عيونهن تتساءل مندهشة عن سر إهتامي بها بالذات ...
وعلمت فيما بعد أن رهاناً حصل بينهن . هل أنا أعلم عن حب فلانة
لسامي . أم أنا أجعله ؟

قبل العودة بقليل جلسنا في مقصف الفردوس على شكل دائري ،
وكانت جلسة حلوة ممتعة متلونة . فهذا يروي نكتة ، وذاك يقلد أستاذاً ،
وتلك تغني لفيروز أغنية . وإذا بطالب يطرح سؤالاً على سامي قائلاً :
أستاذ سامي هل نظمت شعراً في حياتك ؟
أجابه سامي :-

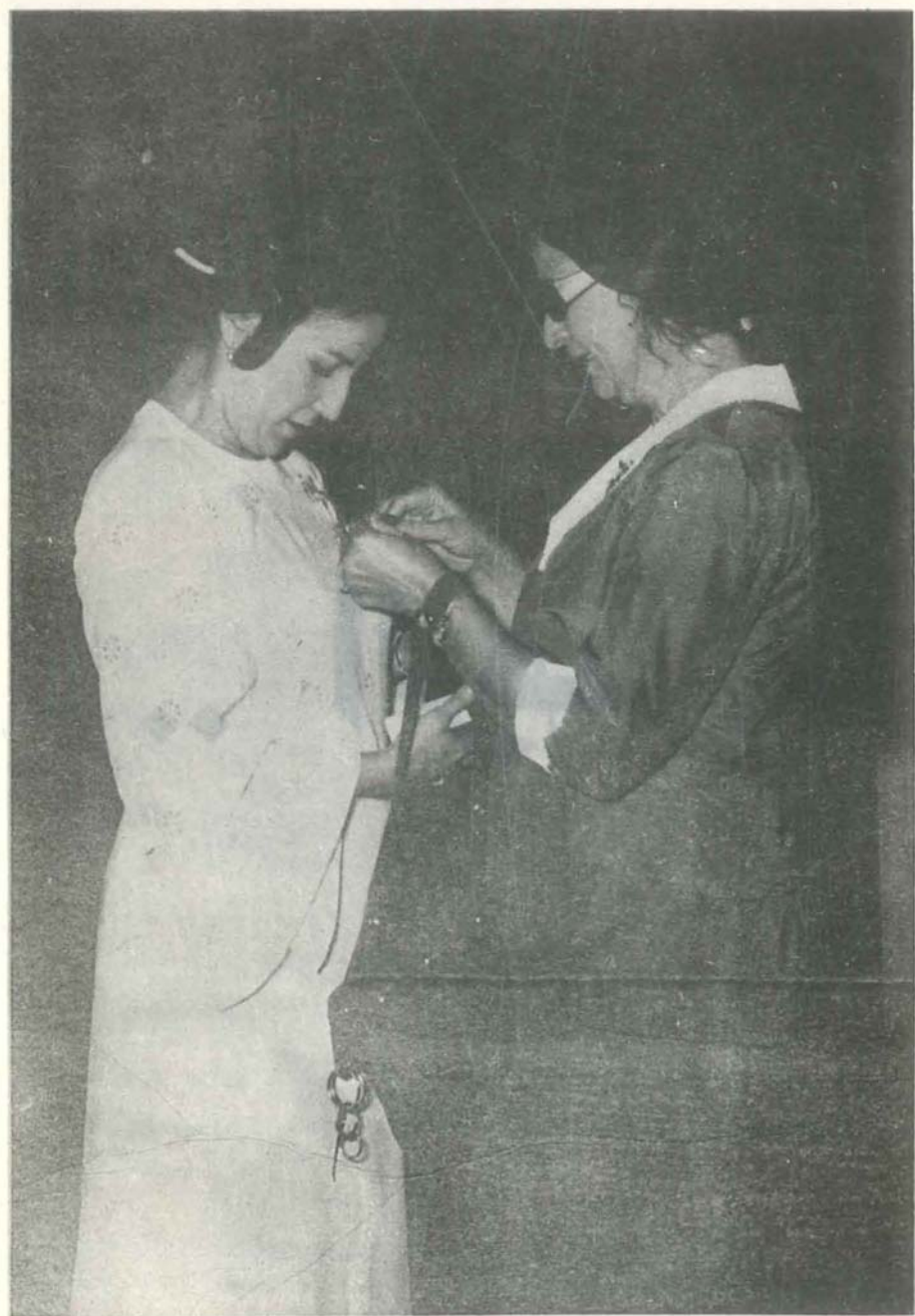
لقد نظمت شعراً قليلاً ولكنه لم ينشر ... ومنذ يومين كتبت قصيدة
لاحسان

فهاج الجمع وماج وصفق وألح على سماعها فامثل سامي لالحاح
وتصفيق طلابه فأنشد

لا تخافي سراً يلوح بعيني رهيباً يفتح كالانفواني
لا تخافي الغموض فوق حبيتي
لا تخافي ابتسامه الكتماني
هو ماضٍ خلفه فحذاري
أن تفضي أسراره للعيان
كنت لا أنشد الحياة

وجودي وانعدامي عن أفقها سيات
غير أني أحسست دفئاً
بعينيك يصب الحياة في أكفاني
فتمنيت أن أعود لنفسي
وتكوني لعودتي رباني
إنفعلت ، وخجلت وصعدت شحنة حُمرة الحياء على وجنتي ...
وبدأت تتحول إلى نشوة مصحوبة باعتزاز ، واعتزازٍ مصحوبٍ بنشوة ، وبينما
أنا أتمتع بأحاسيسي كلها فإذا بصوت يخترق التصفيق الحار فيقول :-
ليه ما أحسست الاستاذ سامي بدفء عينيك هذا من زمان .
مس هذا الصوت بتلك اللهجة الغير ودية عظمي وعاطفتي تجاه صاحبة
هذا الصوت فقتلها ومس اللؤم في نفسي فأيقظه فقلت بلهجة لثيمة ..
في الحقيقة يا أنسة تركت فرصة أمام تلميذاته ... ولما فشلن دخلت
لحياته ..

علقت إحدى الطالبات وهي تلوم زميلتها قائلة :-
كم نحن مندهشات ومعجبات من لطف وملاطفة إحسان وإنسانيتها
معها منذ الصباح لماذا قالت هكذا . . هل لتطرها لتسمع مثل هذا القول؟
ومن الغريب أننا منذ ذلك اليوم لم نجتمع معاً . .
سبق وذكرت بعد نكسة حزيران ١٩٦٧ اجتمعنا سيدات السلك
الدبلوماسي العربي مع عدد من سيدات مصر وكنا نعمل بصورة جماعية . إما
بالمستشفى أو بالتهجير وكان ما يقلقني كثيراً الطالبات الشابات الفلسطينيات
اللواتي يدرسن بالقاهرة وقد انقطع المصروف عنهن بسبب الحرب . ويظهر
أن سامي تحدث مع الرئيس عبد الناصر عن قلقي هذا . فإذا بالرئيس الوالد
يصدر أمره بأن تعتبر الطالبات الفلسطينيات بحكم الموفدات المصريات
وتغطي مصاريفهن ريثما يعود المصروف من ذويهن .
قبل سفرنا مغادرين القاهرة حضرت السيدة إنعام عرفات . وباسم
الطالبات الفلسطينيات قلدتني وساماً مع غطاء مائدة اشتركت بتطريزه
الطالبات المقيمت في دار الطالبات الفلسطينيات في الدقي .



انعام عرفات تقلد احسان الدروبي وسام الفتيات الفلسطينيات .

.. الرميل

إِنِّي أَرْجُو رَبِّي

يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية
فادخلي في عبادي وادخلي جنتي

وزارة الخارجية

اتحاد الكتاب العرب

زوجة الفقيه : احسان

ولده : مصباح وليي الدروبي

والدته : سامية

اشقاؤه : سمير ، الدكتور ثابت ، عبد الاله ، الدكتور غازي ، المهندس عزام

الدكتورة الهام

انسباؤه : خالد وعدنان وغسان والبيات والمهندس خلدون الصوفي

وجميع آل الدروبي والسباعي والبيات والصوفي والعافظ

ينعون اليكم بمزيد اللوعة والأسى

فقيه الأمة العربية والفكر العربي

المرحوم

الدكتور سامي الدروبي

الذي توفاه الله يوم الخميس الواقع في ١١ صفر ١٣٩٦ هـ
الموافق ١٢ شباط ١٩٧٦ وسيشيع جثمانه الطاهر من داره
الكائنة في المزة الجديدة (الفيلات الغربية شارع جامع الكوثر
عمارة الشمعلان) في الساعة ١١ من ظهر يوم الجمعة الواقع في
١٢ صفر ١٣٩٦ هـ الموافق ١٣ شباط ١٩٧٦ ويصلى عليه عقب
صلاة الجمعة في مسجد سنان باشا ويوارى مثواه الأخير في مقبرة
باب الصغير .

ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

التشيع بالسيارات

تقبل التعازي في دار الفقيه

عدد قدام ١٧٦٤

اتحاد الجمهوريات ٢٩ ١٥ ٠٠٠٠



٨٥٤٢

السيدة قريظة المرجوم ماسي أندروبي دمشق

أناحر أن تتعلموا ما دى عزائى القلبي فى فقيديك
وفخيد الامة العربية داعية اللة أن بلاعوك الصبر
وأن بعاء قلوبك بالانديان
تحية بعال عبدالناصر

تاريخه ١٤٠٤ ٢١ ٢٠٠٠

اسمه "الشيخون له" باسمي "الدروس" دمشق

بعد من رجاه عمل بالشارح لهذا بعض النسخ الا انهم
 وعرضت ليها تحمل كتابه هذه البيوتيه فراخارا الكثير اذ
 من يتقدم هذه المواء بالمراتبه وسما له من تنبهه
 ومكانه الواو في تاريخنا لا ننسى من واجبا ان نتقدم فيه
 المواء بتدور ما هو حق لنا

١١٢٠

ان تطبقاه هذه منكم وفي اتوب فرمه مستجودتنا ان حاشياكم
 هي واجبا وبشاهدين حقا لقد بين وان حتى نحتس من روحه
 لي هو انذ سياسة التدرس وتيارش انساني نفس بيدي
 الحياه وفانما رجال ماشوا الحياه بالرفه كماها ومن وراشهم
 حرفت بالصور سوانج اتعامهم

حاش ما ذق وجربه هذه غير انذر





١٩٥١

دمشق ١٢٠ ٢/١٤ ١٧٥٥

حكومة

الزرة دمشق الجديدة الأخت الفاضلة احسان الدروبي المحترمة

طلعت بزهد من الأسي والحزن بآ وفاة الصديق العزيز استاذنا الدكتور سامي الدروبي
لقد فقدت الأمة العربية طائلا صلبا في سبيل وحدتها وكرامتها فاصدن في نضاله الى آخر خفقة
من قلبه الكبر . وفقدت الكلمة العربية فيه رائدا من روادها الذين عطوا الكثير في سبيل
إثرائها واطاعة مجدها وانتشارها في العالم واصار يكبحها .
اما من الجزائر فانه لا ولن تنسى كيف جند الروحوم نفسه وطا بطك وطا وجدت تحت
يديه اخذت ثورتها الصلحة التي كان يعتبرها التمييز الأصيل والصادق من طسوح الأمة
العربية وآمالها .
رحم الله العزيز الفقيه الدكتور سامي والهيك وذويه الصبر وجعل ذكراه نبراسا يهتدي
به كل ضائل مخلص من طريق انكسار المعظيمة .

شمار سعدي
سفير الجمهورية الجزائرية
الدمشق فاطمة الشيبية ١٧٥٥

٠٠٠٠٠٠

عيشية رقم ٤١٣ سر ٦٤٨٠
القاهرة ٢٤ ١٢ ٠٠٠٠

أسره المرحوم سامي الدروبي دمشق سوريا

أقد ناضل الفقيد من أجل أمته العربية وكافح المعادىء
والقيم رحم الله الفقيد
وأسكنه فسيح جناته



عبد الحكيم جمال عبد الناصر



عيشي قد ١٢٧ فر ١٤١٩
مدلى مصر ٢٩ ١٧ ٢٣٥٥

السيدة قرينة المرحوم سامى الدروبي دمشق

ارجو ان تتقبلى صادق عزائنا القلبي ومشاركتنا لك
في احزانك لفقد رجل كان يملأ حياتك
وكان في الحياه العربيه كلما شعاع صدق
ونور وايمان ثابت بالمستقبل القربى والوحده العربيه
هدايت ومحمد حسين ميكل

رج قد ١٢٧

بعض ما كتب عن سامي الدروبي بعد رحيله

هذه المجموعة من الذكريات . أضيم إليها ما وصل إليّ مما قيل عن سامي منذ وفاته إلى الآن فإذا ما كتب شيء ما ولم يصلني فإنني أعتذر عن عدم نشره لا عن تقصير مقصود مني معاذ الله . ولكن لعدم إطلاعي على كل ما يكتب ، ولي رجاء من الذين يكتبون عنه في المستقبل أن يرسلوا إليّ ما يكتبونه لينضم إلى أرشيف سامي الذي احتفظ به مع شكري وامتناني .

قال الراوي

مات سامي الدروبي عاش ابداعه .. !

كسقفونية غير مكتملة رحل سامي الدروبي قبل أن ينجز مشروعه الأخير الذي كرس له كل وقته رغم المرض : ترجمة الأثار الكاملة لدوستوفسكي وتولوستوي ..

وفي الحقيقة كان سامي الدروبي مبدعا ومؤلفا أكثر مما كان مترجما لهاتين القمتين الأدبيتين . ذلك أن ترجمة مؤلفات الكتاب العظام تحتاج إلى أكثر من معرفة باللغة فهي تتطلب فضلاً عن اتقان اللغتين تعمقاً في فهم الكاتب المترجم فكراً وروحاً وإلى ذلك كله لا بد لمن يتصدى للقمم الأدبية من ثقافة واسعة . ولقد كان لسامي الدروبي ذلك الفهم وتلك الثقافة .

لعل فقيدنا لم يقدم تحليلاً لروح دوستوفسكي كما فعل ستيفان زفايغ لكنه من خلال ترجمة أعماله وبالتعبير بدقة عن هذا الكاتب الذي انطلق كرصاصة بعد «ذكريات من بيت الموتى» - كما يقول زفايغ - قدمه أفضل تقديم وباخلاص حتى تكاد تحس بنبضات دوستوفسكي على الورق تتدفق كنهز غاضب . ومع أن الدروبي لم يكن ، فيما نعلم ، يملك هذا المزاج الانفصالي الذي كان لدوستوفسكي فإنه استطاع أن يعبر أصدق تعبير عن هذا الكاتب فكراً وروحاً وهي مهمة ليست يسيرة .

سامي الدروبي خسارة للثقافة فتحية له ولتذكر جهوده وابداعه لعلنا نقدره حق التقدير بعد مماته - كما هي العادة - وقد كان علينا أن نفعل ذلك في حياته .. !

«الراوي»

البعث ١٢/٢/١٩٧٦

وفاة المفكر العربي الكبير الدكتور سامي الدروبي

دمشق - سانا - نعى اتحاد الكتاب العرب ووزارة الخارجية أمس المفكر العربي الكبير المرحوم الدكتور سامي الدروبي سفير الجمهورية العربية السورية الذي توفاه الله أمس أثر مغالته لمرض استمر سنوات عديدة لم ينفك خلالها الفقيد الكبير عن مواصلة الانتاج الفكري الكبير والعطاء الدائم إضافة إلى المهام الجسام التي اضطلع بها على الصعيدين القومي والدبلوماسي .

وقد شغل الفقيد الكبير في حياته مهام عديدة فكان استاذاً في جامعة دمشق ومستشاراً ثقافياً ووزيراً للتربية وسفيراً وبدأ الكتابة والانتاج الفكري منذ أوائل السنوات الأربعينات فألف في موضوعات في الفلسفة وعلم النفس وترجم العشرات من أمهات الكتب الفلسفية والفكرية والأدبية التي تعد من ركائز التراث العالمي وقدمها إلى القراء العرب بأسلوب غاية في الدقة والتعبير والبلاغة .

واستمر الفقيد الكبير يؤلف ويكتب وينهض بمهام عمله القومي بالرغم من المرض الذي اشتد عليه طوال السنين العشر الأخيرة .

ان خسارة الفكر العربي عظيمة ب وفاة هذا الكاتب العربي الكبير واتحاد الكتاب العرب إذ يتقدم بأعمق العزاء إلى أسرة الفقيد وإلى الأمة العربية يسأل الله أن يتغمد الفقيد العظيم برحمته ورضوانه وإنا لله وإنا إليه راجعون .

هذا وسيتم تشييع جثمان الفقيد الكبير في الساعة الحادية عشرة من قبل ظهر اليوم من منزله في المزة الجديدة فيلات غربية شارع جامع الكوثر إلى جامع السنانية حيث يصل على جثمانه ثم يوارى الجثمان في مقبرة باب الصغير .

البعث ١٤/٢/١٩٧٦

حديث الصباح صاحب الكنوز الروحية المبدعة

● علي حيدر

مات سامي الدروبي ، وانطفأت جذوة الحياة في عيني الأديب والمفكر والفيلسوف والسياسي الذي حمل منذ أيام الصبا الأولى لواء الثورة ضد الأستعمار والرجعية والتخلف ، ليس في سورية وحدها ، بل على نطاق الوطن العربي كله .

مات الأستاذ الدكتور الذي كنت أحلم يوم كنت طالباً ثانوياً أن أتلمذ له في جامعة دمشق بعد أن قرأت بعض مترجماته الرائعة ، ولكن ذلك لم يتحقق ، فقد أنهى حياته الجامعية وابتدأ حياته الدبلوماسية سفيراً في بلغراد قبل أن أصل إلى الجامعة ، وترك في نفسي لفة التشوق إلى معرفته عن قرب . مات السياسي الذي لم يطرأ على حياته في السياسة حرفة ، بل وطناً ، ولم يتخذ منها سلماً بل فكراً ، فقد تحولت كل الانتصارات الكبرى والصغرى للوطن إلى بهجة تهزه من الأعماق ، كأنها انتصار شخصي له ، وكذلك الهزائم الكبرى والصغرى للوطن . . هزائم شخصية له ، تهز كيانه من الرأس حتى القدم . . وعبء ثقيل على قلبه المتعب ، وهو مع ذلك لم يكن يتحدث في السياسة ، لأن الحوار الوحيد الذي يشفي الغليل في رأيه ، هو حوار النار مع العدو . . أنه السبيل الوحيد لبعث هذه الأمة وتوحيدها وانطلاقها ، ومئات الآلاف من الكلمات (دون افتئات على قيمة الكلمة الصادقة) لا تساوي خطوة واحدة لمقاتل واحد ، لحديثه دوي معزوف ذلك أن التاريخ يصنع ولا يقرأ . . والجغرافية ان لم يرسمها جنود يدافعون عن الحق . . فكل خرائط الرسامين والمساحين تتحول إلى ذكريات لدى عالم مصاب بضعف شديد في الذاكرة .

منذ سنوات ، وفي استراحة مطار دمشق ، التقيته مسافراً إلى مدريد ، وكانت فرصة حققت حلماً ، سألته عن أشياء كثيرة : عن قلبه المطعون الذي قرأت في الصحف أنه سلمه منذ فترة لمبضع جراح ممتاز ، وعن مترجماته التي تجاوزت السبعين كتاباً (منها المؤلفات الكاملة لديستوفيسكس ، وبعض

مؤلفات تولستوي وبوشكين وتورجنيف وليرمونتوف وكورولينكو ، المؤلفات الكاملة للفيلسوف هنري برجسن بعض مؤلفات الفيلسوف والشاعر جان ماري جويو وكروتشه وهيمانس وفرانز فانون ، وعدداً من عيون الأدب الجزائري الحديث الذي استعار الفرنسية لغة ، وفي طليعة هذه الكتب ثلاثية الروائي الجزائري محمد ديب وهي الدار الكبيرة والغول والحريق) ، وأذكر أنني قلت في نفسي يوماً : من حظ المؤلف العظيم أن يقع إنتاجه بين يدي مترجم عظيم كسامي الدروبي الذي ينقل لك الأفكار والأساليب بطريقة تجعلك تتجاوز حاجز اللغة والقومية والجغرافية ، وأذكر أيضاً أنه قال لي : ان علاقتي بديستوفسكي بدأت عندما كنت في الثامنة عشرة ، لأنني شعرت أن بيني وبينه انسبا روحية ووجدت نفسي فيه وصرت أتحرك في عالمه كتحركي في بيتي ، وأعرف شخصه معرفة أصدقاء طالت صحبتي معهم حتى لأكاد أحاورهم همسا في بعض الأحيان ، ولست أتخيل إمكان النهوض بعبء العمل الدبلوماسي والسياسي الثقيل بالهمة والنشاط اللازمين دون اللجوء إلى ديستوفسكي ، مجدداً للنشاط وبعثا للهمة .

وأذكر أيضاً أنه عقد لي مقارنة بين ديستوفسكي ونيتشه ، وذكرني بعبارة نيتشه الشهيرة «ديستوفسكي هو الوحيد الذي علمني شيئاً عن النفس الإنسانية» ، وعندما سألته كيف توفقون بين وداعة الأول وعنف الأخير قال لي : لقد كان نيتشه رقيقاً إلى حد الاغماء عندما رأى حصانا يضرب بقسوة ، ولكن الفرق بينه وبين ديستوفسكي أنه مجد تجاوز الإنسان لنفسه في حين آمن ديستوفسكي باذعان الإنسان لقدره ، والحقيقة التي اكتشفها الاثنان معاً هي أن في الإنسان توقاً إلى تجاوز ذاته ، ويرى ديستوفسكي في هذا ينبوعاً للعذاب والآلام ، أما نيتشه فيرى فيه مصدراً للخلق الابداع .

وقد رأى الراحل الكبير أن تمثل ديستوفسكي يعبر عن عراقه ثقافية وحضارية حتى لو كانت مختلفة تحت ركام السنين ، فهو معاصر دائماً حتى إننا نرى كثيراً من المذاهب الفكرية والتيارات الأدبية المختلفة تنمي نفسها إليها ، وتزعم بنوتها له ، فأراد لأبناء شعبه أن يتمثلوه كما تمثله ، وقضي عشرين عاماً في ترجمته مضطهما بمهام لا تؤذيها أقل من فرقة من الرجال الموهوبين ، فأنقل

ذلك قلبه المطعون ، واستهلك كل ما فيه من نبضات .
رحمك الله أيها المناضل الكبير رحمة تجزيك على ما ضحيت وقدمت
لأبناء شعبك من كنوز روحية مبدعة .

مواقف !

كالأصوات الجميلة والناس الطيبين ، فان عدد الذين يحسنون النطق باللغة العربية قليلون جدا . ومن بين هذا العدد القليل : طه حسين والشيخ محمد رفعت والشيخ عبد الوهاب خلاف وشاعرنا الرقيق فاروق شوشة . . والمرحوم سامي الدروبي . وكان سفيراً لسوريا في مصر . وقد أبكنا جميعاً يوم قدم أوراق اعتماده لجمال عبد الناصر سفيراً لسوريا - بعد الانفصال . عندما قال باكياً أنه ما كان يتصور أن يكون سفيراً لبلده في بلده !

وقد شاهد الناس في مصر سامي الدروبي يتحدث بلغة عربية سليمة قوية جميلة . وكان يومها في مباراة مع الذين يقولون أن العربية الفصحى عاجزة عن الوفاء باحتياجات الناس اليومية . . فأثبت سامي الدروبي ان الفصحى أقوى وأبقى وأشمل . وان عجز اللغة الفصحى عن الوفاء ، ليس عيباً في اللغة ، ولكنه عيب الذين لم يدرسوا هذه اللغة دراسة كاملة . وكان سامي الدروبي قديراً على ذلك . .

عرفت سامي الدروبي زميلاً في قسم الفلسفة . وكان رقيقاً مليء بالصوت جميل اللفظات والمهمسات . . وكان متمكناً من الفرنسية أيضاً . وكانت لنا أحلام من بينها أن نقدم للغة العربية «فلسفة الجمال» أي فلسفة تذوق الجمال في الفن والأدب والحياة . . واشترك سامي الدروبي مع اثنين من الزملاء السوريين هما عبد الله عبد الدايم وبديع الكسّم في ترجمة دراسات في فلسفة الجمال . .

ولكن أعظم أعمال سامي الدروبي ، يرحمه الله ، ترجمته لاروع روايات الأديب الروسي دستوفسكي . فلم تعرف اللغة العربية ترجمة كاملة لمثل هذا الروائي العظيم . . إلا بقلم الأديب سامي الدروبي . وهذا هو العمل الذي سوف يدخل به سامي الدروبي عالم الأدب وتاريخ نقل الدماء الزكية إلى الفكر العربي الحديث . .

أنت لا تعرف هذا الرجل الراحل ، ولكنه صورة جميلة للاعتراز بالعروبة وباللغة العربية .

لقدمات سامي الدروبي ، الفيلسوف ، الأديب ، السفير ، أحد
عشاق لغتنا الجميلة العربية الفصحى .

جريدة

أخبار اليوم

١٩٧٦/٢/١٦

بقلم : هاني الراهب

كان رد الفعل الأول هو : كيف سنتعرف على تولستوي باللغة العربية . اذن ؟ لا شك أن في الفكرة شيئاً من الأنانية . فالفقيد ، قبل كل شيء ، انسان يحزن عليه لذاته . كان انساناً فعلاً بالمعنى البسيط والعميق للكلمة . بالطبع . ان من نافل القول الحديث عن سجاياه ، وخلقها الأصيل . فهو واحد من ذينك الاثنين اللذين قال فيهما الشاعر الجاهلي : وكلاهما قد عاش عيشة ماجد وجنى العلاء ، لو أن شيئاً ينفع

والذين يعرفونه يذكرون جيداً المعاني النبيلة والجميلة التي كونت شخصيته وحياته . لكن سامي الدروبي كان أكثر من قطرة صافية عذبة وشخصية غنية مشعة ، لقد عرف كيف يحافظ على ذلك كله ، في عصر شرس و حرباوي . ففي بلاد مثل سورية ، ومنذ نهاية الحرب العالمية الثانية ، حدث من التغيير كما منوعاً ما لم يحدث خلال قرون عديدة سلفت . لقد توارت قيم كانت في حكم المنذرثة ، وحلت محلها قيم جديدة ما لبثت أن اندثرت هي الأخرى ، لتخلفها قيم أكثر جدة صارت الآن في طور النزاع . وتبدلت علاقات متخلفة ، وكانت الاعمار قصيرة في معظم الميادين والأفاق ، في الأدب والفكر والسياسة والاجتماع . فما أن يلمع نجم ويستبشر به الناس حتى يتكشف بعد حين قليل عن نيزك يعبر السماء الشاسعة الى لحظة انطفاء وشيكة .

لكن سامي الدروبي لم ينطفئ ، لقد ظل خلال ربع القرن الأخير يضيء في مداره الذي حدده لنفسه . يضيء باستمرار ضوءاً متزناً لاهو بالباهر فتعشى منه العيون ، ولاهو بالضئيل الهزيل فتتجاوزه العتمة الى الأحداث . انه واحد ممن يمكن تسميتهم حقاً بالرعييل الأول ، الذين توزعوا على مختلف النشاطات الثقافية والفكرية بعيد الاستقلال . لقد كانوا ، وهو منهم ،

مثقفين ثقافة عالية وعميقة ثقافة اتجهت بهم منذ البداية الى المناجح الأساسية الاصيلة فهلوا منها ووصلوا الى مكان انبثاقها الأولية . لذلك كان حديثهم عنها ، وخوضهم فيها ، حديث العارف حقاً والمتوجه ببوصلة العقل والأصالة . فهم لم يقرأوا عن ، وانما قرأوا . ولم يلتقطوا أفكاراً تصلح للاستشهاد في نقاش عصبي ، وانما تمسوا بأنظمة فكرية . وقد أدركوا منذ بداية نضجهم الثقافي ضخامة الحاجة الى المعرفة ، وضرورة البدء بها فوراً وبطريقة صحية مجدية ، فمنهم من ساهم بانتاجه ، ومعظمهم انصرف الى تكوين مناخ ثقافي كان حجر الأساس في أغلب ما ظهر بعدئذ من تيارات فكرية محلية وانتاج ثقافي محلي . واذا لم يبدعوا الشيء الكثير ، فقد كان لهم الفضل التاريخي في أنهم وضعوا الخميرة في العقول ، وكانت خميرة فعالة . وسامي الدروبي واحد من هؤلاء . انه لم يدع ، ولم يتمدد الى أكثر مما أهلته مقدراته ، ولم يعتقد يوماً أن هذه الثقافة العالية لن تتاح الا له ، وبالتالي فهو المرجع الذي لا غنى عنه . على العكس ، لقد وضع مقدراته وثقافته في متناول الآخرين ، وخاصة الأجيال التي تلت جيله وطعمت من مائدته .

ورغم أن أجيالاً قد تلت جيله ، فقد ظل محافظاً على اتصاله بعصره . ليس فقط عن طريق نشاطه الثقافي المتواصل ، وانما أيضاً بادراكه المرفه للقيم التي بلورتها الحضارة الحديثة . ويحكى عنه أنه كان دائم الانضباط بمواعيده ، بالغ التقيد بها . وكان يتعامل مع الزمن كقيمة حضارية ومادية ، وكضابط أولي للعلاقات والانتاج والتوجه الشخصي . وتلك مزية نادرة في العالم الثالث ، حتى بين المثقفين . وهي دلالة على تفاعل أصيل مع معطيات العصر وعلى تحقق صحي لمعاني الحدائث .

وتتجلى قيمة الزمن عند سامي الدروبي في هذا العطاء المستمر ، الذي ما كان ليخرج الى النور لو لم تقترن اللحظة الراهنة في ذهن هذا الرجل الكبير بقيمة الانتاج ، ان الحديث عن أهمية الزمن حديث سهل وميسور ، فقد باتت الحقيقة ناصعة كعين الشمس . لكن ربط الادراك بالفعالية هو المهم . وبقينا لو أن الممارسة العملية كانت ديدن الناس ، والمثقفين خاصة ، مثلما هو الوعي النظري ديدنهم ، لتقلص حجم التخلف في حياتنا وخفت كثافته ،

وليس المقصود بالممارسة مجرد مواقف مبدئية ، والتقيدها . ان الممارسة بوجيز القول ، هي الانتاج : به تتحول القيم الى عطاء وحقائق مادية ، وبه تتمحن وتقيم أيضاً .

وسامي الدروبي نجم اتخذ هذا المسار . لان اسمه اقترن في أذهاننا بالمؤلفات الكاملة لدوستوفسكي وتولستوي ، كان رد الفعل الأولي ما كان . لان اسمه اقترن بالعطاء . وان نظرة سريعة الى الترجمات وشروطها في حياتنا الثقافية ، توضح لنا أهمية هذا الجانب من عطاء الفقيه . لقد بذلت جهود متكررة ومتعددة لجعل الترجمة عملية مبرجة وانتقائية وذات وجهة نظر . وكانت ثمة محاولات جادة وقيمة لتقديم قطاعات كاملة من الثقافات العالمية ، بحيث يتمكن القارئ العربي من الاحاطة بما يريد ويحتاج احاطة شمولية الى درجة كافية ، وليس مبتورة أو منقوصة . لكن شيئاً من هذا لم ينجح النجاج المطلوب . وبقيت الصفة الغالبة لعملية الترجمة هي العشوائية التي يوجهها اما المزاج واما التجارة .

الآن ، بوسع الكثيرين منا ان يغتبطوا لأن مكتباتهم تضم الآثار الكاملة لدوستوفسكي ، هذا الفنان الأخلد . ثمانية عشر مجلداً ، هي عالم كامل قائم بذاته ، ودوستوفسكي يجب أن يقرأ أنتاجه مرة كل عشر سنوات . لقد صار هذا ممكناً بفضل سامي الدروبي : بفضل إيمانه ودأبه وجهه . وهو اذ فرغ من العملاق الأول ، بدأ بالعملاق الثاني . لم يتعذر بالمرض ، فينصرف الى حياة الدعة والكسل التي ينصرف اليها آخرون دونما مرض . بل جالد ضعف قلبه الوحيد : الضعف العضوي ، واستمر يعطي حتى النهاية .

أمثال هذا الرجل لا ينتهون بالطبع ، انهم شמוש صغيرة خالدة ، ضيؤها المعرفة والمحبة ، ونحن نراها كل يوم بعين الاجلال والامتنان والعرفان .

سامي الدروبي
أنشودة الجمال
والصبر والعذاب

بقلم : رجاء النقاش

أخيراً مات سامي الدروبي ، العالم والأديب والفنان والانسان العظيم ، مات سامي بعد رحلة طويلة من العذاب مع مرض القلب ، حيث عاش وهو يناضل ضد هذا المرض القاسي عشر سنوات متصلة ، كان فيها يتنقل بين الأطباء في مختلف أنحاء الدنيا ، وقد أجرى الأطباء الأمريكيان له جراحة في القلب ويصفها بنفسه في أحد أحاديثه الصحفية فقال «انهم قطعوا ذراعي اليمنى وادخلوا فيها أجهزة لاختبار القلب ووجدوا عند الشريان التاجي من القلب شريانين لا يعملان ولكن سامي الدروبي ، على كثرة ما عرف من أطباء العالم كان يمنح ثقته المطلقة للطبيب المصري الكبير حمدي السيد ، وكان ذلك مظهراً من مظاهر وفاء سامي الدروبي البالغ لأصدقائه ، وكان مظهراً من مظاهر ثقته العميقة بالانسان العربي والعبقريّة العربية فلم يكن سامي، في يوم من الأيام من الذين يتصرفون تحت تأثير «عقدة الخواجة» المشهورة الشائعة وخاصة عند مثله ممن يملكون الامكانيات لعرض أنفسهم على أعظم أطباء الدنيا ، وكانت ثقة سامي الدروبي بالدكتور حمدي السيد فوق ذلك كله تجسيدا حيا لمحبة سامي لمصر ، بل وعشقه الصوفي لها ، كان سامي الدروبي يحب مصر بعقله وقلبه ، وكان ينتهز أي فرصة لزيارة مصر وللعمل فيها ، وقد قضى في مصر حوالي خمس عشرة سنة من حياته بين الدراسة والعمل والزيارة .

لقد تعلم سامي في القاهرة ، فدخل كلية الآداب قسم الفلسفة سنة ١٩٤٢ وتخرج فيها سنة ١٩٤٦ . ونال الدكتوراه بعد ذلك من القاهرة أيضاً . وعندما قامت الوحدة المصرية السورية سنة ١٩٥٨ جاء الى مصر وعمل بها مستشاراً ثقافياً في وزارة الثقافة المركزية . وعندما وقع الانفصال سنة ١٩٦١ ، عاد الى سوريا وظل يناضل ضد الانفصاليين حتى سقط حكم الانفصال سنة ١٩٦٣ ، وقامت حكومة جديدة كان فيها سامي الدروبي

وزيراً للتربية ، ولكنه لم يصبر على البعد عن مصر ، فترك الوزارة وانتهز أول فرصة ليجيء الى مصر مندوباً لسوريا في الجامعة العربية ، ثم كان أول سفير لسوريا في مصر بعد الانفصال ، وقد ألقى أمام الزعيم الراحل جمال عبد الناصر كلمة قصيرة بعد تقديم أوراق اعتماده ، وكان ذلك في ابريل سنة ١٩٦٧ ، وقد ألقى سامي الدروبي كلمته تلك وهو يبكي ، وكان مما قاله في هذه الكلمة الرائعة « . . اذا كان يسعدني ويشرفني أن أقف أمامكم ، مستشرفاً معاني الرجولة والبطولة ، فانه ليحز في نفسي أن تكون وقفتي هذه كوقفة أجنبي ، كأنني ما كنت في يوم مجيد من أيام الشموخ مواطناً في جمهورية أنت رئيسها ، الى أن استطاع الاستعمار متحالفاً مع الرجعية ان يفصم عرى الوحدة الرائدة في صباح كالح من أصباح خريف حزين يقال له ٢٨ ايلول ، صباح هو في تاريخ أمتنا لطحخة ستمحي » .

والذين لا يعرفون سامي الدروبي لا يتصورون معنى الحزن العميق الذي كان يسيطر على قلبه ، عندما شاءت الظروف له أن يكون أول سفير لسوريا في مصر بعد الانفصال ، فسامي الدروبي كان مؤمناً بالوحدة العربية ايماناً شديداً العمق والصدق ، وكانت الوحدة العربية هي الأمل الأكبر في خلق حضارة عربية لها قيمة ، وفي خلق انسان عربي جديد قادر على مواجهة ظروف العصر وتحدياته الصعبة . وقد كان ايمان سامي الدروبي بمصر ووجه لها نابعاً من نفس النبع الصافي ، نبع ايمانه بالوحدة العربية . فقد كان مدركاً أشد الادراك أنه لا وحدة بدون مصر ، وان مصر هي الأساس في أي حركة لها قيمة في الوطن العربي كله .

كان مدركاً أنه لا عروبة بدون مصر .

ولكن آراء سامي الدروبي النظرية في في الوحدة العربية وفي دور مصر لم تكن مجرد آراء عقلية باردة ، بل لقد تحولت هذه الآراء الى عاطفة عميقة في قلبه ، انعكست في محبته العميقة لمصر ، وسعادته الغامرة عندما يكون في القاهرة عاملاً فيها أو زائراً لها ، بل لقد انعكست هذه العاطفة الكبيرة نحو مصر في اختياره لأصدقائه ، فقد كان أكثر أصدقائه وأهمهم وأقربهم الى نفسه من مصر .

وإذا أردنا ان نرسم صورة عامة للدور السياسي الذي قام به سامي الدروبي فاننا نجد هذا الدور في تبشيره بالوحدة العربية تبشيراً صادقاً أميناً ، وذلك دون الدخول في أي خلافات سياسية من أي نوع ، لقد حرص سامي طيلة حياته على أن يعمل في خدمة «القضية الأصلية» دون أن يفرق في الفروع والتفصيلات ولحظات التوقف والاختلاف ، وهي اللحظات التي تملئها السياسة اليومية العملية ، والحقيقة ان سامي الدروبي بهذا المعنى يعتبر علماً من اعلام النضال العربي المعاصر ، من خلال عمله كوزير وسفير ومفكر وأديب .

وعندما نتساءل بعد ذلك عن الدور الثقافي لسامي الدروبي فلا بد أن نعرف شيئاً عن نظريته بالنسبة للواقع العربي المعاصر ، لقد كان يؤمن بأن الحضارة العربية في دور التكوين ، وهي بحاجة ماسة الى الترجمة التي تقوم على الدقة والأمانة وحسن الاختيار ، ولذلك صرف الجزء الأكبر من حياته في الترجمة ، وبدأ عمله بترجمة أعمال الفيلسوف الفرنسي الكبير «برجسون» وساعده الدكتور طه حسين في نشر هذه الترجمات عندما كان يرأس تحرير مجلة الكاتب المصري ، ويشرف على مطبوعاتها . وترجم سامي الدروبي بعد ذلك عديداً من الأعمال الفنية والفكرية ، كان أهمها رواية «جسر على نهر درينا» وهي الرواية الرائعة التي قدمت للعالم العربي كاتباً عظيماً لم نكن نعرف عنه شيئاً قبل ترجمة سامي الدروبي لروايته ، هذا الكاتب هو الروائي اليوغسلافي «ايفو اندريتش» ثم ترجم سامي مع صديقه الدكتور جمال الأتاسي كتاباً خطيراً آخر هو «معذبو الأرض» للكاتب والفيلسوف المناضل «فيرانز فانون» الذي وقف إلى جانب ثورة الجزائر ، وعاش في قلبها ، واستخلص منها أعظم النتائج والخبرات في كتابه الهام الذي ساهم سامي في ترجمته كتاب «معذبو الأرض» وترجم سامي أيضاً عن الفرنسية ثلاثية الكاتب الجزائري الكبير محمد ديب : البيت والحريق ، والنول .

على أن أهم انجاز ثقافي لسامي الدروبي هو ترجمته للأعمال الكاملة للكاتب الروسي الكبير دستوفسكي . . ان دستوفسكي باجماع النقاد العالمين - تقريباً - هو أعظم كاتب روائي في تاريخ الأدب العالمي كله . ومن

هنا حرص سامي الدروبي على ترجمته كاملاً وتقديمه للمكتبة العربية . وهذه الأعمال الكاملة تنشر الآن في مصر ، وقد أتمها سامي قبل وفاته ، وبلغت حوالي ثلاثين مجلداً كبيراً وقد حظيت هذه الترجمة باهتمام بالغ حتى في روسيا نفسها ، وأخذ الروس هذه الترجمة ووضعوها في متحف دستوفسكي في موسكو ، واعتبروها من أعظم الانجازات التي تمت في أنحاء العالم بالنسبة لأدب دستوفسكي .

وفي اعتقادي ان الحياة الأدبية العربية لم تدرك بعد أهمية ترجمة سامي الدروبي لأعمال دستوفسكي ، وسوف تمر سنوات أخرى قبل ان نحس بأثر هذه الترجمة على أدبنا ، ولست أشك في أن الجيل الأدبي الجديد سوف يستفيد فائدة بالغة الخطورة من ترجمات دستوفسكي وسوف تترك هذه الأعمال أثرها العميق عن الأدب العربي في الجيل القادم . . . صحيح أن السينما العربية قد سارعت الى الاستفادة من هذه الأعمال ، فظهرت رواية «الأخوة الأعداء» على الشاشة العربية - وسوف تظهر بعض الأفلام الأخرى مستمدة من هذه الروايات . . ولكنني أعتقد ان الأثر الأكبر لم يظهر بعد في أدبنا وفننا السينمائي والمسرحي على صورته الحقيقية ، وما زالت أعمال دستوفسكي التي ترجمها سامي الدروبي في «معدة» الحياة الأدبية العربية لم يتم هضمها بعد ، ويوم يتم هذا الهضم فانها سوف تترك أثراً بالغ العمق على الثقافة العربية المعاصرة .

لقد ترجم سامي أعمال دستوفسكي عن الفرنسية ، وكان سامي يتقن الفرنسية ويتقن العربية ، ولذلك جاءت ترجمته رائعة وفذة . على أن هناك جوانب أخرى من الابداع الفني والانتاج الأدبي عند سامي لم تنشر حتى الآن . فانا أعلم أنه كان يكتب الشعر وأنه يملك ديواناً كاملاً كان يقول أنه سوف يتركه لأولاده ينشرونه بعد وفاته . وله كتاب آخر لم ينشر هو «أغانى السكارى على ضفاف نهر العاصي» يبدو أنه نوع من الذكريات التي كتبها سامي الدروبي عن حياته في «حمص» التي تقع على نهر العاصي .

هذه بعض الخطوط العامة السريعة عن حياة سامي الدروبي كسياسي

ومثقف وأديب . ولكن ماذا عن الانسان ؟ لا يمكن أن نكتب عن سامي الدروبي بعقل هادئ فقد كان سامي الدروبي إنساناً رائعاً يثير الحب والاعجاب حوله في كل مكان . وكان هو نفسه شعلة من الذكاء والعاطفة معاً . وفي رأبي انه كان نموذجاً فذاً للانسان «المتحضر» في مجتمعنا العربي المعاصر . بل كان مثلاً أعلى لهذا الانسان المتحضر . كان مثقفاً وحريصاً أشد الحرص على تنمية ثقافته . كان مؤمناً بأن تكون له رسالة وله نفع في المجتمع الذي يعيش فيه . كان محباً للناس حريصاً على خدمتهم بأقصى ما يستطيع بل بأكثر مما يستطيع . وله في ذلك مواقف عظيمة سوف تكشف عنها الأيام وتكتبها بحروف من النور . وكان فوق ذلك كله من أكثر من رأيت في حياتي صبراً على المصائب التي واجهته بقسوة وأهمها جميعاً مصيبة وفاة ابنته الرائعة «سلمى» في الثانية عشرة من عمرها في حادث مؤلم فقد اختنقت بالغاز في حمام منزل الأسرة بدمشق . أما مصيبته الثانية فقد كانت مرض القلب الذي ظل يعاني منه سنوات طويلة ، ومع ذلك صبر سامي الدروبي أجمل الصبر في محنته ، وساعدته في ذلك زوجة عظيمة هي السيدة «احسان البيات» أو «احسان الدروبي» كما كان يناديها كل المحبين والأصدقاء ، لم يتوق سامي الدروبي أبداً ، لم يغرق في الحزن . كان يتحدى الموت بالعمل . وكان شديد الاصرار على أن تكون حياته مثمرة ومفيدة حتى اللحظة الأخيرة . والحقيقة أن سامي الدروبي انتصر في معركته لقد ظل يعمل وقلبه ينزف قطرة قطرة حتى مات .

وداعاً يا سامي يا أنشودة الجمال والصبر والعذاب . كم كنت قوياً ورائعاً يا أبا سلمى يا أبا ليلي . . يا أبا مصباح . . كم كنت جميلاً ونبيلاً في حياتك وثقافتك وسلوكك مع الدنيا والناس . كم كان كل شيء فيك نقياً وصافياً ومثيراً للحب والاعجاب . ومهما كانت قسوة الموت فسوف تبقى يا سامي على مر الأيام مثلاً أعلى لكل ما هو حقيقي وجميل ونبيل في أرضنا العربية .

فقد الأدب ولغة الضاد

سامي الدروبي

نصر الدين البهرة

في مقدمة كتاب «مسائل فلسفة الفن المعاصرة» للفيلسوف الفرنسي جان ماري غويو ، كتب الدكتور سامي الدروبي ، يوم ترجمه عام ١٩٤٨ :

«ان الفكر الانساني أشبه بالسنونو : لم تهباً جناحاه لطيران يمس الأرض ، بل لانتفاضة جريئة عالية في الفضاء الحر ، وانما المهم اذن أن ينهض . وهذا شاق ولا ريب إلا أن رنوه الأبدي الى المثل الاعلى لا يني يضع تحت جناحيه هواء .

وسيزداد هذا التطلع الى المثل الأعلى قوة» . .

ولكن هذا السنونو الذي اعتاد التحليق في الأعالي . . هبط دفعة واحدة الى الأرض . بلى . . لقد كان أشبه بسنونو أدمن الطيران ، والانتقال ، على أجنحة الفكر والأدب ، من بلد إلى بلد . . لا يعرف موسماً للهجرة ، أو موسماً للعودة . كانت أيامه جميعاً مواسم للسفر والارتحال في ذلك الفضاء المسحور . ولكنه كان وثيق الصلة بالأرض ، لم تكن مسألته أن يمسه مساً رقيقاً ليعاود التحليق من ثم . كانت الأرض منطلقه وقاعدته ، فان فيها سربه ، والى ربوع أهلها ، نهاية مطاف الطموح .

وعلى الرغم من أن الهواء كان ما يزال تحت جناحيه ، فلقد هبط دفعة واحدة الى الأرض . . . توقف القلب الكبير ، وغاب عنا الى الأبد الدكتور سامي الدروبي .

كنا نعرف منذ عدة سنوات أن مرض العصر قد أخذ يضرب صدره بقوة والحاح . فقعد أكثر من مرة . وترك الكثيرين من زملائه وقرائه في مختلف أرجاء الوطن العربي . يتابعون أنباء الأزمة بلهفة وخوف وقلق . ومع أنه كان يعود اليها ، فقد كنا ندرك أن المرض ترك آثار بصماته واضحة عليه . . . وها هو ذا يتمكن منه أخيراً في وقت نحن فيه أحوج ما نكون اليه .

بلى . . . لقد ترك الدكتور سامي الدروبي وراءه تراثاً ضخماً . .

مدرسة كاملة . منهجاً في الفكر والأدب غاية في الوضوح والأصالة . ولكنه هو نفسه كان يرجو لنا ولنفسه أكثر من ذلك بكثير ، ذاك أن رنوه الى المثل الأعلى ، لم يكن لينقطع أبداً .

الاما أكثر ما ينتظر النفوس الكبيرة من مهمات جسام . وما أقصر العمر عن أن ينهض لادائها جميعاً . . .

ان أبناء جيلنا الذين فتحوا أبصارهم قبيل الحرب العالمية الثانية ، وأخذوا يملؤون بصائرهم بعدها ، سيظلون يذكرون ، ومعهم الأجيال الصاعدة ، بمزيد من الفخار والشكر ما قدمه الفقيد الكبير الدكتور درويبي من أعمال جليلة كانت مداميك راسخة في بناء الفكر العربي الحديث . ولئن خص الترجمة بجهده الضخم وعمله اللؤوب المتواصل الرائع ، فحسبه أنه جعل منها علماً وفناً في آن واحد كان من نتيجتها أنه مكن الألوف من القراء في الوطن الكبير . ممن لا يملكون القدرة على قراءة الأمهات الادبية العالمية باللغات الأجنبية . أن يقرؤوها باللغة العربية دون أن يفوتهم منها شيء ، وبالروح نفسها التي يقبل عليها القارئون باللغات الأجنبية .

كان أول عهدي بقراءة الدكتور درويبي مع كتاب «مسائل فلسفة الفن المعاصرة» وقرأت هذا الكتاب أكثر من مرة بمتعة لا تحمد . وخلال ذلك عرفت الكثير من خفايا الترجمة . وكيف يمكن أن يثبت المترجم في الصفحات ما يكفي أن يعوض القارئ حقاً عن متعة القراءة المباشرة باللغة الأصلية .

ثم قرأت ترجمته رواية بوشكين ، أمير شعراء روسيا : «ابنة الضابط» وتابعت بعدئذ ترجمته ثلاثية الكاتب الجزائري الكبير محمد ديب ، حسناً ، ان الفقيد الكبير رد للكاتب الذي حرمه الاستعمار امكان الكتابة بالعربية ، ما أراد أن يكتبه لو أنه امتلك ناصية البيان العربي .

نحن لم نقرأ في الدار الكبيرة ، والغول ، والحريق ، وهي عناوين ثلاثية محمد ديب عملاً مترجماً عن الفرنسية ، فقد خيل إلينا أننا نقرأ عملاً عربياً من الجزائر كتب أصلاً بلغة الضاد . وهذا في الواقع اضافة على علاقته بأهمية الدكتور درويبي كترجمان كبير ، متصل اتصالاً كبيراً ، بالبعد القومي في بنيانه الفكري .

ان الدكتور دروبي لم يختار ثلاثة محمد ديب ، للترجمة عبثاً . فقد كانت امامه باستمرار مئات الأعمال الجليلة الجديرة بالترجمة . . . فلماذا خص هذه الرواية بالذات . . . باختياره ، ولماذا أنفق عليها كل هذا الجهد ؟ لعله كان يود أن يسمع من يقول له : هذه بضاعتنا رددتها الينا .

ان من أعسر الأمور على قارئ الثلاثية ، ان يتصور على نحو ما أنها عمل ترجم . لقد أعادها الينا الأديب الراحل ، وقد برز فيها على نحو مدهش جانبها : الاجتماعي والقومي . فأحسنا ونحن نتذكر أن محمد ديب كتبها أيام الاحتلال الفرنسي للجزائر ان كل حرف فيها ، لا يؤكد فحسب عروبة الجزائر ، بل . . . وقبل كل شيء انها جزء لا يتجزأ من الوطن الكبير . كان الدكتور دروبي ، وهو مترجم محرص حرصاً خاصاً على أمانة النقل من لغة الى لغة ، ولكن ذلك ، لم يجعل الترجمة بعد اذ تخرج من بين يديه أشبه بقطعة صخر صلبة ، قطعة واحدة عميرة المضم ، كما يصنع بعض الترجمة ، بل كان يدخلها في صميم البيان العربي وصلبه ، ذلك أنه كان يمسك جيداً بناصيتي اللغتين معاً ، ولم يكن انشغاله بأمانة النقل الى العربية ، بأقل من انشغاله الى درجة المهم ، باعطائها صيغتها العربية الفصحى ، وحين أقول الفصحى ، فأنني لأعني ما يصنعه بعض الترجمة ، او ما يمكن أن يتبادر الى الذهن أحياناً ، من كلمات وعبارات مقعرة فاقدة الروح ، وإنما أعني الفصحى الحافلة بالحياة والحركة والحس والذوق ، الفصحى الجميلة . . المعاصرة .

وكان الدكتور دروبي خلال ذلك يصرف قسماً من فكره وجهده واهتمامه ، بايجاد البديل العربي المناسب ، لتلك الكلمة الأجنبية «الفرنسية الى العربية أصلاً ما يوازيها . وما أزال أذكر ترجمته لكلمة «نوينس» الفرنسية الى العربية ، لقد اشتقتها ونحتها ، فاذا هي تصبح : «لونية» . وبالطبع فلست هنا في مجال الحصر . . . ومن شاء فليرجع الى كتبه وما أكثر الأمثلة المثبوتة فيها . . . ثم ماذا بعد ؟

ما عسانا أن نقول . في المهمة الكبرى التي نذر نفسه لها حين انصرف الى ترجمة الأعمال الكاملة للكاتبين العظيمين : ثيودور دوستوفسكي ، وليو

تولستوي ؟

... أجل أن خسارة الفكر العربي والأدب العربي ، بالغة الجسامة

برحيل الدكتور سامي الدروبي .

سنظل نذكره ، ستذكره الأجيال العربية الطالعة سنوات طويلة ،

ولقد يكون في ذلك ما يغريه هو ، بل لعله اختار هو نفسه هذه الطريق الى

الخلود ، أما نحن تلاميذه وعارفيه عن قريب ، فلاشيء يعزينا عن فقده ،

فوداعاً للفقيد الكبير . وسلاماً على الدكتور سامي الدروبي ، الابن البار

لأدب العرب ولغة الضاد .

وقائع حفلى تأبين فقيده العروبة والفكر

الدكتور سامي الدروبي

أقام إتحاد الكتاب العرب مساء ٢٧ - ٣ - ١٩٧٦ حفلاً تأبينياً على مدرج جامعة دمشق لفقيه العروبة والفكر الدكتور سامي الدروبي بمناسبة مرور أربعين يوماً على وفاته . .

وقد حضر الحفل ممثل السيد رئيس الجمهورية اللواء زهير غزال والأستاذ محمود الأيوبي رئيس مجلس الوزراء والأستاذ محمد حيدر نائب رئيس الوزراء للشؤون الاقتصادية ، والأستاذ جورج صدقني عضو القيادتين القومية والقطرية رئيس مكتب الثقافة والدراسات والاعداد الحزبي ، والسيد العماد الركن مصطفى طلاس نائب القائد العام للجيش والقوات المسلحة وزير الدفاع وعدد من الرفاق أعضاء القيادتين القومية والقطرية ، ونجلا الزعيم الراحل جمال عبد الناصر عبد الحكيم وهدي وبعض السادة الوزراء ، وآل الفقيه كما حضر الحفل السيد رئيس وأعضاء المكتب التنفيذي لاتحاد الكتاب العرب ، وعدد من أعضاء السلك الدبلوماسي العربي والأجنبي ، وحشد كبير من رجال الفكر والثقافة والأدب .

وقد استهل الحفل بتلاوة من آي الذكر الحكيم ، ثم وقف الحضور دقيقة صمت لإجلالاً لروح الفقيه وتُنشر «الموقف الأدبي» فيما يلي نصوص الكلمات التي ألقيت في هذا الحفل التأييني الكبير .
كلمة

الأستاذ حافظ الجمالي
رئيس اتحاد الكتاب العرب

سامي الدروبي والثقافة

إن من أصعب الأشياء أن يتحدث انسان مثلي عن سامي الدروبي .
فلقد اعتبرت دوماً وأظن أنه اعتبر هو أيضاً ، أن حياته جزء من حياتي ،
وموته جزء من موتي . ولا شك أن العكس صحيح أيضاً ولقد تمنيت أن يقول
هو رثائي ، بدلاً من أن أقول أنا رثاءه ، لا لأنه أصغر في العمر ، وأكثر
عطاءً فحسب ، بل لأنني أظن أن كل كلمة من كلماته ، سيحتضنها
التراث ، وتحتضنها الكتب ، وتكون قطعة من البيان الساحر .

وكيف لا يكون صعباً أن أتحدث عن سامي . لقد عشنا فترة طويلة من
الزمن ، بدأت منذ بواكير العمر ، وبدأنا معاً أعمال الترجمة . في جملة كتب
رأيناها مفيدة حقاً . كان ذلك في أوائل الأربعينات . وأشهد أن الفصل
الأول الذي ترجمه - وكان أول ما ترجم - تميّز مباشرة بالأسلوب العربي
الشيقي ، والوضوح الشفاف ، والبعد من كل ما يُذكر بالترجمة .

وأقول : لقد جمعنا الحياة منذ بواكير العمر . ولكن علاقة القرابة ،
والعمل ، والزمالة في المهنة ، في المدارس الثانوية ، ثم الزمالة مدة طويلة في
فرنسا وفي كلية التربية ، كل ذلك يجعلني أشعر دوماً أنني وأياه شخص
واحد ، لا شخصان ، وروح واحدة ، لا روحان .

وكذلك جمعنا زمالة من أجل العقيدة الواحدة ، وكانت أفراحنا
وأتراحنا متصلة بهذه العقيدة نفسها . تنتصر فنفرح معاً ، وتنتكس ، فنخزن
معاً . فإذا كان هناك سجن فإن السجن سيجمعنا معاً ، هو أيضاً ، وستنام
على حصير واحدة ، قلما نفرق لا في يقظة ولا في نوم .

تلك هي الصلات التي تجمعنا . فهل من الغريب أن يشق عليّ أن
أتحدث عن «أنائي» الآخر ، أي عن صورة أخرى لنفسي ، أجدها ماثلة دوماً
فيها ، بعد أن ووريت في التراب ، وقبرها الموت ؟

* * *

وأظن أنه ليس من العدل أن يقاس الانسان بمعايير الكمال المطلق . إذ أن هذا المعيار ، هو معيار الآلهة ، لا معيار للناس . ومنذ زمن طويل ، لم تعد الامهات تلد الانسان الكامل .

ولهذا فإن الناس لا يقاسون بعدد هفواتهم ، بل بالنسبة القائمة بين فضائلهم وهفواتهم ، ولا سيما فضيلة العطاء ، والقبض من الذات على الآخرين ، وتقديم خيراً ما في هذه الذات ، للآخرين . ومن هذه الناحية ، نستطيع بسهولة أن نضع سامي الدروبي في منزلة عالية بين الناس .

ولهذا فاني سأحدث عن جوانب أساسية في حياة سامي الدروبي . وكل حياة متعددة الجوانب . وفي وسع كل منا أن يرى للآخر صورة ما ، يعرفه بها ، إلا أن الجوانب التي أتناولها ، قد تكون أعرق الجوانب ، وأهمها في تلك الحياة الغنية التي عاشها سامي .

وأول هذه الجوانب ، وعي سامي للمعادلة الاجتماعية التي كان يعيشها ويشدها في عصره . ولم تكن هذه المعادلة جديدة في التاريخ . فمنذ ابن تيمية ، في القرن الرابع عشر ، ومحمد عبد الوهاب زعيم الوهابيين الذي تأثر بابن تيمية ، ثم جمال الدين الأفغاني ، والشيخ محمد عبده ، وعبد الرحمن الكواكبي . كانت المعادلة واحدة الحدود ، واحدة المجاهيل .

وتتجلى هذه المعادلة في عدة أسئلة أو تحديات يطرحها المجتمع على أبنائه . فالمجتمع متخلف ، ولا بد من حل لمشكلة التخلف ، والمجتمع فقير ولا بد من حل لمشكلة الفقر ، والمجتمع متفكك ، ولا بد من حل لمشكلة الظلم . وأخيراً فإن الانسان مستبعد من الداخل والخارج . ولا بد من حل لمشكلة الاستبعاد .

وكان جواب سامي عن هذا كله ، وكان الحل الذي ارتضاه ، هو انتساباته العقائدية ، هذه الانتسابات التي أصبحت تتردد الآن على كل شفة ولسان ، أي الوحدة ، والحرية ، والاشتراكية .

وكان سامي في ذلك كله ، واحداً من جيل كامل آمن بهذه المبادئ ، كما ستؤمن بها الأجيال التالية ، تبعاً ، حتى تتحقق ، أو يتحقق منها ما يمكن أن يتحقق .

ولكن سامي ، كالكثير من رفاق نضاله ، ما لبث أن عرف أن المبادئ بذاتها ، مهما تكن سامية ، تظل عاجزة ، خائرة القوى ، ما لم يكن وراءها من يحملها ، حملاً حضارياً ، معاصراً ، ويغنيها بروحه ، ويملؤها من عزمه . فأكبر المبادئ وأعظمها ، تظل صغيرة ، إذا حملها إنسان صغير ، وأصغر المبادئ ، وأدناها قيمة ، تكبر ، وتتعاظم ، إذا حملها إنسان كبير . وعبثاً يكون السمو في المبادئ وحدها ، إذا لم يكن وراءها سمو الإنسان ، وشموخ نفسه ، وعظمة قلبه .

لا بد إذن من اغناء الإنسان العربي بروح العصر ، والثقافة العالمية ، وبالثقافة جملة . ومن هنا كان اهتمام سامي الدرربي بالثقافة ، ينهلها من ينابيعها الثرة ، لا ليقيها لنفسه ، ولكن ليعيد صهرها ، لتصبح عربية الوجه ، واللسان ، وتكون مادةً لثقافة الأجيال الجديدة ، تستمد منها غنى الفكر ، وأصالة الروح ، لتتسلق عليها إلى ما هو أسمى منها .

ولقد أقبل سامي على هذه المهمة ، بجد لا يعرف الكلل ولم يكن يطلب شيئاً عزيزاً . كان كل ما يريده ألا يشغل بحاجات العيش البسيطة ، وألا تثقله هذه بالهموم ، فتصرفه عن مهمته الجليلة . ولقد أنتج في ظروفه هذه ما يزيد عن ثمانين كتاباً من عيون الكتب . في العلم والفلسفة ، والأدب ، والفن ، وبصورة خاصة من تلك التي تمثل حضارة العصر ، وآفاقه . وبالله كم نضيق على نوابغنا أفق الحياة ، فنخسر معهم الكثير مما كانوا يستطيعون أن يعطوه .

وليس القضية هنا أن سامي قد ترجم هذا كله . بل القضية أنه رزق فصاحة اللسان ، وعروبة البيان ، حتى لكأن من يقرؤه يحسب أن ترجمته هي الأصل ، والأصل هو الترجمة . وكان يسمع مني هذه الكلمات ، ويرأها مديحاً غالباً .

والغريب أن سامي أنتج أفضل إنتاجه ، بعد أن سدَّ المرض أمامه آفاق الحياة التي كانت آنئذٍ تفتح له أكبر انفتاح . لكأنه أراد أن يُجِيل كلَّ حركة من حركات عضلاته ، وكل خفقة من خفقات قلبه ، وكل قطرة دم في شرايينه ، إلى أثر باق ، يخلدُ هو ، بعد أن يموت صاحبه ، ويجعل الحديث عنه

متصلاً ، كما لو أنه باق ، حياً ، لا يموت . غير أن ما أراده سامي حقاً ، هو أن يجيأ شعبه ، ويتألق حياة وغنى ، وليس يعنيه هو شخصياً أن تطول حياته سنة أخرى أو عدة سنوات . أما نحن فكان يعيننا دوماً أن تطول حياته ، لا لأنه أثير لدينا فحسب ، بل لأن هذه الحياة ستكون كلها عطاءً يتتابع بعد عطاء .

وعلى ذلك فإن جواب سامي عن تحديات عصره ، لم تكن في المبادئ وحدها ، فما أفقر هذه ، إن لم يكن وراءها الانسان . . . الانسان الذي يرقى إلى مستواها ، بدلاً من أن يهبط بها إلى مستواه ، ويجعلها أداة لتقدم أمته ، بدلاً من أن يجعلها وسائل جديدة للامعان في التخلف ؟ ترى هل كان جواب سامي هو الجواب المعقول ؟ لا ريب أنه اختار الطريق ، الطويلة الصعبة ، ولكنني شخصياً ، لا أرى عن ذلك بديلاً .

وأنا أفهم جيداً أن تكون صيحات الرواد الكبار من ابن تيمية إلى الكواكبي ، وجبهة جداً ، وأفهم أنه يجب القضاء على الخرافات ، والعودة إلى روح الدين ، والتقييد بمنظومة قيمه العليا ، ولكن من هو هذا الانسان الذي يحسن هذه العودة ، وهذا التقيد؟ أما منظومة القيم المثلثي فما أسهلها ، وما أسهل العثور عليها : فما من إنسان لا يعرف أن الحق خير من الباطل ، والخير أفضل من الشر ، والوحدة أدعى إلى القوة من التناثر . لكن حمل هذه القيم ، واشاعتها في الناس ، والعمل بوحى منها ، لا بوحى المنافع الذاتية ، والأهواء الشخصية ، أمر صعب يحتاج إلى «انسان» ما من نوع خاص ، وهذا الانسان هو الذي أراد سامي أن ينشئه ، بالتربية ، ويغنيه بالثقافة ، ويملاؤه بالعلم والأدب والفن ، ولقد فعل سامي ، في هذا الميدان ، ما استطاع ، وهو كثير ، لكننا سنظل بحاجة إلى ألف «سام» آخر ، لنستطيع قلب معادلة التخلف الشائع ، وخلق الانسان الجديد القادر على حمل القيم السامية .

وبعد ، فلئن كان من دواعي الأسف أن حفلنا هذا حفل تأبين ، فيقينا ، كان مثل هذا الحفل سيقوم ، ولكن للتكريم لا للتأبين ، كان يكفي لذلك أن يمهلنا الموت أياماً قليلة ، إلا أن الأقدار شاءت أن يغيب عنها ، وأن نفتقد كلمته في شكر الذين شاركوا في حفل تكريمه ، ترى هل يستطيع صوتي

أن ينوب عن صوته في شكر هؤلاء الأعمام الذين شاركوا في حفل تكريمه بعد الموت ، وأن يقول للأصدقاء من مصر ومن غير مصر : شكراً . . شكراً على وفائكم لي ، وتكريمكم لذكراي ، وأن يحتتم ذلك كله بنظرة ملؤها الحب والحنان ، يقول فيها لزوجته احسان ، وابنته ليلى ، وابنه مصباح ، أن كل ما يفرحني بعد موتي ، أن تعيشوا سعداء ، في أمة عزيزة ، وأن تغفروا لي ما أثقلكم به مرضي من هموم ، وأنا أولى الناس بالاعتراف بالوفاء .

أظنه سيقبل أن أنوب عنه ، وسيرى أنني لم أتجاوز فيه ما كان يمكن أن يقوله هو ، في أعماق نفسه ، ولو أنه سيقول ذلك كما هي عادته - بلغة أعذب ، وأسلوب أرشق ، وتعابير تهز أعماق القلوب ، ولئن كانت حفلة التأبين ، صورة من صور الوداع الاجتماعي ، لذكرى راحل عزيز ، فلاريب أن حفلة الاستقبال للتراث الذي خلفه سامي ، ستظل قائمة على مدى الأيام .

كلمة العماد الركن مصطفى طلاس

نائب القائد العام للحيش والقوات

المسلحة وزير الدفاع

أيها السيدات والسادة !

أيها الحفيل الكريم !

في البدء كانت الكلمة . . ورغم ذلك فاني أشعر أن الكلمات عاجزة

عن تصوير هذا الموقف الذي استجد بعد رحيل الدكتور سامي الدروبي

إلى حوار ربه . . ومع أن القاعدة الفقهية تنص على أنه «لا يفنى ومالك في

المدينة» فاني أجد لدى الحرة الأدبية لأن أتكلم بعض الشيء في الفلسفة على

الرغم من وجود الدكتور بديع الكسم بيننا

إن الموت كحدث في حياة الانسان لا مفر منه حتى ولو بلغ من الكبر

عتياً جعل منه مادة خصبة للكتب الساوية وللأنباء والفلاسفة والعلماء

غير أن القرآن الكريم يحتل المكان الأول في تحليله لهذه الظاهرة ومعالجته لها ،

وإذا تصفحنا آيات الذكر الحكيم لوجدنا أن كلمة «موت» وما يشتق منها يتردد

بكثرة حتى ليكاد يبلغ سبعة وثلاثين ومائة موضع .

وقد استهدف الله سبحانه وتعالى من هذا التركيز المكثف على قضية

الموت بالدرجة الأولى أن يغرس الايمان في قلوب الناس ويزيل عامل الخوف

والقلق من هذه الظاهرة الحتمية . . وأن يحث المؤمنين على العمل الصالح ،

لأن فترة الحياة الدنيوية محدودة بأجل . . «فلإذا جاء أجلهم لا يستقدمون

ساعة ولا يستأخرون» .

إذن العمل الصالح هو جوهر الحياة الدنيا . . وهو الذي يبقى من

الانسان بعد رحيله إلى رحاب الآخرة . . «من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى

وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن مما كانوا يعملون» .

فخلود الانسان - قولاً واحداً - لا يكون إلا بالعمل الصالح . . أما بالعكس

فهو الموت الحقيقي له حتى ولو كان حياً يذب على الأرض . . ومن هذه

الزاوية أود أن أنظر إلى رحيل فقيدنا الكبير الدكتور سامي الدروبي .

لا بد لي قبل الكلام عن أعمال فقيدنا «أبي مصباح وليلى» من أن أحدثكم عن كيفية معرفتي بهذا الانسان العظيم . . . إن قصتي معه تبدأ من أواخر الأربعينات عندما كان أستاذاً للفلسفة والمنطق في ثانويات حمص . . . كان أستاذنا وسياً ربيع القوام يتدفق حيوية . . ويفيض نشاطاً . . وعندما يتكلم كان ينبوعاً من العطاء والمعرفة . . . كان يسبي العقول في منطقة . . . ويأخذ بمجامع القلوب في حديثه . . . ولذلك فلا غرو إذا قلت لكم لقد سحرنا على الرغم من عدم إيماننا بالسحر

ولكم كانت فرحتي عظيمة عندما التقينا سوية في حزب واحد هو حزب البعث العربي الاشتراكي . . وعلى الرغم من فارق السن النسبي بيننا وهو الفارق البسيط الذي يكون بين الاستاذ وتلميذه . . فقد أحببنا بعضنا ، منذ النظرة الأولى «بعد الاستئذان من عشاق آخر الزمان» .

في بداية الخمسينات أوفد الاستاذ سامي الدروبي إلى فرانس لاتمام دراسة في الفلسفة ونيل درجة الدكتوراه . . وانخرطت في سلك الجندية ولذلك لم يعد يرى أحدنا الآخر إلا لما . .

وجاءت وحدة ١٩٥٨ بين القطرين (السوري والمصري) لتجمع بيننا في أوائل الستينات حيث ندب الدكتور سامي الدروبي للتدريس في جامعة القاهرة وندبت للخدمة بالقوات المسلحة في الاقليم الجنوبي . . . وكانت مفاجأة سعيدة أن يلتقي المحبون على ضفاف النيل بعد هجران طويل . . كان مفهياً جروبي سليمان باشا الواحة التي تجمع شملنا أيام الجمع وكان رجال الفكر والأدب يلتقون هناك ، وإذ كنت أحضر بينهم مرتدياً اللباس المدني ولم تكن الموضوعات العسكرية تطرح للمناقشة في ندوتنا ، . . لذلك لم يخطر في بال أحد منهم أنني غريب عنهم ، سيما أن الدكتور شاعر الفحام كان من الحريصين على حضور هذه الندوة ، وقد أسهم دونما شك في قبولي كعضو طبيعي فيها .

ومن أطرف المصادفات أن الدكتور سامي الدروبي حمل في صبيحة أحد الأيام على عناصر السلك الخارجي وبدأ ينتقد تصرفاتهم . . ويفند شكواهم المستمرة من نقص «تعويضات السفر . . .» وأنهم غير محققين بذلك . . دون أن

يعلم - وهذه حقيقة - أن اسمه قد أدرج في كشف المتقولين إلى وزارة الخارجية . . كمستشار ثقافي في سفارة الجمهورية العربية المتحدة في البرازيل . . وحدثت مأساة الانفصال بين القطرين السوري والمصري في أيلول ١٩٦١ وكان موقفه مشرفاً ورفض التعاون مع المسؤولين في وزارة الخارجية آنذاك . . وعاد إلى التدريس في جامعة دمشق . . وبعد قيام ثورة الثامن من آذار ١٩٦٣ أصبح الدكتور سامي الدروبي وزيراً للتربية والتعليم ثم سفيراً للجمهورية العربية السورية في المغرب ويوغوسلافيا وفي عام ١٩٦٧ عين سفيراً في مصر وهنا تعرّض فقيدنا الغالي لأصعب موقف في حياته وقد عبر عن ذلك في خطاب الاعتماد الذي القاه أمام سيادة الرئيس الراحل جمال عبد الناصر وسأنتقل لكم الكلمة بنصها الحرفي ، لأنها أفضل ما كتب الدروبي في حياته . .

سيادة الرئيس :

«إذا كان يسعدني ويشرفني أن أقف أمامكم ، مستشرفاً معاني الرجولة والبطولة ، فإنه ليحز في نفسي أن تكون وقفتي هذه كوقفة أجنبي ، كأنني ما كنت في يوم مجيد من أيام الشموخ مواطناً في جمهورية أنت رئيسها ، إلى أن استطاع الاستعمار متحالفاً مع الرجعية أن يفصم عرى الوحدة الرائدة في صباح كالح من [أصبح] خريف حزين يقال له ٢٨ أيلول ، صباح هو في تاريخ أمتنا لطخة عار ستمحى ، ولكن عزائي عن هذه الوقفة التي تطعن قلبي يا سيادة الرئيس ، والتي كان يمكن أن تشعرني بالخزي حتى الموت ، أنك وأنت تطل على تاريخ فترى سيرته رؤية نبي وتصنعه صنع الأبطال قد ارتضيت لي هذه الوقفة ، خطوة نحو لقاء مشر [بين قوى تقدمية ثورية] يضع أمتنا في طريقها إلى وحدة تمتد جذورها عميقة في الأرض فلا انتكاس ، وتشمخ راسخة كالطود فلا تززعها رياح .

ذلك عزائي يا سيادة الرئيس وذلك شفيعي عندك ، وشفيعي عند جماهير أمتنا العربية التي لا تعترف بالانفصال إلا جريمة ، وشفيع من ندبوني لهذه الوقفة ثواراً شجعاناً يقفون في معركة النضال العربي الواحد على خط

النار ، ويؤمنون ببقاء القوى الثورية العربية لا بديلاً للوحدة ، بل خطوة نحوها .

وفي هذه المناسبة التي نجتمع فيها لتكريم فقيد الأمة العربية الدكتور سامي الدزويبي أجد نفسي في موقف مهيب . . . عندما أرى في الصف الأول هدى وعبد الحكيم جمال عبد الناصر يشاركون معنا في تكريم الفقيد العزيز وأنتي لا أرى في عملهما هذا سوى تجسيدا للبدأ والوفاء الذي يعتبر من أكرم المناقب العربية في الوقت الذي أصبح فيه العذر والظعن في الظهر سمة من سمات هذا العصر . . .

وأنتي باسمكم جميعاً أقول لهما : أهلاً بكم في دمشق التي أحبت جمالاً والتي أحبها جمال وقال : «إنها قلعة النضال العربي» .

أيها الأخوات والأخوة :

سأعود معكم إلى بداية كلمتي لأقوم بمراجعة صغيرة وتقديم كشف بالأعمال الصالحة التي تخص بها فقيد العروبة لتروى إذا ما كانت هذه الأعمال الجليلة تكفي لتخليد هذا الرجل إلى قيام الساعة . . . اعتقد أنه لا يوجد اثنان يختلفان في هذه البهية . . . فلو أخذنا أعمال فقيدنا الغالي «ترجمة المؤلفات الكاملة لدمشوقني» إلى اللغة العربية ورمينا كل ما عمله غير ذلك في البحر لوجدنا أن هذا العمل الضخم فمين بتخليد صاحبه أبد الدهر . . . وإذا كان جيلنا المعاصر لم يعط حتى الآن هذا الجهد الكبير ما يستحق من اهتمام فإن الأجيال العربية القادمة ستذكر بالشكر والعرفان هذا العمل المجيد . . .

وختاماً ربما تقولون لماذا لم أعدد لكم مناقب الفقيد الكبيرة ؟ . . . وهي كثيرة . . . أرجو بكل تواضع أن تعذروني عن هذا الصنيع . . . لأنني محب للمحب لا يجد في حبيبه إلا كل ما هو جميل . . .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . . .

كلمة
الأستاذ فوزي الكيالي
وزير الثقافة والإرشاد القومي

أيها السيدات والسادة

حين يرسم الموت خط النهاية في حياة انسان مثل فقيدنا ، وتعظم الأحران ، خاصة كانت هذه الاحزان أم عامة ، لفقده ، يظل الوجود المستمر لهذا الانسان من خلال أعماله وصفاته وسيرته عصياً على الموت ، وقد يكون هذا هو معنى الخلود . كما تظل شعلة عطائه متوهجة تحملها الأيدي وتتداولها جيلاً بعد جيل لتواصل بها الطريق وتحصب بها كل عطاء جديد .

والحديث عن سامي الدروبي طويل وعريض . طويل لأنه يسمي ، بطريقة أو أخرى ، حياتنا خلال نصف قرن من الزمن . وهو عريض وفسيح لأنه يتناول هذه الحياة لا في جانب من جوانبها ، ولا في مظهر واحد من مظاهرها ، وإنما يتصل بهذه الحياة في جوانبها السياسية والفكرية والثقافية والحضارية ويؤثر فيها . لأن فقيدنا رجل سياسة وعقيدة ، ورجل ثقافة وفكر ، ورجل ثقافة ، ورجل علم وأدب ، عاش حياته كلها منكأ على العمل وعلى الانتاج وعلى الفعل حتى آخر نسمة من نسمات حياته .

ولست أزعم حتى ولو رضيت بأن أشق على نفسي ، وأن أجور على شركاء لي في الحديث في هذا الجمل ، انني قادر على أن أقول كل ما كنت أود أن أقوله في الحديث عن سامي ، وإلا لكلفت نفسي من أمرها عسراً .

ولهذا فإنني سأكتفي بأن أتحدث عن ناحيتين اثنتين فقط من حياة سامي الدروبي . الأولى هي دأبه ووجهه واستشهاده في العمل والانتاج ، في كثير من الصعاب والضيق والتواضع ونكران الذات . والثانية هي تفاؤله وإيجابيته وقوة عزمته وصلابة إرادته دونما أي ادعاء أو غرور .

لأما عن الناحية الأولى ، فإنني أستطيع أن أقول أن سامي الدروبي كان من بين جميع الأدباء والمفكرين أكثرهم إنتاجاً وأوفرهم حظاً في اغناء المكتبة العربية بما كانت في أشد الحاجة إليه من الآثار الأدبية والفكرية والسياسية في العالم . فإذا استعرضنا بعضاً مما ترك لنا من أعمال نرى بينها

- ١ - أعمال الفيلسوف الفرنسي هنري برغسون .
 - ٢ - بعض الاعمال الفلسفية للفيلسوف الفرنسي غويو .
 - ٣ - ترجمات للفيلسوف الايطالي كروتشه .
- هذا في مجال الاعمال الفلسفية .

أما في الفكر السياسي ، فقد ترجم لنا كتاب «موريس دوفرليه» (مدخل الى علم السياسة) ، وكتاب «معذبو الأرض» لفرانز فانون .
وفي مجال الأدب ، ترجم لنا ثلاثية الكاتب الجزائري محمد ديب (الدار الكبير) الحريق ، النول . وكتاب «جسر على نهر الدرينا» لافيواندريتش .
ومن الأدب الروسي ، ترجم لنا أعمال دوستوفسكي الكاملة التي تقع في ثمانية عشر مجلداً كما ترجم لنا ، وبالاتفاق مع وزارة الثقافة نفي سورية ، المجلدات الخمسة الأولى من أعمال تولستوي الكاملة ، وحين توقف عن الحياة ، كان لا يزال باقياً من المجلد الخامس ثلاثون صفحة تحتاج إلى الترجمة .

هذه بعض من آثار الفقيه الراحل وأعماله ، وليست هي جميعها ، فللفقيه عدد آخر من الكتب في مجال الأدب والتربية وعلم النفس ، منها مثلاً كتابه المؤلف «علم الطباع» وكتاب «علم النفس التجريبي» ، وكتاب «سيكولوجية المرأة» ، وهما مترجمان . هذا مع العلم أن أعمال وآثار فقيدينا الكبير لا تمتاز بوفرته فقط ، وإنما تمتاز أولاً بدقتها وبما بذل الفقيه فيها من عناية خاصة لتخرج إلى الناس آية في الدقة والاتقان ، حتى أنه كان يرفض أن يقوم أي شخص في سورية بمراجعة بروفات كتبه عند طباعتها ، مما اضطرنا في وزارة الثقافة إلى أن نرسل هذه البروفات إلى السفارة السورية في مدريد ، ليقوم هو شخصياً بتصحيحها . وهذا أن دل على شيء فإنما يدل على أمانة سامي الدروبي ونزاهته وحرصه الشديد على اتقان ما يعمل .

فإذا أضفنا إلى ذلك كله ، الاسلوب الرفيع الذي تميزت به كتابات سامي الدروبي وترجماته ، وما فيها من أناقة ورشاقة وعمق ، والتي نستطيع أن نجد نموذجاً عنها في الخطاب المؤثر البليغ الذي قدم به أوراق اعتماده كسفير سورية في مصر إلى الرئيس العظيم جمال عبد الناصر أدركنا قيمة هذه الذخيرة

الادبية والفكرية التي خلفها لنا الفقيه العظيم ، وأدركنا في الوقت نفسه مدى الحرج الذي تشعر به وزارة الثقافة الآن لاكمال السلسلة التي بدأتها مع سامي الدروبي في ترجمة المؤلفات الكاملة لتولستوي ، إذ من يستطيع من العرب جميعاً أن يأخذ دوره في هذا العمل الأدبي الضخم ، دون أن يضع شيئاً من قيمة هذه المؤلفات كما أردنا وكما أرادها سامي الدروبي أن تكون ؟ .

الناحية الثانية ، والتي عبرنا عنها بإيجابيتها وتفانؤله وعظيم ارادته وقوة شكيمته ، وهذه الناحية ، وكما خبرتها بنفسي ، أية الآيات في حياة سامي الدروبي . ويكفي أن نعلم أن سامي الدروبي أنجز مؤلفات دوستوفسكي الكاملة ويربو عدد صفحاتها على أحد عشر ألف صفحة ، وهو مريض في القلب ، مرضاً لا يمكنه من أن يستلقي على سريره أثناء النوم ، ولا بد له من أن يبقى جالساً وهو نائم . بل أكثر من ذلك ، فإنه أنجز خمسة مجلدات من المؤلفات الكاملة لتولستوي ، والتي يصل عدد صفحاتها إلى خمسة آلاف صفحة وهو في حالة بين الحياة والموت ، وكثيراً ما احتاج خلالها إلى أن يرقد لمدة ثلاثين ساعة وهو يتنفس من أنبوبة الاوكسجين .

كان سامي خلال فترة طويلة مريضاً ، ولكنه عرف كيف يحمل مرضه بكبرياء وشجاعة وصبر ، حتى غدا أستاذاً في احتمال الألم ، وتحولت عنده معاناة الداء إلى قراع لعدو شرس رفض الاستسلام له طوال أعوام ، فلما وهن القلب والجسم ، سقط القلم من اليد التي لم تعد قادرة على الإمساك به .
وكأنني بالفقيه الكريم هو ذاك الذي عناه ستيفان زفايج في كلامه عن دوستوفسكي حين قال :

«يقوم بينه وبين مصيره صراع لا يتوقف ، نوع من المعاناة المفعمة بالمحبة . فالحياة تؤلمه لأنها تحبه ، وهو يجيها لأنها تمسه مساً بالغ القوة ، ولأن هذا الرجل ذا الحكمة المتناهية يتعرف في المعاناة على أقوى امكانيات الشعور ، وكلما ازداد سقوط جسمه عمقاً ، زاد إيمانه تحليقاً ، وكلما ازدادت معاناته باعتباره انساناً ، ازدادت سعادته في معرفة معنى معاناة الألم وضرورتها» .

وإن كنت أنسى ، فاني لن أنسى أبداً زيارته لوزارة الثقافة منذ ما يزيد

على الشهرين قليلاً ، وزيارتي له قبل وفاته بأيام . وبرغم أنه كان قد وصل به المرض إلى درجة أصبح معها غير قادر على السير ، إذ كنا نتعاون في مباحثته على أن بخطو بضع خطوات ، وبرغم ما كان قد أصابه من هزال وضعف ، فإنه كان يتحدث بقوة وعزيمة لا مثل لهما عندما كان الحديث يتعلق ببعض ما كان يهمه من أمر . وكان الموضوع الذي يسيطر على تفكيره في هذين اللقاءين هو إخراج مؤسسة لكتاب الجيب تطبع روائع التراث العربي ، وروائع التراث الانساني ، وتوزعها على الناس في الوطن العربي كله بمعدل خمسمائة ألف نسخة لكل كتاب ، وبمعدل كتاب في كل يوم .

كان الطبيب قد منعه من الحركة يوم زرته في البيت ، وكان قد منعه من الكلام ، وكان قد منعه من الانفعال ، وكان قد جاء إلى بهو بيته ليستقبلني وصاحبي الذي كان هو الأستاذ أديب اللجمي ، منزعاً أنبوب الاوكسجين من أنفه ، وكانت إلى جانبه السيدة الحليمة زوجته التي كانت ترافقه كظله . وما أن بدأ حديث مؤسسة كتاب الجيب ، حتى انقلب هذا الحسد المهدم ، إلى كتلة مشتعلة من الحماسة والقوة والعزيمة ، وأخذ يتدفق بكلماته العاتية على الأمة العربية كيف تسمح بأن يكون هنالك كتاب للجيب في ثلاثين لغة على الأقل ، بينها اللغة التركية وغير التركية ، ثم لا يكون هنالك كتاب جيب باللغة العربية ، ينشر الثقافة بين كل الناس ، وينقل إلى العربية أئمن ما أنتجته قرائح البشر ، وكان فيما قاله شيء يشبه التعهد بأنه قادر على أن يقود هذه المؤسسة ، وأن يوصلها إلى حيث نريد ، وإلى حيث يريد هو . وبرغم الحاحي الشديد بأن لا يتحدث كثيراً ، وبأن لا يفعل كثيراً في أثناء الحديث استجابة لنصائح الطبيب ، خشية على صحته ، فإنه استمر في حديثه لا يلوي على شيء . وأخيراً التفت إلى قائلاً : هذا حلم عمري . حلمت بكتاب الجيب العربي منذ أن كنت صغيراً . والآن إذا ما قدر لي أن أشهد ميلاد هذا المشروع العظيم فإنني سأكون غاية في السعادة .

وتأملته يومها ، وكل شيء في مظهره ، وفي كيانه يوحي بأن الخاتمة تقرب . تأملت إبتسامته يومها ، تلك الابتسامة التي لم تفارق ثغره قط مهما

اشتدت الكروب وعظمت الخطوب ، تأملت بريق عينيه وحركات يديه وشدة
امله وعظيم تعلقه بأمته ولغتها ، وشدة حرصه على أن يوفر لأبنائها كل مصادر
المعرفة ، وكل ينابيع الحكمة والأدب والفن .

لقد كان يحب أمته حباً عظيماً ، وكان يعشق أمجادها الخالدة ، لكنه كان
يجب لهذه الأمة أن تكون أمه موحدة ، إلى جانب كونها أمه واحدة . وكانت
وحدويته أصيلة وعميقة ، وظل على موقفه هذا حتى آخر لحظة من حياته .
وعجبت لهذا الانسان كم كان قوياً ، وكم كان جلدأً ، وكم كان صبوراً .
عجبت له كم كانت ثقته بقدرته عظيمة ، وكم كان حبه لأمته كبيراً ، وكم
كان فرحه بلقاء أصدقائه عميقاً وقوياً وجارفاً وسألت نفسي ، وهو يمد لسانه
ليليل شفثيه الجافتين المبيضتين ، : ترى ، وسامي الدرربي الذي لن يعيش
لأكثر من أيام كما كان يبدو من حالته الخطيرة ، هل كان يفكر عندما يقول انني
كفيل بأن أدير هذه المؤسسة وأن أضمن لها النجاح ، هل كان يعني ذاته
نفسها ؟ أم أنه كان يعني اي شخص آخر من الذين يحملون نفس شعلته ؟ .
وشعرت يومها أن الحدود قد ضاعت بين سامي وبين أصحابه ، بين سامي
وبين قضيته ، قضية أمته العربية خريتها واشتراكيته ووحدتها . فإذا به هذه
الأشياء جميعاً ، وإذا بها هو .

الاجلال والاكبار للذكراء

والعزاء لأمته وأسرته والوطن الذي أنجبه ورباه

كلمة الأستاذ عبد الله أحمد حسين

سفير دولة الكويت بدمشق

فارس . . يترجل

فارس آخر من فرسان القومية العربية يودّع هذه الدنيا والأمة العربية تعيش أسوأ ظروفها . . يغمد سيفه وينزع خوذته ويترجل في زمن قلت فيه الفرسان وكثر فيه أذعياء الفروسية !!

أذكره يوم وقف عام ثمانية وخمسين وتسعمائة وألف ، وكان ضمن وفد الجمهورية المتحدة يصد الوفد الشعبي الذي أرسله قاسم إلى الكويت في مؤتمر الأدباء العرب الثامن ، ولم تبرح صورته خيالي وهو يتحدث في مدرسة المرقاب هادئاً قوياً واثقاً من رسالته .

وأذكره يوم وقف أمام الراحل العظيم جمال عبد الناصر يقدم أوراق اعتماده كسفير للجمهورية العربية السورية فكان كمن يعزي الرئيس الجليل في الجمهورية العربية المتحدة وكأنما كان يدرك بثاقب فكره وشفافيته القومية أن الجمهورية العربية المتحدة قد سبقت زمانها وأننا لم نزل لا نستحقها . . ويومئذ بكى وأبكى البطل المفترى عليه .

وأخيراً أذكره في الشام وقد قابلته عرضاً في مناسبات قليلة وكان سفيراً للجمهورية العربية السورية في اسبانيا فكان ضعيف الجسم واهناً ، ولكنني كنت أرى سامي الدروبي المفكر القومي الصادق كما كنت أراه قوياً نبيلاً ، وكان أبرز ما يظهر هذه القوة وهذا الصبر النبيل عيناه وكلماته وترفعه الذي يدل على الأنفة والشموخ القومي ولا يدل على شيء من الغرور .

ثم علمت نبأ وفاته من الأذاعة مساء يوم الخميس فلم أفاجأ ، لأننا في الآونة الأخيرة تعودنا على رحيل أبطالنا القوميين ، كانوا يرحلون ويبقى أعداء العروبة ، كانوا يذهبون ويقيم أولئك النفر الذين عرفتهم السفارات الأجنبية والذين يتلقون الوحي منها .

رحل سامي الدروبي وبقي سعيد عقل ، وقضى صدقي اسماعيل وبقي شارل مالك . . وهكذا في السياسة وفي الفكر ، ولكن يعزي المرء أن

الفكر القومي ثابت ثبات الجبال ، وأن لهذه الحالة المتردية أجلا ، وأن لكل أجل كتاباً .

ان الدكتور سامي الدروبي من ذلك الرعيل القومي الصافي ، الذي لم يأخذ بأسباب الخصومة التي حدثت بين الفرق القومية ، ولم يدخل في الفتنة التي أضاعت الزخم القومي وجعلت الفكرة العربية مضغة في الأفواه . . . لم يتسنى رحمه الله ، ولم تتزلزل نفسه عندما حدث الانفصال فيأخذ جانب هذا الطرف أو ذاك ، ولم يتحول الى طفل مراهق كما تحول الكثيرون من الشيوخ القوميين . .

لقد كان رحمه الله عربياً وحدوياً منذ بدأ النضال القومي حتى قامت الجمهورية العربية المتحدة وإلى أن خلق الاستعمار وأنصاره مأساة الانفصال وإلى أن رحل الى جوار ربه راضياً مرضياً .

لقد رأيتهم يتجهون به الى الضريح ، وكان نعشه خفيفاً على أيدي الرجال لم يكلفهم عناء ، ولم يقتضهم بدل جهد ، فقلت يا للرجال . . وأي جبل يحملون؟! وكانت خيمة صغيرة قد ضربت على ضريح المفكر القومي وكان الرجال يسوون جسده فيه وكان حوله كبار رجال الدولة ، وكان حوله الناس البسطاء فكأنما استقطب الجميع حوله ، والرجال العظماء يتساوى أمامهم الصغير والكبير ، بل ان الصغير والكبير يحس كل منهما بأنه ند للآخر اذا وقف أمام عظيم . وحين رأيت الخيمة المضروبة ورأيت المسجي تحتها تذكرت خيمة هانيء بن مسعود عندما ضربت يوم ذي قار ويوم دافع الخليج العربي عن نفسه وحين قال هانيء بن مسعود والله لا أفر حتى تفر تلك القبة ، فأدركت أن تلك القبة المضروبة على رأس سامي الدروبي تدرك أنها ضربت على رأس بطل كما ضربت تلك على رأس ابن مسعود . . فكما أشارت قبة هانيء بن مسعود إلى الصمود حتى الاستشهاد نهضت خيمة الدروبي لتشهد الناس على صبر الدروبي وبلائه في أيام كثر فيها البلاء واشتدت في ساعاتها المحنة حتى رحل المناضل القومي وقلبه تمزقه الجراح . . جراح الجحود وعدم الوفاء . . وضياح القيم .

ان الدكتور سامي الدروبي مدرسة في حد ذاته . . طراز من الرجال

تراهم فتصور أن أمثالهم كثيرون في هذا الوطن ولكن إذا خبرتهم أدركت أنهم
لودهبوا فانهم لن يعوضوا . . من الرجال القلائل الذين لا يشيرون إلى
أنفسهم في حديث أو حركة ولكن الأصابع تشير اليهم كلما حزب الأمة أمر له
علاقة بالفكر أو كلما دست السموم أقلام ذات صغرن ، وما أكثرها هذه
الأيام ، ولو كانت أقلام ضعاف أردوا بالمخالفة والمعارضة أن يظهر لها الأمر
ولكنهم كهون طمعوا في الرقعة وما أشد دناءة الكهل إذا طمع ، وأسوأ من
ذلك بكثير أن يكون من أرباب القلم وأصحاب الريادة في الكتابة
ميرة أخرى يتحلى بها الراحل الكريم ، وهي أنه لا يهزه ما يهز
غيره . . يسمع البذاءة ، ويقراء الكفر ، ولكنه يظل هادئاً حيث هو ، ثم
يشير بكلمة بعد طول صمت وانتظار ، فإذا بالأفكار المسمومة تساقط من
حوله وإذا به يرفع الراية القومية عالية وكأنه لم يدخل معركة ولم يمشق قلماً .
أدرك أنه صاحب الحق وعرف أنه يعبر عن ضمير الأمة لذلك لم ينجح
إلى ما كان ينجح إليه أولئك الذين أدركتهم حمة أصحاب الخراجات في
كتاباتهم ، لم يستجد الناس التأييد ، ولم يحاول بتشنجات أصبحت تغطي
هذه الأيام على وجوه ذلك النفر الخارجي أن يفرض عليك رأياً ، وإنما يتحدث
اليك في أهم القضايا القومية ، ويعلن وجهة نظره ويده تداعب حبات سننحه
كأنما يتحدث حديثاً عارضاً ولكنك عندما تفكر فيما قال تدرك أنه قال قولاً ذا
قيمة كبرى .

هذا الرجل الذي ودعناه يوم أمس بهذا الجمع الحاشد من الناس لم
يكن صاحب سلطان ولم يخرج له المشيعون رغبة أو رهبة من سلطانه ، ولم
يكن صاحب مال فاقى الناس يتقربون لورثته بالكلمة الطيبة والتعزية
الرفيعة ، ولم يكن ذا سطوة يخشاها الناس فجاءوا وأفاء لما تجره سطوته عليهم
من وبال ، وإنما كان رجلاً سمحاً كريماً رقيق الجسم أصابته المرض وتكاثرت
على قلبه الكبيير النضال حتى أمته .
لقد شيعه الناس بهذا الحب والتقدير كباراً وضعافاً لأنه الدكتور شامي
الدروبي صاحب القلب الكبير والقلم الرائد والفكر القومي الأصيل ، ولأنه
ترفع عما كان القوم يتزاحون عليه من عزرائف ومجد زائل .

كلمة الاستاذ عثمان سعدي سفير الجمهورية الجزائرية بدمشق

سيداتي ، سادتي . .

لقد ساهم سامي الدروبي في الثورة الجزائرية التي كان يؤمن بأنها ثورة الأمة العربية جمعاء ، ساهم بمواقفه كمناضل ، وساهم بالكلمة ككاتب داعماً ثورة اخوانه بالجزائر . وقد راج في الخمسينات أدب لكتاب جزائريين فرضت عليهم ظروف الاستعمار أن يستعملوا اللغة الفرنسية كأداة للتعبير .

وبادر سامي الدروبي الى نقل بعض هذا الأدب الى قراء العربية فترجم معذبوا الارض لغاتون و (الدار الكبيرة ، والحريق والنول) . وصدرت الترجمة بمقدمة تعتبر من أعمق وأصدق ما كتب في هذا الموضوع .

ولقد دار نقاش كبير في الخمسينات والستينات حول هوية هذا النوع من الأدب الذي نسب الى الجزائر . فالبعض ذهب إلى أنه أدب جزائري اضطر في ظرف زمني معين إلى أن يستعمل لغة أجنبية عنه . والبعض الآخر أنكر عليه نسبته الى الجزائر والى المكتبة العربية . معتمداً على حقيقة أن الأدب يسند الى اللغة التي كتب بها . وشارك سامي الدروبي في هذا النقاش ، فاعترف بالواقع المرير الذي كانت تعيشه الجزائر ، وهو اضطرار أبنائها الى استعمال لغة أجنبية في التعبير . يقول سامي الدروبي :

«ان هؤلاء الكتاب العرب قد عرفت فرنسا ، بأساليب التجهيل التي اتبعتها في الجزائر ، أن تنتزع منهم أداة التعبير باللغة الأم ، وأن تضع بين أيديهم أداة أخرى هي اللغة الفرنسية ، لا حيلة لهم في الاعراض عنها إذا أرادوا أن تدور ألسنتهم بكلام ، وأن تجري أقلامهم بكتابة» .

وأحس سامي الدروبي - وهو مترجم مرهف الحس - بأن الكتاب الجزائريين يشعرون بتمزق نفسي وهم يعبرون بلغة أجنبية عن عواطف وأحاسيس عربية ، ويحسون بأنهم عاجزون عن التعبير عن كل ما يجيش في نفوسهم . يقول سامي الدروبي :

«ان هؤلاء الكتاب الذين استعاروا اللسان الفرنسي للافصاح عن خلجات القلب العربي ، وأفكار الذهن العربي ، وصبوات الارادة العربية ، يشعرون شعوراً قوياً بأنهم من ذلك في مأساة . . في مأساة ذات وجوه عدة ليس أخطرها شأننا أن أحدهم يتمنى أن ينطق باللغة التي تتفق وسمرته ، وأن يكون عربي اللسان ، كما هو عربي الوجه واليد القلب» .
وسامي الدروبي كعادته يرفض أن يؤدي دور المحايد في القضايا القومية ، بل يصردائهما على أن يدلي برأيه من منطلقه القومي المؤمن بأمتة ولغته وقوميته ، فيقر أن الكاتب الجزائري عجز عن التعبير بالفرنسية عن كل ما يريد قوله ، فيقول :

«ان أخطرها شأننا احساسهم بأن هناك ارتباطاً بين مشاعرهم وأفكارهم وأحلامهم العربية ، وبين اللغة العربية التي كانت تستطيع وحدها أن تعكس هذه المشاعر والأفكار والأحلام عكساً صادقاً يتوافر فيه كل ماينبغي توافره في التعبير الأدبي من انسجام خفي بين المعنى واللفظ ، بين تموجات العاطفة وموسيقى العبارة ، بين لطائف الفكر وتثنيات الاسلوب ، بين ايقاع النفس ونبرات اللسان ، وذاك ماعجزوا عنه أو أعجزوا» .

ويرسم لنا سامي الدروبي صورة رائعة عما يشعر به الكتاب الجزائريون وهم يكتبون بلغة غير اللغة الأم ، فيقول :

«كان بهم ذلك الحنين الاسيان الذي يذكرنا بما تشعر به نفس فارقت جسمها . فهي تهوم في عذاب اللانهاية تبحث عنه ، نائحة نادبة ، ولا نجدة . . . أو بما يمكن أن يشعر به طفل فصل عن أمه ، فهو ماينفك سائلا عنها وجوه أمهات اخريات ، تريد احداهن ان تحتضنه ولكنه لا يرى فيها أمه ، فهو يعرض عنها ، أو يستسلم لها على مضض وفي حسرة» .

ويستشهد سامي الدروبي بأبيات للكاتب الجزائري مالك حداد حيث يقول :

«أنا أرطن ولا أتكلم . . ان في لغتي لكنة . . انني معقود اللسان . .» .

ثم يورد سامي الدروبي حواراً دار بين مالك حداد والكاتب الفرنسي

بسبب شفافية حس الدروبي ، وصلابة ايمانه بقوميته ، واستقراره لتاريخ
قومه الذي بلغ أحياناً حدّ التنبؤ . . هذا هو سامي الدروبي القومي ، وهذا
هو سامي الدروبي الفنان ، وهذا هو سامي الدروبي المؤرخ . .
سيداتي . . سادتي :

انه ليوم صعب وقاس أن يقف فيه تلامذة سامي الدروبي وأصدقائه
وأحباؤه ليؤنبوه ، وليستعرضوا مآثره ، وأياديه البيضاء على كل ما هو مضيء
ومشرق وجميل في تاريخ أمتنا المعاصرة . .

سامي الدروبي هو الأديب العربي الذي كرس كل لحظة من حياته
القصيرة في مداها ، الغنية في مضمونها ونتاجها ، لخدمة لغته العربية التي
عشقها وهام في عشقها ، فعاش عمره يعزف ألحانها فيطرب ، ويترنم
بألفاظها فيسحر ويأسر .

سامي الدروبي هو الذي أعطى بعداً جديداً للدبلوماسية العربية . .
لقد عملت معه كدبلوماسي ، ولمست فيه عن قرب كيف كان يمثل عن جدارة
ضمير أمته ، وتراث أمته ، وعبقريّة أمته ، ولم تكن نحن الدبلوماسيين
العرب الذين صاحبناهم وماسيناهم نتعامل معه على أنه سفير لقطر عربي ، وإنما
كنا نعتبره سفيراً للعروبة كلها أينما حلّ وفي أية عاصمة وجد . .

سامي الدروبي هو الانسان العربي الذي عاش أحداث امته بكل خلية
من خلايا جسمه ، وبكل خفقة من خفقات كيانه ، وبكل نبضة من نبضات
قلبه ، وبكل خلجة من خلجات نفسه . . سامي الدروبي هو الذي آمن
بأتمته فصدق في ايمانه ، وأحب وطنه العربي الكبير فكان الوفي الكبير لهذا
الحب الكبير . . رحم الله سامي الدروبي وجعله مثلاً تحتذي به الاجيال
العربية الحاضرة والمستقبل . أما عن الأخت احسان الدروبي ، فان انتاء
سامي الدروبي الى العائلة العربية الكبيرة كان دائماً أوضح من انتائه لعائلته
الصغيرة ، ولهذا فنحن نشاركها مصابها بالقدر الذي تشاركنا فيه هي مصابنا في
فقد سامي الدروبي العربي .

كلمة الاستاذ محمود أمين العالم
جمهورية مصر العربية

ما أقى الجرح على الجرح ..

جرح الغربة ، وجرح محنة باغية تترصب من جديد بأمتنا العربية ..
ويأتي جرحُ فقدانك أيها الصديق .. الرفيق ..

كان سامي أسياً للجراح ، فلما كان جرحه ، تعمقت وغلقت كل
الجراح ، لأنها جميعاً موصولة به .. لستُ أتحدث عن سامي ، الصديق
النادر ، تكون معه .. فتكون مع حقيقتك ، بلا قناع من ادعاء ، أو مسافة
من تحفظ ..

إنما أتحدث عن سامي ، فأتحدث عن خلاصة للانسان العربي الباهر
الذي كان سامي تجسيدا حيا لأشرف فضائله ، وأنبأ أشواقه .

أتحدث عن سامي فأتحدث عن الانسان العربي الباهر ، تنبض حياة
أتمه وتتجدد ، بكلمته المضيئة ، وفعله الخلاق ، وإصراره الواعي ،
ومعاناته الصابرة ، وتفحمة الجسور ، واستشهاده الرضى .. أتحدث عن
سامي ، فأتحدث عن الانسان العربي الباهر ، يواجه صمت الاستبداد
والقمع ، وصمت السجون والمعتقلات ، ثم صمت القبور أخيراً ..

ولقد اجتاز سامي أبواب الصمت الثلاثة .. شامخاً مترفعاً .. واجه
الاستبداد والقمع ، وواجه السجون والمعتقلات ، واليوم ترتفع حقيقته
المضيئة بيننا من خلف قبره ..

أتحدث عن سامي ، فأتمثل فيه الانسان العربي الباهر ، بكل
معاناته ، ونضالاته، وتضحياته . عندما عملت أول مرة ، أنه مريض
بالقلب ، قلتُ له : أنت يا سامي عاشق لأمتك العربية ، يعاني قلبك
ما تعانيه ..

حزني عليك يا سامي موصول بحزني على ما عاناه ويعاناه الانسان
العربي .
لا .. ليس حزن كآبة ، بل حزن غضب ، إن صح أن يكون الحزن
غضباً .

تمنيت أن يمتد به العمر ، حتى يشهد هزيمة الهزيمة التي ما تزال تتربص
بأرضنا العربية ، في أرضنا العربية ، وتسعى للامتداد المتلون بصور شتى .
تمنيت أن يمتد به العمر ، حتى يشهد النيل الذي أحبه ، تعود مياهه من
جديد ، تصيب الخصوبة في حياة شعبه ، وحياة أمتنا العربية جمعاء ، لا في
طواحين مُستغليّه وأعدائه .

تمنيت أن يمتد به العمر ، حتى يشهد تراث عبد الناصر يتجدد
ويتألق ، بعد أن كان يتبدد ويختنق . تمنيت أن يمتد به العمر حتى يشهد
رايات السلام والديمقراطية والتقدم ترفرف فوق عروبة لبنان الموحد ..
تمنيت أن يمتد به العمر ، حتى يشهد أعلام فلسطين الثورة تحتال مظفرة
فوق أرض فلسطين .. تمنيت أن يمتد به العمر ، حتى يشهد مطالع الوحدة
العربية ، التي غناها وأغناها ، ترسخ بالحرية والاشتراكية ، في وطننا
العربي الكبير ..

تمنيت أن يطول به العمر ..
فقد كان محباً عظيماً للحياة ، مدافعاً عظيماً عن الحياة .. محباً مدافعاً عن
مطلق الحياة ، وإن يكن آثر أن يجعل من حبه لمطلق الحياة ، حباً خالصاً
ملتزماً بأتمته العربية ..

عندما التقينا أول مرة ، حسبتُ أن الفكر الفلسفي المجرد صناعته ،
وما أسرع ما تبيّنته .. . أبدأ شاكي السلاح في معارك الواقع الحي ..
والتقينا رفاق سلاح ..

لعل اجتهاداتنا في خدمة أمتنا العربية كانت تختلف .. ولكن اختلاف
الاجتهادات ما كان يصنع بيننا أبداً اختلافاً في الهدف البعيد ، أو يمنع المعالجة
المشتركة للهدف القريب .. . بل ما أكثر ما كان يعمق الرؤية لكلينا .
وكان لقاؤنا على اختلاف الاجتهادات ، معنى كبيراً عميقاً لامكان ، بل

لضرورة أن تلتقي كل الاجتهادات الثورية العربية في حضن جماهيرها لتشارك
معاً في صناعة تاريخها ..

كان يتهمني دائماً بالتفاؤل الدائم ، وهو لا يدري أن إشراقة الحياة
فيه ، رغم ما يعاني ، كانت ينبوعاً غنياً من ينابيع تفاؤلي ، وما تزال ..
لسنوات وسنوات .. كادت إرادته الحية وحدها ، أن تكون مصدر
دفقة الدم الحار في قلبه ، ولمعة الحياة في عيونه ، ومنطلق الإبداع في كتاباته
وخطواته ..

كان يرتفع ويرتفع على مرضه ، بالعمل المثمر والعطاء المتصل .. في
غمرة مرضه ، يفقد شرياناً عزيزاً لا من شرايين قلبه وحسب بل من شرايين
حياته كلها ، يفقد «سلمى» ، ابنته العزيزة ، أكمل ما تكون نضارة شباب
واعد ... ويتحول حزنه العميق العميق ، إلى مزيد من الاضافة الخلاقة إلى
ثقافتنا الحية ...

قيل لي ... قبل أن يموت سامي بساعة ، قام من سرير مرضه ،
ليصحح جملة في بعض ما كان يكتبه لنا ...
قيل لي .. قبل أن يموت سامي بدقائق ، بثوان ، كان يعلم الحكمة
لأبنائه ، وينشر البهجة في بيته ..

قيل لي .. عندما مات كان وجهه يشرق بالضياء العذب ..
وأقول .. هذا هو معنى سامي بيننا ، حياً وميتاً ... محبة للحياة تغني
الحياة نفسها وتجدها .

وأقول .. إنه باق بيننا بكل ما عانى وجاهد ، بكل ما أبدع
وأضاف .

ما أكثر ما ألف وترجم من كتب ، ولكنه ما كان أبداً مجرد مؤلف أو
مترجم ، بل كان مخلصاً لثقافتنا القومية بخبرات بشرية عميقة فيما يقدمه ويختار
لنا من كتابات وترجمات .

ما كان يترجم لغةً إلى لغة ، بل كان يترجم أغنى دروس الابداع
البشري ليغذي بها حياتنا العربية المجاهدة .

وكان .. ينسج من اللغة العربية ، أهزيج إبداع ، تعبيراً عن أدق

الخلجات وأعمق التصورات في رونق معجز .

على أن ممارسته للحياة نفسها ، كانت أرقى ترجمة لمعنى الانسان الباهر فيه ، شرف الفكر وشموخ الذات ، وجسارة الفعل وصفاء الضمير .
كان الشعر ، وكان الفروسية ، هذا الامتزاج والامتداد الاصيل الرائع لتراثنا العربي العظيم .. كان الحكمة وكان الأنس ، ما رأيت مثله حالماً أكثر واقعية من كل الواقعيين ، وما رأيت مثله واقعياً أعمق حلماً من كل الحالمين ..

كان الفكر الذي يفنى ، وكان الغناء الذي يفكر .
كان الانسان العربي ، أصالة تراث ، وتجدد رؤية ، وتفتح أفق ، وسخاء عطاء ..

أنا لا أقف لأرثي سامي أو أبكيه ، فهيهات أن أوفيه حقه ..
أنا أتسم بتواضع وتقدير ومحبة ، عطر حياته الباقي بيننا ...
وأتساءل .. كيف نجسد مشاعرنا نحوه ، وامتناننا له ، حقائق حية ...
هل اقترح أن يجمع تراثه الفلسفي والأدبي والسياسي في أعمال كاملة ، وهو صاحب الأعمال الكاملة ..

هل اقترح أن يقيم معهد قومي للترجمة ، موصول باسمه ، يكون مدرسةً لعلومها وفنونها ، وتخطيطاً واعياً دؤوباً متصلاً يخرجها من الاجتهادات الفردية ، بل أكاد أقول من التضارب وسوء الاختيار ولا أقول سوء القصد ، إلى العمل الحضاري الشامل المنتظم الذي يفذي احتياجاتنا الثورية .

أتمنى أن يتحقق هذا ، لا من أجل سامي وحده ، بل من أجل تنوير ثقافتنا العربية وتثويرها ..

على أنني أعرف ، أعرف ، أن سامي الدروبي لن يرضيه جمع تراثه ، بقدر ما يرضيه جمع الكلمة الثورية العربية ، وتوحيد نضالها ، ومواصلته بحسم وحزم واقتدار .

أعرف ، أعرف ، أن سامي الدروبي لن يرضيه معهد للترجمة ، بقدر

ما يرضيه أن نُحسن قراءة دروس الحكمة في كتاب النضال العربي ، وأن
نجدُ ترجمتها في ممارستنا الحية ..

هكذا يكون المسلك الحق ، الذي نعبر به جادين عن تقديرنا وامتناننا لسامي
الدروبي ولكل سامي دروبي آخر من شهداء الكلمة والنضال في أمتنا
العربية ..

● أن تتلاقى كل الاجتهادات الوطنية والتقدمية والثورية تلاقياً جاداً في
ساحات النضال العربي من أجل التحرر والتقدم والوحدة .

● أن تتعاقب معركة التحرير الوطني بمعركة التجذير الإجتماعي ، فلا
حياة ولا انتصار لاحدهما بغير الأخرى .

● أن نحسن التمييز بين أصدقائنا وأعدائنا لا باللسان وحده وإنما
بالممارسة النضالية .

● أن ترتفع إرادة الجماهير الشعبية بالمشاركة الديمقراطية الفعالة الحققة
في صياغة حياتها وتجديدها .

● أن تنحسم المواقف ، وتنتهي لعبة التوازنات والتنازلات غير
المبدئية .

... هذه هي الباقية التي نقدمها لقبير سامي الدروبي ولكل سامي
دروبي من شهدائنا .. باقية إصرار واعٍ على مواصلة النضال تحقيقاً لما عاشوا
من أجله ، وعانوا من أجله ، وماتوا من أجله ..

ولتطب نفساً ، ولتقر عيناً يا سامي ويا كل الشهداء ، مسدودٌ مسدودٌ
طريق هؤلاء الذين يبذرون الفتنة والعزلة والانقسام ، ويكرسون التخلف
والتبعية والاستسلام في أرضنا العربية .

ومسدودٌ مسدودٌ ياسامي وياكل الشهداء ، طريق هؤلاء الذين اختاروا
أن ينتكسوا بنضال أمتنا العربية ، بخطواتهم المتبعثرة الخائرة البائرة .

مسدود مسدود طريق هؤلاء الذين اختاروا أن يفتحوا على أعداء أمتنا
العربية ، وخصوم تحررها وتقدمها ووحدها ، وأن يغفلوا على أشرف أبنائها
وأصدق أصدقائها وأنبل أشواقها ..

مسدود مسدود طريقهم بكل ما تبذله سواقيهم المجذبة المتسولة من
جهود ومحاولات .

أجل يا سامي وياكل الشهداء .. بقدر حزننا عليكم ، وخسارتنا
فيكم ، وامتناننا لكم ، سيتضاعف تفاؤنا ، ستتضاعف مسئوليتنا ،
سيتضاعف نضالنا ..

هذا وعدنا .. وعهدنا ..

وبعد ..

عزاء لأسرتك الصغيرة العزيزة ، الوالدة ، احسان ، ليلي ، مصباح
وبقية الأسرة الكريمة . عزاء لأسرتك الكبيرة ، أسرة النضال السياسي وأسرة
النضال الثقافي وأسرة جماهيرنا العربية التي قدرتك وأحببتك .

وسلاماً عليك ياسامي ، صديقاً ورفيقاً ونموذجاً عربياً وانسانياً
.. باهراً ..

ونحية لسوريا العظيمة التي أنجبتك ..

كلمة الدكتور حمدي السيد من جمهورية مصر العربية

سيداتي وسادتي

- ما كنت أتمنى أن أقف هذا الموقف الصعب لأرثي سامي الدروبي .
- إن فجيعتي فيه يعجز اللسان عن التعبير عنها ، فلقد صاحبت في آخر
عشر سنوات من حياته كنت فيها قريباً إلى قلبه ونفسه وقضيت معه ساعاتٍ
وأياماً ، وسافرت معه إلى آخر بلاد الدنيا ، ورافقته في مشوار مرضه
الطويل . . .

- كنت أشعر بالفخر لأنه من بين الناس جميعاً اختصني بثقته ، ومن بين
الأطباء جميعاً أولاني شرف رعايته . . .

- لقد أعطاني الكثير من عقله وفكره واكتشفت فيه الانسان ،
واكتشفت فيه الفنان والشاعر والعاشق ، العاشق لكل ألوان الجمال ،
والمحب لكل القيم العظيمة والنبيلة في الحياة . . .

وعرفت فيه أيضاً الانسان المؤمن والمناضل ، المؤمن بعروبه والمناضل
في سبيل وحدة أمته ، والمعتز بقوميته ولغته وتراثه .

- كان يحلم بمستقبل باهر لهذه الأمة العظيمة ، وكان يؤمن بأن كل
ما أصابنا من محن وكوارث ما هي إلا سحببات صيف لا تلبث أن تنقشع ،
وكان في أحلك الظروف والأوقات لا يطيش صوابه بل دائم التفاؤل ، وكنا
عندما يدركنا اليأس يعيد إلى نفوسنا الهدوء والتوازن . . .

- لكن أعظم ما عرفت في سامي الدروبي هو الانسان الصامد الصابر
في معركة المرض ، كان مرضه ملحمة عظيمة من الصبر والحرمان والصمود .

صبر على المرض وآلامه ، وحرَم نفسه من كل أطيب الحياة وصمد وناضل من أجل أن يعمل وينتج ويؤلف ويترجم حتى وهو على فراش الموت .

- كان يشكو من علةٍ في قلبه ، وتفاقت العلةُ على مر السنوات وكان علاجه يتطلب حرماناً شديداً ، وكان طعامه بسيطاً لاطعم له ، وحرَم من التدخين الذي كان شغوفاً به ، وكان له تعليقٌ ساخرٌ على ذلك بأن كلَّ ما هو لذيذٌ في الحياة ضارٌ بالصحة .

- لم يكن يتمسك بالحياة حباً في الحياة ، لأنه كان محروماً من كل ما يحبه فيها ، ولكنه كان يتمنى أن يطول به العمر حتى يحقق حلمه في أن يترك للمكتبة العربية تراثاً ثقافياً وأدبياً ضخماً ، وكان يتمنى أيضاً أن يطول به العمر حتى يرى كل شبر في الأرض العربية وقد تحرر وأن يتحقق حلمه في الوحدة العربية الشاملة . . .

- في عام ١٩٦٩ تبين من الفحوص أن علة قلبه قد تقدمت بحيث أن احتمال بقائه على قيد الحياة لأكثر من عامين احتمالٌ قليل ، ولكن تمسكه بالحياة ونضاله الفذ ضد المرض مكنه من أن يعيش سبع سنوات منتجة بعد هذا التاريخ ، تحمل خلالها ثلاث نوبات قلبية كبرى كل منها كانت تكفي لانتهاء الحياة ، وحقق في هذه السنوات السبع نتاجاً أدبياً وفكرياً كبيراً .

- كان إلى جواره سيدهُ عظيمة هي زوجته ، كانت رفيقة كفاحه ، شجعتة وشدت من أزره ، وسهرت الليالي الطويلة في رعايته ، وتحملت من الصدمات ما يفوق طاقة البشر ، وكم من ليالي استيقظت فيها على نوبات آلام مبرحة بالصدر نتيجة لعجز الشرايين الاكليلية عن تروية عضلات قلبه ، وقبل أن يمد يده لأخذ قرص الدواء المسكن يجدها أسرع منه إليه ، وكان دائماً يتساءل هل هناك «سلك» غير منظور يربط ما بين قلبه وقلبه بحيث تشعر بالآلام فور حدوثها ؟ ولكن هذا السلك الغير منظور لاشك أنه سلك الحب والوفاء والمودة والتراحم . . .

كان يبادلها حباً بحب ، ووفاء بوفاء ، كان يحاول أن يتظاهر بالصحة أمامها وكان يخفف ويهون عليها شدة ما يعاني من آلام ، وكان يصارحني

دائماً بأنه يخشى عليها وعلى صحتها من شدة قلقها عليه .

- في حياتي المهنية الطويلة لم أجد مثل ما وجدت في زوجة سامي الدروبي من تفانٍ لم يفتر ، وحنان لم ينضب ورعاية لم تهتز على مدى سنوات مرضه الطويلة . . .

أذكر أنه في أيامه الأخيرة حضر للقاهرة لينهي بعض أعماله الخاصة بكتبه وترجماته ، وكان يبدو عليه الضعف الشديد ، وكنت أشعر أن النهاية قد قربت لأن النوبات القلبية كانت تعاوده كل يوم تقريباً ، وزوجته الوفية إلى جواره لاتغيب عيناها عن أنفاسه لحظة ، وفي إحدى فترات انتعاشه عرضت عليه أن يزور أحدث قسم لجراحة وأمراض القلب بمستشفى جامعة عين شمس والذي أشرف عليه ، لاجراء بعض الفحوص ، وكنت أعلم أن زيارة هذا القسم ، الذي أعدّ على أحدث مستوى ، سيسعده كل السعادة ، لأنه كان يحز في نفسه جداً ، اضطراره للسفر إلى أوروبا وأمريكا لاجراء الفحوص المتطورة ، والتي لم تكن أجهزتها الباهظة التكاليف قد توفرت بعد في الوطن العربي ، وكان يحز في نفسه أيضاً أن الأطباء الذين أجروا له هذه الفحوص هناك كانوا من الأطباء العرب الذين تركوا بلادهم لنقص الامكانيات .

وأثناء زيارته للقسم كان يبدو عليه الرضاء والفخر ، وعندما كنت أعرض عليه أحدث أجهزة الفحوص والانتعاش والعلاج ، قال «أظن أن علة قلبي قد تفاقمت ، وعندما تحين منيتي لن تستطيع أجهزتك انعاش قلبي وإعادةه للحياة» .

تظاهرت بالانشغال وتجاهلت هذه الملاحظة وقدمت إليه أحد مساعدي من الأطباء الشبان . .

وعندما قلت للطبيب الشاب هذا هو سامي الدروبي هل تعرفه ؟
أجاب الشاب بسرعة «هل هناك في الوطن العربي من لا يعرف سامي الدروبي أو ينكر فضله على الثقافة العربية ؟ لقد قرأت له كل ما كتب وإن أسلوبه في الترجمة لم يسبقه إليه أحد» . . .

احمر وجه سامي الدروبي الشاحب ، واغرورقت عيناه بالدموع

ولعله وجد في إجابة الطبيب الشاب ما عوضه عن سنوات طويلة من المعاناة
والصبر

سيداتي وسادتي

لا أجد وداعاً لسامي الدروبي خيراً مما ودعه به الأديب رجاء النقاش
حين قال :

«وداعاً يا سامي ، يا أنشودة الجمال والصبر والعذاب ، كم كنت قوياً
ورائعاً ، كم كنت جميلاً ونبيلاً في حياتك وثقافتك وسلوكك مع الدنيا
والناس ، كم كان كل شيء فيك نقياً وصافياً ومثيراً للحب والاعجاب .
ومهما كانت قسوة الموت فستبقى يا سامي على مر الأيام مثلاً أعلى لكل
ما هو حقيقي ونبيل في أرضنا العربية» .

كلمة الأستاذ يوسف الخطيب

وداعاً يا سامي

يوم أن اعتلينا متون أحلامنا البعيدة
أيها الصديق الراحل ، المائل . كأريج بستان
كنت أنت أسبقنا ، وأصدقنا
على متن جوادك العربي المطهّم بقلائد النجوم .
كانت الحرية عشقنا ، وتوقنا
وقلبك النابض أبداً بالحياة
كان قيثارتها المرسلة ، المشدودة الأضلاع .
كانت الوحدة حبنا الرائع ، الضائع
ونحن معاً نشق في إثرها صدر ذلك الليل
برؤوس أرقامنا الملتزمة كرؤوس الرماح .
والليلة ، أيها الصديق الراحل عنا ، المائل بيننا
أشهد في لون جرحك أن هذه هي الشهادة
وأشهد في حزن موتك أن هذه هي الولادة
لأن ما بين نقطة الحبر الجريحة حتى خلوص الضياء
وبين نقطة الدم المسفوحة على أرض الفداء
يكتسي الحلم كل ألوانه المبدعة ، البارحة
ويوم تبتسم شفاهه أطفالنا الآتين
سترتسم حتماً على شفاه أطفالنا الآتين
كل أمكنة الخيال ، وكل أزمنة الحنين . .

فلنمزج خمرتنا جيداً
ولنشرب في حبك نخب الليلة ،
من دالية جميع الأفراح ، ومن ساقية جميع الأحزان .
ثم ، ماذا أضع الليلة عند رأسك أيها الصديق العظيم
وأنت الذي أغنيتي ..
أغنيتنا .. بتذكاراتك الخالدة التي لا تزول ..
سأعتزل الليلة ، عليّ أستطيع أن أجري رياح الأرض .
فأسوق إلى ثراك الطاهر
غيمة من أعلى الجليل ، وغيمة من سفوح الخليل
سأعتزل الليلة هائماً وحدي على تلك الربوع
حتى أضفر لجيبك الشهم إكليلاً من نعمان القدس
ومن حبك اللطرون ..
سأعتزل الليلة ، حتى أنفر عند رأسك النبيل
جوقة عرس من كل عصافير فلسطين
وسأعتزل الليلة حتى أرسم فوق شاهدة قبرك
كل أنهار فلسطين ، وكل غزلان فلسطين
لوحه حب ، وأراجيح ، وأعياد ، وبساتين
فذلك أيها الصديق ، الرفيق
كل ما في الوسع ، الآن ، أن أفي من دينك العظيم
ووداعاً ياسامي
ولنشرب من حبك نخب الليلة
من دالية جميع الأفراح ، ومن ساقية جميع الأحزان

كلمة السيدة الفت عمر باشا الادلبي

توهج الشهب لحظات خاطفة تبعث خلالها بأقصى ما لديها من ألق قبل أن تنطفئ انطفاءتها الأخيرة وتصير إلى مقرها السرمدي الأخير .
هكذا كان سامي الدروبي ، شهاباً خارقاً في دنيا العروبة ، ظل يتوهج عشر سنوات كاملة تأبى شعلة روحه أن تهوي عن ذراها الشاخنة لتسكن في مشاها الأبدى .

ظل هذا الشهاب المعجزة يصارع الموت بتصميم عنيد يوماً بعد يوم ، وأحياناً ساعة بعد ساعة ، والمعجزة الكبرى أن همته لم تفتّر خلال هذا الزمن الطويل من مرضه القهار كما تفتّر همم المرضى والضعفاء ، فهو لم يكف عن عطائه الخير في مواقفه كلها كأديب مفكر ، وسياسي مسؤول ، وصاحب عقيدة ، وحامل شعلة ، ورب أسرة .

لأنه حينما كان يكتب ينفث لهات روحه على الصفحات فإذا هي نفحات من الجمال الخالد . وكيف لا تكون كذلك وهي حشاشة روح تشع لتنطفئ ، وعصارة قلب يذوب ليسيل أسطراً وحروراً .

كان أطباؤه يتساءلون حيارى : كيف يستطيع قلب كادت تُسَدُّ شرايينه ، وتلف عضلاته أن يتحمل طموح صاحبه العملاق الذي ما كَفَّ عن ارهاقه بما لا يستطاع .

من لنا بمن يدرس هذه الظاهرة ليكتشف إلى أي مدى تستطيع قوة الانسان الروحية أن تتحكم بتركيبه المادي ؟

لقد كانت هذه الروح الجبارة ، روح سامي الدروبي ، في سباق دائم مع الزمن . لقد أنتج صاحبها خلال عمره القصير ما يزيد على خمس وثلاثين ألف صفحة ، مؤلفة و مترجمة . اختار فيما ترجم منها أروع روائع الأدب العالمي ، وبخاصة الروسي ، فنقلها إلى العربية بدقة صارمة ، ولغة فصحي مشرقة ، حتى ليخيل للقارئ أنها وضعت كلها بالعربية .

وكان إذا ألف كتب بعاطفة رصينة ، وأسلوب سهل ، يتميز بالعدوبة والرشاقة مع قوة في التعبير ونقاوة في الصقل ، واحكام في النسخ .
لكم هي غالية علينا هذه الصفحات يا سامي ، لقد أغنيت بها أدبنا العربي ، ستظل خالداً فيها بيننا دائماً أبداً ، كلما عدنا إليها ، وما أكثر ما سنعود ، سنرى خيالك ماثلاً بين كل سطر و سطر ، وبين كل فاصلة ونقطة ، وكم نسعد حينما يخيل إلينا أنك ما زلت معنا ، وأنت في عالمك الثاني .

ذكرى : ولعلها من أمضى الذكريات على قلبي ، يوم ذهبنا إلى المستشفى العسكري لنعزي الدكتور الدروبي ، المريض بقلبه ، المفجوع بابنته الصبية في حادث أليم .
وان أنسى لا أنسى ماحييت تلك الدموع المحبوسة في مآقيه الحمر التي كانت تبرق في عينيه الصافيتين فتشفان عما يضطرم بين الجوانح من لوعة وأسى .

كنت أرى في عينيه يومئذ نوراً علوياً غريباً ، يلائم بين عدوبة الطفولة ورقنتها، وقوة الرجولة وقدرتها على الكبت والصمود . ولعلي كنت أتساءل :
أهكذا كانت عيون الأنبياء عندما كانوا يمتحنون بالمصائب والنوائب ؟
ومهما نسيت لن أنسى أيضاً زوجه الشكلي التي تربطني بها أواصر صداقة وقربى ، هي رفيقة أولادي ، أكن لها ما أكن لهم من حب وعطف ، لن أنساها أبداً وهي تمشح إذ ذاك معه الشكل ، وتتحامل ما استطاعت لترسم على فمها ابتسامة رضا ، تخلع ثوب الحداد عندما ينصرف عنها المعزون ، وترتدي الثوب الزاهي ، وتهرع إلى المستشفى حيث زوجها ، لترفه عنه ، وتهون عليه المصاب الأليم .

كم من مرة رأيتها تضرع إلى بارئها ليقبل ابتها الصبية فدية لأبيها
المريض . لقد عرفت هذه الزوجة كيف تستمد من روح زوجها العظيم
الصبر ، ونكران الذات ومواجهة النكبات .

أيها الصديق الغالي سامي الدروبي ، إن رحيلك المبكر عنا كارثة
لاعزاء لنا فيها ، لقد كنت الغيور على وطنه ، الباذل لأمته ، الثائر على الظلم
والظغيان ، الأمين على مسؤولياته ، الحادب على أسرته . الوفي لأصدقائه .
لئن غبت يا سامي عن الأحداق ستظل شعلة مشرقة في أذهاننا ، ولوعة في
قلوبنا ، نحن قراءك في وطنك العربي الكبير ، وأهلك ، وأصدقائك ،
وظلابك ! ، وان صوتنا ما هو إلا ومضة من وفاء نبيل عرفناه بك واستودعك
الله إلى حين الملتقى .

كلمة الدكتور

بديع الكسم

أصدقاء سامي كثيرون في مشرق الأرض العربية ومغربها . وكل منهم يَكُن له عاطفة اكبار ومحبة . أما من عرفه الحياة والفكر فقد أحس احساساً بأن أصالة الروح أقوى من منطق الزمن .- عرفناه قبل الاستقلال إرادة واعية تدق أبواب الحرية كلها ، حرية الوطن وحرية المواطن وحرية العقل في الكشف عن الحقيقة . وذهبنا في طلب العلم إلى القاهرة . وعاش سامي فترة الجامعة كالوتر المشدود بين الأخذ والعطاء . كان يتلقف من المعاني التي تُحسب الوجدان ، وترسُخ لديه الايمان بالكرامة والعدل .

وكان يمتحن قناعاته بالحوار والجدل . وأشهد أن رفاقه كانوا يرضون كل الرضى عن الكثير الكثير مما يرى وما كانوا يخالفونه إلا في القليل . وأشهد أيضاً أن الأيام قد بينت أنه كان الأعمق نفاذاً في أكثر هذا القليل .- كان سامي يأخذ من ضمير أمته التي يؤمن بعقريتها ، ومن تراث الفكر الانساني كل ما يستطيع ؛ وكان يعطي الفكرَ وأمته أكثر مما يستطيع . وقد رأيناه في جامعة دمشق يخلص للأمانة التي حملها لتكوين الأجيال . وقد كان يمكث الساعات في مخبره الصغير وغرفته الضيقة بالكلية ، يُعنى بكل جهاز من أجهزة التجارب النفسية . وحين كان يتخذ من موضوع اختبار ، اختبار لنا ولالاته العجيبة ، أو كان يطبق علينا رواثزه في قياس المهارات أو في جوهر الشخصية ، ما كنا في أكثر الاحيان ، ندرك من النتيجة إلا ابتسامته الرقيقة . وكان عزاؤنا الخفي أن ثقة سامي بالآلة لم تكن بغير حدود . فقد كنا نعرف اهتمامه الخاص بالعلاقة بين الفكر واللغة ، أي بين الباطن والظاهر ، بين الأعماق والمرثي على

السطح . ففي قدرة اللغة أن تفصح عن جانب أو جوانب . ولكنها تجفل أمام الأعماق . هذه الأعماق لا يقربها إلا جلدس الفنان الكبير .

وكانت الوحدة التي ملأته بالفرح ، ولهبت حماسه للعمل المنتج . وقبل زوال الانفصال بليلة واحدة سمعه الكثيرون في دمشق يرفع صوته بكل قوته وإيمانه ويقول : أمتنا واحدة . ثم انفتحت أمامه مجالات واسعة ليخدم وطنه الصغير ووطنه الكبير بالحضور الفكري والمبادئ الثابتة ، والأمل العريض .

وقبل أن يفارقنا بأيام قليلة طلب إلي أن أحضر له كتاباً كان قد قرأه وأحبه منذ أكثر من ثلاثين سنة . وأتيته بالكتاب فابتهج كل من حوله . ثم تحدث إلينا عشية الوداع عن ذكرياته وتطلعاته ، وكان حديثاً مشرقاً نابعاً من صفاء الذهن وتدفق العفوية . فانكشفت أمامنا بجلاء تام وحدة أفكاره ووحدة آماله ، وقلت في نفسي : إن الحفل الذي سيقام بعد أيام تكريماً لسامي ، لا بد أن يعكس . في أقوال المتحدثين عن فكره وإنتاجه ونضاله ، هذه الوحدة العميقة التي تربط بين أعماله كلها . وما خطر في بال أحد منا أننا نودعه . ولكن لقد كنا بحضرة وداع مؤقت وفي الوقت ذاته لم يكن هناك وداع على الإطلاق ؟

فسيبقى سامي قوة نضالية في حركة أمته ، وسيبقى فكراً خصيباً في ثقافة عصره . وسيبقى نموذجاً حياً للعطاء الصادق في أفق الأجيال العربية وسيبقى نظرة حنانٍ محضٍ خالص في بيته وأسرته . وسيبقى معنا جميعاً ، نحن الذين عرفناه وأحببناه ، الصديق الوفي الذي لا يغيب .

كلمة السيد مصباح الدروبي

نجل الفقيه

ماكنت أدرك أن الكلمات تعجز كل هذا العجز عن التعبير عما يضطرم
في النفس من شعور وأحاسيس إلا عندما أحبيت أن أتحدث إليكم عن أبي .
وإني لأتساءل الآن : أية صورة من تلك الصور السامية أستطيع أن
أنقلها إليكم دون أن تبته ألوانها أو تفقد روعتها .

هدوء الليل والمصباح الخافت وأبي منحني على أوراقه يكتب بلا انقطاع
ومن حوله أدوات الاسعاف : جهاز الأوكسجين ، زجاجة «النيسترات»
الموسعة للشرايين وغير ذلك ، وظل جسده النحيل يرتسم على الجدار المقابل
ضحياً عملاقاً .

أتكون الظلال في بعض الأحيان أكثر صدقاً من الواقع .
أمي في سريرها توهم أبي أنها في سبات عميق ، وماهي بالنائمة أبداً ،
وكم كنا أختي وأنا نتسلل من غرفنا نلتقي أمام غرفة بابا . لقد جئنا لنطمئن
عليه وقد تركناه قبل قليل يعاني ما يعاني من ألم وضيق فتفاجئنا هذه الصورة
الفريدة .

كنت أقف أنا وأختي نتملى هذه الصورة دون أن يشعر أبي بنا نرتجف
خوفاً ووجلا من أن نفقدنا ذات يوم وها نحن أولاء قد فقدناها .
فيا لعداحة ما فقدناه ويا لقساوة هذا القدر .

منذ ابتلى أبي بمرضه القهار أيقن أنه على وشك الرحيل عنا فكانت تجول
في عينيهِ الصافيتين المعبرتين نظرات وداع اليمّة كلما رَناَ الينا كان يخفيها عنا
ما استطاع ، يبدها بابتسامة أو ضحكة أو نكتة يرويها لنا يحاول أن يبعثنا

عن الكارثة التي تخيبي بنا ، كي لا نفقد شيئاً من مرح الطفولة أو هو الشباب . كم كان بارعاً في تمثيله هذا ، لقد جعلنا نعتقد حقاً أن أبانا سليم معاف ، وأنه سيبقى حياً بيننا .

صور وصور ، تنداح أمامي ، ما أعجزني وأنا في حالتي هذه أن أنقلها إليكم صادقة كل الصادق في أبعادها وألوانها وظلالها .

ولكن ، لا بد لنا أن نكتبها ذات يوم أمي وأختي وأنا لتظل أمثلة طيبة لنا وذكرى باقية من أبي الذي كافح وناضل وجاهد وكان مجلياً دائماً أبداً .

إن أئمن ما خلفه لنا والذي هو ثروة من الأصدقاء الأوفياء الذي ما انقطعوا عنا أبداً وظلوا على حبهم ووفائهم القديم . وإن أكبر عزاء لنا ما شملنا به من محبة سيادة الفريق حافظ الأسد الذي كان لأبي طيلة مرضه مواسياً ومشجعاً ، ثم كان لنا من بعده مواسياً ومشجعاً أيضاً . فله منا الشكر والامتان . حفظه الله للوطن وللعرب جميعاً .

كما أننا نتوجه بالشكر الجزيل لرئيس مجلس الوزراء ، سيادة الأستاذ محمود الأيوبي ، ووزير الدفاع سيادة اللواء مصطفى طلاس اللذين على الرغم من مسؤولياتهما الكبيرة لم ينسيا أبداً من كان أستاذهما وظلا على ودتهما ووفائهما كأحلى ما يكون الود ، وأجمل ما يكون الوفاء .

وإني لأشكر أيضاً باسم أسرتنا أصدقاء أبي وزملاءه الذين تحدثوا إليكم عنه بما أوحته ذكرياتهم معه وقراءاتهم له وأقدم امتناني للذين تحملوا مشاق السفر لمشاركتنا في هذه لذكرى الحزينة نجلا الزعيم الخالد جمال عبد الناصر .

كما أشكر اتحاد الكتاب العرب الذي كان قد قرر إقامة حفل تكريم لأبي ، فأبنت المنية إلا أن نقوله إلى حفل تأبين . وأشكركم جميعاً على مشاركتكم لنا في هذه الذكرى الأليمة .

جورج صدقني

لست أدري ، في الحقيقة ، إن كان قد آن الأوان لكتابة أية دراسة تحليلية عن سامي الدروبي . لأنه - إذا كان من المتفق عليه أن يكون التحليل دقيقاً وحيادياً - ليس منا من يستطيع أن يرتضي لنفسه برود الحياء وفتور الموضوعية ، حين يكتب عن إنسان ربطته به أوثق الأواصر . كيف أخرج من نفسي لأقول كلاماً هادئاً عن سامي الدروبي ؟ وهل أبقى - إن فعلت - أنا نفسي الذي أتحدث ؟ أو ليس سامي الدروبي جزءاً من تاريخ جيلنا كله ، وجزءاً من تاريخي الشخصي أخاً وأستاذاً ورفيق فكر ونضال ، وقبل كل شيء وفوق كل شيء صديقاً كريماً رائعاً ليس له نظير ؟

ولعلمني - لهذه الأسباب - آثرت أن يكون كلامي عن وجه واحد من وجوه حياته ، عن أقرب الوجوه متناً من زاوية البحث والتحليل ، أعني سامي الدروبي المترجم . ولكنني أعترف بأنني سأكون عاجزاً - حتى في هذا المجال - عن حبس عاطفتي أن تسبغ على الحروف لوناً من الحب الحزين .

- ١ -

في مدريد أصر إصراراً على أن يأخذني بنفسه - رغم مرضه وعلة قلبه - إلى طليطلة . وفي طليطلة قادني إلى مسجد صغير من آثار الأماجد الغابرة . وهناك شرع يشرح لي : انظر هذا العمود ، كم هو رشيق الصنع . . . انظر الأقواس . . . الأحجار المنمنمة الصغيرة فكأنها من الأجر . . . رأيت إلى النور كيف ينسكب هادئاً من شقوق النوافذ ، فيضفي على النفس سكينه تغري بالصلاة ؟ هذا المسجد الصغير أروع من كل ما شاهدت في قرطبة وفي غرناطة . . . هنا تشعر أنك في بيت الله ، وفي بيتك أيضاً .

قلت : كثيرون نالوا فرصة زيارة هذا المسجد الجميل ، ولكن من فاز مثلي بدليل سياحي عظيم ؟ فضحك ضحكة رضى .
كنت - وأنا أصغني إليه يشرح لي شرحاً ضافياً ، ويحرص على أن ينقل لي كل ما يعرف عن كل حجر من أحجار ذلك المسجد - يملكني شعور بأنني قد لمست شيئاً من حقيقة المترجم في شخصية سامي الدروبي الانسان : لقد كان يترجم أكثر مما يشرح . سامي الدروبي كان يجب التواصل الانساني ، ويرتاح الى نقل مشاعره واحساسه بالجمال إلى الآخرين ، ولذلك كان مترجماً . كان يغار من الثقافة الأوروبية إعجاباً بها ، وكان غيرياً يابى أن يجهل أبناء العروبة ما يعرف من كنوز هذه الثقافة ، حريصاً على وضع هذه الكنوز في متناول الجميع ، ولذلك وجد سامي الدروبي نفسه في الترجمة ، ووجد نفسه مترجماً .

- ٢ -

كان سامي الدروبي يجب أن يترجم ، ولكنه لم يكن مترجماً هاوياً ، ولا كانت الترجمة هواية لديه . كانت الترجمة في نظره رسالة حضارية . ولطالما بشر بأن هذا العصر من تاريخ العرب يجب أن يكون عصرًا للترجمة . ولطالما حلم بأن يكون هذا العصر عصر الترجمة الثاني بعد عصر الترجمة الأول أيام العباسيين . ورأيه في ذلك أن الأمة العربية بأمس الحاجة إلى أن تفتح نوافذها للهواء والشمس . ولم تكن الترجمة لديه رسالة يبشر بها بالكلام وحسب ، بل انبرى بنفسه إلى حمل لوائها فكان عالماً من أعلامها البارزين .
ولعل في هذا تفسيراً لقلته ما ألف - على جودته - بالقياس إلى غزارة ما ترجم إلى العربية . لقد كان سامي الدروبي مفكراً ممتازاً دون أدنى ريب ، ولكن لعل أبرز أفكاره الممتازة أنه كان يعتقد اعتقاداً جازماً بأن نهضة الأمة العربية وبعث تراثها وأمجادها يقتضيان الاطلاع الشامل على الحضارة الحديثة ، وتمثل وجوهها المختلفة فكراً وفلسفة وأدباً وفناً الخ . . ومن هنا كان إيمانه برسالة الترجمة .

وسامي الدروبي المترجم ذوهمة وحمية لا يترك الأعباء على الآخرين ، بل لعله كان يساوره القلق - على كثرة المترجمين ، وعلى تباين كفاءاتهم - أن يحمل كتاب أحبه فلا يترجم ، فيبادر إلى ترجمته بنفسه . بل لعله - فوق ذلك - كان يضيق ببعض ما يظهر من ترجمات سريعة وسطحية ، فيشعر بمسؤولية إعادة ترجمتها بنفسه ، ولقد فعل في بعض الأحيان .

كان سامي الدروبي يحس بأن ترجمة الثقافة الأوروبية مسؤلية شخصية : وإني لعل مثل اليقين بأن طموحه جعله يحلم بأن يترجم بنفسه كل ما اطلع عليه من روائع الفكر والأدب في العالم . لكنني به كان يقول : ليت روائع الفكر والأدب في العالم جمعت في مجلد واحد ، إذن لترجمته واسترحت .

ولكن سامي الدروبي كان يعيش مع الموت في كل يوم : يسير معه في طريقه ، ويجلس بجانبه إلى المائدة ، ويتنام معه في السرير . كان في سباق رهيب مع الزمن ، وكان أكثر ما يخشاه أن يخذله جسده فلا يستمر في العمل والعطاء . كان أسوأ ما في المرض في رأيه انه مذل مهين ، ترفضه طاقة الروح ولكن طاقة الجسد تسلمها للخذلان .

سألته مرة عن حاله فقال : علة قلبي على حالها ، ولكنني مصاب بالأرق ، إنني أكاد لا أعرف طعماً للنوم . ثم أضاف : ولكنني وظفت هذا الأرق في ترجمة تولستوي . تعال انظر كيف أعمل .

وأخذني من يدي إلى غرفة عمله الصغيرة : غرفة كالمحراب ، طاولة في ركن منعزل ، وكتب وأوراق وأقلام ، ومقعد ، ونور هاديء . ثم قال : هنا أعمل . الكل ينامون ، وأنا أعمل هنا حتى مطلع الفجر .

قلت في نفسي : (راهب في صومعة !)

هذا الراهب ذو الجسد العليل قدم للمكتبة العربية زاداً يغذي نفوس قراء العربية إلى زمن طويل .

كان سامي الدروبي فنائاً يحب الجمال ، ويصنع الجمال أيضاً . أما

العربية فلم يكن يجيها وحسب ، بل كان يهيم بها حباً ، ويتأمل جمالها كالعاشق الوهان .

وسامي الدروبي يقرأ الفكرة في أصلها باللغة الأجنبية ، ولكأنني به تروقه الفكرة وتستهويه ، ولكنه يرثي لحالها ، ويريد لها أن تخلع أسماها البالية وتلبس ثوباً عربياً قشياً يبرز مفاتها .

لن نفهم سامي الدروبي في ما ترجم ، إذا لم ندرك فيه الفنان الذي يهوى الجمال ، والشاعر الساحر البيان ، والعاشق الوهان الذي يرى في العربية أجمل لغات الأرض .

إنك ، إذا ما قرأت ترجمات سامي الدروبي ، تنسى نفسك ، وتتوهم أنك تقرأ نصاً عربياً أصيلاً ، لم ينقل من لغة أخرى ، بل كتب بالعربية منذ البداية : أسلوب مرهف ، رشيح العبارة ، جميل العبارة ، وبكلمة واحدة تشعر أنك أمام بيان عربي ساحر ، بل أكاد أجزم أنك ، لو أمعنت النظر في بعض العبارات ، لوجدت أنها ذات وزن وموسيقا .

بل إنني لأجرؤ على القول إن سامي الدروبي ، وهو يترجم ، كان يمارس نوعاً من التقويم ، إذا صح التعبير ، فكان الفكرة في الأصل معبر عنها بلسان أعجمي معوج ، وهو بترجمتها يعبر عنها بلسان عربي مستقيم فصيح .

- ٦ -

ذات مرة ، أشار الفيلسوف الفرنسي المعاصر بول ريكور إلى صعوبة الترجمة ، فتحدث عن أن في كل لغة منطقاً معيناً ، وأن لكل لغة عبقريتها الخاصة بها ، وأن لغة كل شعب هي - بمعنى من المعاني - ثقافته وفكره وتراثه الحضاري . وهكذا تكاد كل لغة تكون عالماً مستقلاً عن سائر العالمين ، وبالتالي تكاد الترجمة تكون مستحيلة ، لأنها أشبه بالانتقال من عالم إلى عالم آخر .

لقد كان سامي الدروبي ، دون أدنى ريب ، آخر مترجم يمكن أن يجد أثراً لهذه الصعوبة ، إذا نظرنا إلى الأمر من زاوية القدرة والكفاءة ، لأنه كان ضليعاً في اللغات التي ينقل منها - ولاسيما الفرنسية - وكان في الوقت نفسه

الكأ ناصية التعبير بالعربية .

ولكن الواقع كان على النقيض من هذا التوقع تماماً : فسامي الدروبي - وعلى وجه التحديد ، بسبب من تمكنه من اللغتين التي ينقل منها والتي ينقل إليها ، وبدافع من أمانته الكلية أيضاً - كان أول من يعرف أن نقل العواطف والأفكار من لغة إلى أخرى يغيرها ، مهما بلغت أمانة النقل والترجمة .

كان يعرف أن الترجمة الكاملة مستحيلة ، ولكن هذه المعرفة تحولت لديه إلى نوع من المعاناة في ترجمته ثلاثية الأديب الجزائري محمد ديب (الدار الكبيرة - الحريق - النول) من الفرنسية . وقد عبر عن هذه المعاناة خير تعبير في مقدمة الترجمة . إن الأدباء الجزائريين ، الذين عبروا بالفرنسية ، حالة فريدة من نوعها ، أفصح عنها الأديب الجزائري مالك حداد بقوله : «الفرنسية منفاي» . فكأن الانسان في هذه الحالة معقود اللسان ، يعبر عن خلجات نفسه بلسان غيره . وما أشقى الانسان يضطر أن يجعل من لسان غريب ترجماناً عما يجول في خاطره ، ويحس أن هذا اللسان الغريب لم يحسن التعبير ، ثم يلجأ إلى لسانه فلا يسعفه لأنه معقود .

كان سامي الدروبي يشعر - وهو يترجم الثلاثية الجزائرية - بأنه كمن يحاول أن يفك عقدة لسان محمد ديب ، فهل نجح في ذلك ؟ لانظن أنه فعل ، ونجزم بأنه لم يكن بوسع أي إنسان آخر أن يفعل . إن ترجمة الثلاثية رائعة ككل ما ترجم سامي الدروبي ، إذا أدخلناها في عداد الأدب الفرنسي المترجم إلى العربية . أما إذا رأينا في الثلاثية أدباً جزائرياً معبراً عنه بالفرنسية ، فإن ترجمتها الحقيقية هي أن نجعلها ما كان محمد ديب سيقوله لو لم يكن «معقود اللسان» . هنا تبرز استحالة الترجمة الكاملة بأجلى معانيها ، ويعبر سامي الدروبي عنها في سياق حديثه عن الأدب الجزائري المعبر عنه بالفرنسية ، فيقول إن كتابة هذا الأدب بالفرنسية جعلته يفقد شيئاً من رواته ، وترجمته من الفرنسية تفقده شيئاً من رواته أيضاً .

- ٧ -

لو أطلقت لخيالي العنان لجمع بي وطار إلى مجاهل المستقبل : ولرسمت

لي تخيلتي أن العرب قد بعثوا أمجادهم ، وأقاموا دولتهم ، وأن مؤرخي ذلك العصر القادم كتبوا عن أيامنا هذه ، فقالوا : « . . . ومن عوامل البعث العربي ما عرفته هذه الحقبة من نشاط في ميدان الترجمة . لقد تميزت تلك الحقبة بكثرة عدد المترجمين ، وكان سامي الدروبي أشهرهم على الاطلاق ، وقد تميز بغزارة الانتاج ، والامانة ، والدقة ، وطلاوة الأسلوب ، كما تميز قبل هذا كله بوعيه المهمة القومية التي كان يقوم بها وهو يترجم » .

جيل الأمانة

بعضهم قضى نحبه والبعض ينتظر

أنطون مقدسي

اذ أذكره أنسى السفير والوزير ، أنسى السياسي ، أنسى الاستاذ
والكاتب والمفكر . . .

وربما نسيت الصديق ، وعمراً اجتزناه معاً ، وقد أنسى التاريخ .
اذ الصورة الاولى هي الأبقى ، الكل فيها ، وكأنها هي موجودة
بذاتها ، تلازمك ، تستدعيك ، تقسرك ؛ وسيان استجبت أم لم تستجب
فهي تعيش لذاتها عالماً له قوامه ومقوماته .

والبدء صورة ، وفي البدء تتحدد المصائر .
وكان بدؤنا في الربيع ، ربيع الشباب ، وتدشين العمر احتفال
بالربيع .

وبقي الربيع يأتيني معه .

كانت الأمة ، يومها ، تعيش ربيعها : فالاستقلال يستدعي الثورة ،
والنهضة البعث . . ؛ والوضع الجديد جيلاً جديداً ؛ وهي ، اذ تتمخض عن
الانقلابات الجسيمة التي ستلي ، تختار ممثليها وقادتها ، تختار ، بالاحرى ،
الارض التي ستبنتهم . فقد آن للشعب ان يبرز إلى ساح التاريخ ويمثلها .
لم يكن اذ ذاك ما يشير إلى الدور الذي سيلعبه ذلك الشاب الوسيم .
فقد كان ، على فطنته ، حيباً يؤثر السكوت على الكلام ، والصف الثاني على
الأول . الا أنني رأيت فيه ، يومها ، شيئاً ما أزال أراه . فقد بدا لي ، أول
ما بدا ، طاقة حب في تفتحها الأول . فاذا تراه يستبقيك ، يشدك إليه

برفق ، ويغادرك فلاتنساه . ويعود فكأنك تعرفه منذ أن وجدت .
ولقد صدق الفلاسفة الأول عندما رأوا في الحب القوة التي تؤلف بين
الموجودات طرا .

والحب ، اذ يوجد ، يوجد عطاء .
وكانت الأمة - وماتزال - بحاجة الى من يعطيها قلبه وكل ماله .
وكان معطاء .
والأمة بعد عطاء لا حاجة .

وتمضي السنون .

لقاء وفراق ...

... وسفر

والعمر سفر ، و«الدنا مشوار»

نشدد الاستقرار ونحزم الامتعة (أية أمتعة : يامتاع الغرور !)

فالحقائب جاهزة للرحيل .

دوما على سفر ،

دوماً على موعد ،

وعالم سيده المصادفة .

وإن التاريخ الا مجموعة صدف لا تدري أنى وكيف تؤلف جملة

تستحيل دلالة ، فالحدث يصدمك عند المنعطف في دنيا كلها منعطفات .

في باريس القاه ، وفي القاهرة ومدريد ... في دمشق القاه ، وفي

حمص وحلب ...

في بيته أو في بيتي ، في المقهى ، في الجامعة ، في الشارع ... وعند

الأصدقاء .. وفي سجن المزة ...

ولقاؤه دوماً جديد .

اذ في عينيه ابتسامة تقول ، لا تدري ما تقول ، تقول :

غداً نيسان ،

وفي نيسان عرفته ، واذا مضى نيسان ، ودعته .

وفي نيسان ولد البعث . وكنا نريده فرحة ميلاد .

كان يطيب له أن يطبخ فئاكل ، أن يسكب فنشرب . . . وأن نتكلم
فيتكلم ، اذ يستثير الحوار ويتوارى ، وعلى فجأة يندفع فيه حديثاً من القلب
إلى القلب .

ومناجاة ،

وفعل صلاة ،

وشغفاً لا يرتوي الى الكلم الجميل يتذوقه كما الأكل الشهوي : يستمتع
بكل حرف من أحرف اللسان المين .

واذ يتكلم أسكت ،

. . . واضغى

وما يزال صوته يطوف حولي ، وإيقاعه الى مسمعي يعود . ويعود هو -
هو ذاته - معه ، وكأننا على موعد .

ونحن دوماً على موعد ، اليوم وغداً كما بالأمس . فالصديق مائل أمام
الصديق ، حاضر في قلبه حضور الوجود في الموجودات .
ان المحبة لا تموت

بروح المحبة هذه أقبل على التدريس والأدب والسياسة . . .
يريد الكل ،

وذلك كان شأن الجيل : الكل دفعة واحدة ؛ اذ الثورة جملة لا يمكنك
أن تنتقص بعداً من أبعادها ، ولا حرفاً من أحرفها .

وكانت المرامي تفوق الوسائل . الا أن الاستقلال والدم المراق على
مذبح الامة شقاً للعمل ؛ فسحة لا حدود لها .

والامة بعد فسحة وجود .

وفي الفسحة الأوسع دشن البعث وجوده ،

والجيل عمره

وأردنا وجودنا المستعاد ،

حواراً على القمة !

مع الماضي ،

مع الاعلام والتراث ،

ومع الانسان . . .

ورسالة ،

اذ الوجود أن تكون للانسان ؟

وفداء الانسان . .

فالتربية هي زج الاجيال في معركة البناء ،

والأدب ، أن تسائل الاكبر بين الكبار ،

والسياسة حيث تلتقي قلوب ألف بينها الذي ألف الوجود ،

وجعل منه تعبيراً وآيات تقول .

. . . وتبدأ الثورة ،

وما تزال في بداياتها ،

يمضي جيل الامانة وما تزال تتمم أحرفها الاولى ،

وتتشر .

يمضي ، وهو ينتظر ،

وان العمر الالهة انتظار ، «ومشوار» . . .

في تلك الأيام ، اتضح الرؤى وتحدت المرامي .

لم يكن ثمة جديد . فرواد النهضة الأولى قالوا ، على طريقتهم ومن

منطلقاتهم ، ماسنقول ؟

ومع ذلك فالكل جديد .

وتلك هي المنعطفات التاريخية ، تبدو بعد حين ، وكأنها نتيجة طبيعية

لما سبق ، وهي في حقيقتها فعل من أفعال الحرية ، وخط آخر . . وفعل

الحرية أن تجمع الماضي لتستعيده مستقبلاً .

فعل الحرية أن تجسد الفكرة ،

أن تجعل منها وجوداً .

فحرية البشر وجودهم ،
كما ان الوحدة وجود الأمة ،
والديمقراطية وجود الشعب ،
والاشتراكية وجود الجماعة .

يلبى الاقتصاد وصراعاته ، التاريخ ومنطقه ، والناس وحاجاتهم .
والامة ، اذ تتوحد تستبعد الطفيليات والطبقات التي استنفذت فهي الى
زوال .

والكل استقام للجيل اذ اكتشف الارض الصلبة حيث تنبت الافكار
وتصبح أدوات لتحويل العالم ، أقصد الشعب ، بالاحرى كان الشعب
ينادي ، والثورة أن تصغي لندائه . . .

. . . وتستجيب

ولأول مرة كان ثمة التحام بين القول والشعب ،

لأول مرة تتمم الشعب وجوده .

. . . في تلك الأيام وضعت الأمانة في عنق الجيل ، وحملها ،

وكان مظلوما .

لم نخترها ،

لست ، أنت ، الذي تختار ،

بل التاريخ يختارك .

يضعك في المقدمة ، والى الأمام أو الى «أرذل العمر» .

من مسألتين مسألة ، والخيار في الحقيقة لا - خيار ، اذ الانسان

لا يختار موقعه من الوجود . الا أن أرضه وتاريخه وطبقته . . . وكذلك

وسائله من ابعاد شخصيته ، كما أنه - هو - يعد من أبعاد الوجود ، وفعله

فعل وجود .

والكلمة فعل وجود وحرية .

. . . في تلك الايام تكلمت العروبة بعد صمت طال واستطال حتى

لكأنه دهر . وسمعنا صوتها وهللنا ، كما يهلل الأهل لمجيء الوليد .

تكلمت فوجدت ،

اذ الكلام ملزم ،

اذ الكلام مصير .

وبالكلام يوجد الانسان فرداً وجماعة .

بالكلام يبدأ الوجود .

وفي البدء تتحدد المصائر .

وتكلمت بلسان هؤلاء الناس

لم يكن في واقعهم ، ولا في تاريخهم ، ما يؤهلهم لحمل مثل هذه

الامانة . فهم فئة من المثقفين ، جلهم من الطلاب وأساتذتهم ؛ وكلهم ،

كالطبقة التي أنجبتهم ، يؤثرون السلامة على المغامرة . الا أنهم وجدوا في

الصف الأول ، ولا حيلة لهم في الأمر ، المصير أرادهم فأرادوه ، وأتوا اليه

كما أتى اليهم .

وفي المنعطفات الاختيار :

فاما الكل أو لاشيء ،

أما الثورة أو اللا وجود .

والسؤال ما يزال مطروحاً

ولا تدري كم يبقى مطروحا .

ولكن ، اذ يقلب التاريخ صفحته ، يطوي الثورة - ما حقق منها

ومالم يحقق - والثوار - ما بقي منهم ومن ذهب .

ريح الجليل معارك وخسر أخرى ، ربما خسر أكثر مما ربح .

تعثر ، تراخى ، تناقض ، بدل مواقعه ، وأحياناً أضاعها .

ضاع في متاهة الايدلوجيات ، ناسياً أن الفكر بعد من أبعاد الوجود لا

كله ، فصنف الناس وأعاد النظر في التصنيفات ، وأعاد وأعاد ، وضع هذا

في الميمنة وذاك في الميسرة وبديل الترتيب .

سبقتة الاحداث ، لهت وراءها ، استعجل الامور ، ونسي أن الوجود

فعل انتظار ،

... وان الثورة ، اذ تصبح مغنا ، تتوارى الى الأبد .

الا انه بقي أميناً لما رأى ، حافظاً لما سمع ، ساهراً على ما أعطي .
خارت قواه ، وأحياناً استسلم . ومع ذلك بقي أميناً لما سمع .
وكان بهذا طليعه .
أزاحوه ، وبقي يعيد ماسمع .
وكان بهذا عظيماً

بين أبناء هذا الجيل عاش شبابه ، عاش عمره ، لازمهم ، لازموه ،
شركة حياة استمرت رغم محن الدهر ورزاياه ، وبالعين التي رأوا بها رأى .

وكان منهم في موقع القلب يؤثره على الصدارة ، اذ هو انسان المودة ،
والحياة الحميمة ،
فالوفاء شيمته ،

وكان الجيل ، على فقره ، عزيز النفس ، كريمها ومتلافا اذا اقتضى
الامر
فلم يبخل ،
لم يهادن ،

لاهو ولا الذين شرعوا بالمسيرة ، وشقوا الدرب عندما لم يكن ثمة
درب ..

فقد نادوا الشعب وسمعهم ، ودفعوا باليقظة الى حدود التمرد . فثمة
المظاهرات والاحتجاجات ، والعصيان ورفض القوانين والاعراف
الاقطاعية ، ومناهضة الاحلاف . . . وتاريخ كل ساعة من ساعاته جديدة في
حياة أمة رضخت للقدر دهرأ .

تلك كانت بوادر الثورة في الخمسينات ، وأنبل أوجهها ، اذ كان
العمل لمن يعمل . ومن يتقاعس فليسأحه الله ويعفو عنه .

ولياي الثورة كانت لياي عيد .

أما الثورة فشيء آخر

. . . وكان بيننا فرحة وجود

وترفا . . .

فلم أره ، يوما ، إلا باسماً .

وفي أشد حالات المرض ، اذ يشده الداء الى السرير ، ويحجب أنبوب
التنفس وجهه الجميل ، كانت ابتسامته الحنون تطوف في المكان ، وتعيد إلينا
ذكرى البهجة الاولى ، والفرح الذي يرافق المرامي العظيمة .
. . . وبقي العطف الكبير عنوان وجوده .

وفي الأيام الاخيرة ، اذ نزوره ، ينتصب ، لا ليرى دمشق (فهي
حاضره في خياله) ولا ليمتع ناظره بأرض العرب (فهي وجوده) بل ليضم
الكل - والاهل والاصدقاء والرفاق - الى قلبه المحب ،
وعينه تقولان :

أمتكم أمانة في أعناقكم

- بلى ، يا صديق . الا أننا - كلنا - شارفنا على نهاية الدرب
. . . وتلك سنة الاحياء .

ولقد قامت أجيال أخرى فيها الكثير من الزؤان وبعض من الخنطة ،
الكثير من الدخيل ، وأقل منه الاصيل .
. . . والأمة تنتظر
. . . وسوف يطول الانتظار .

وذلك كان واقع الجيل : ان استعجل وانتظر ؛ وبين الموقفين
تردد . . . وضاع ،
. . . وأخذ يتوارى .

واذ يسبقك الزمن تصبح الرسالة سياسة ، والسياسة - وهي الحرية في
المستوى الأعلى - دفاعا عن النفس . والدفاع علامة وهن ، اذ الاصل في
الوجود الانشاء .

وتصبح الوحدة - وهي بدء وغاية - وسيلة ،
والاشتراكية ، وهي المدخل الى الحداثة - روتينا في ذمة الدواوين
والايدولوجيين .

ويعلق الشعب ، فالحرية لفظة ، مجرد لفظة ، والكلام الذي هو قول الحق ، لغو .

صراع مع الزمن ، ذلك هو العربي اليوم :
تاريخ طويل لا تدري أهو مسعف أم عبء ،
حادثة طاغية لم نتميز بعد طريقنا إليها ،
مشكلات مزمنة وعقد أكثر أزمانا ورثناها من عصور الترددي
والتخلف ، ويبدو اننا سنورثها كاملة لابنائنا وابناء أبنائنا .

وتجزئة عاشت عمر النجوم كلما ظننا أنا نخطيناها ردتنا خاسرين .
أمة يتلو كل ابن من ابنائها صباحاً ومساءً قانون الايمان بوحدتها ؛ واذ
نتقل الى العمل ينطوي كل منا - السياسي والمواطن العادي ، ذاك أكثر من
هذا - على قطريته وأنايته ، ويقضي جازماً ان الآخر هو المتآمر .
قل ، وأنت الآن في ذمة الرحمن الرحيم ، بأي ترياق نشفي هذا
الداء ؟

بأي اكسير نعيد الحياة الى الحياة ؟
بأية نار الهية نذكو الجذوة الكامنة في أعماق الشعب لتستحيل ناراً تحرق
الدخيل والرذيل ؟
قل :

يوم الانفصال (ولم يكن الأول ولا الأخير) ضمدت الجرح ، سددت
الثغرة ، رتقت الفتق . وكنت حكياً . ولكن أما أن لنا أن نتقل من
التسويات الى الحياة ؟

وكنت تعرف أن بعد اللقاء فراق ،
وتنتظر لقاء لا فراق بعده .
كلنا نتظر .

والبعث فسحة انتظار ،
... وأمل

ويكفي جيل الأمانة أنه بعث الأمل .
وكان وبقي جيل الشهادة .

والشاهد يتوارى كي تكون ثمة شهادة ، يتوارى كي تكون رؤياه

. . . . وأقسما ألا يكون بعد الآن انفصام بين سورية والعروبة .
اذ وضعنا علم العروبة فوق الاعلام ، ورأيناه يرفرف ، ورأيناه
الامصار والاقطار تأتي ، البعض اثر البعض ، وتشهد معنا ،
بهذا سجلنا في التاريخ وجودنا .
فالنار ، اذ تشتعل لاتنطفئ ،
والثورة ، اذ تبدأ ، تجد الثوار ،
تجدهم يوما .
أجل ، على صخرة صلبة وقفنا .

انهارت الأرض حولنا وبقيت الصخرة وبقينا واقفين ؛
ان أمتنا هي أمة الصمود ، اجتازت الانحطاط وبقيت حية ،
. . . ومرفوعة الرأس : الكل أو لا شيء .
حاصرها العدو ، حاصرنا ، كما المرض حاصر قلبك الكبير . الا أن
في القلب شيئاً غير العضلات والاوردة ، روح القلب اذا شئت . وبقيت
الروح فيك حية ، كما هي في هذه الأمة ،
والروح لاتموت .
وبعد فما الفرد في عمر الزمان ؟ ما الجيل في عمر الأمة ؟ المهم أن تعمل ،
ولقد عملت ؛

ورأى الله أعمالك والمؤمنون . . . وأنت الآن تقول : هاكم وزناتي :
لم أدفنها في الأرض ، استثمرتها ، أتت أكلها ، صارت تراثاً ، والله وحده
باق وأنتم زائلون .
لأنك لم تياس .

وجيلنا جيل الأمل . فلم يكن العمر ، في أعيننا ، سراياً ، اذ رأيناه في
الأمانى والمرامى ، فهو بهجة وجود .
ولم تستسلم .

فقد رأيناك ، في الأيام الاخيرة ، كما في الاولى ، وراء مكتبك تسطر

الكلم الجميل ، وتشره كي يكون وجودنا جميلا ،
وليكون البعث ما أردناه :
حواراً أكثر منه عقيدة ،
وانفتاحاً على النبيل والعظيم ،
وحرية سينعم بها يوماً شعبنا .
وكانت علامة حضورك ابتسامة ماتزال بيننا تشير اليك .
لم تنسك السفارات والوزارات انك وجدت كاتباً ، وان القول هو
الانسان ،
واننا من أمة أوجدها الكلام ،
فكُتبت ،
وجعلت من الأكبرين بين الكبار جزءاً من تراثنا .
مرة واحدة ، لدقائق ، رأيتك ضعيفاً ،
كنت ضيفك في مدريد . وتشعر قبيل الفجر اني ساهر ، فتأتيني
وتستلقي على السرير ، وتتهجد !
- قل يا صديق ، علام ؟ حتى متى ؟ الى متى ؟ قل ألا يكفي ...
لم تكن اللحظات الوحيدة في حياتنا ، اذ تمنينا لو نسعد بنعمة
النسيان .
الا أن جيلنا جيل اليقظة والقلق ،
... والسؤال
والقلق والسؤال وجه الوجود المتحفز .
ونتحدث . ونعيش فرحة اللقاء :
- عش لحظتك ،
الانسان في عمر الزمان لحظة ،
والثورة في عمر الامة لحظة
لحظة الترف في دنيا الشح .
... . ويودعني بعدها بتقليل ؛
يود لو استبقاني بقربه دهرأ .

كم تمنينا ، وتمنينا .

وكما بدأ العمر يا صديق ، يتوالى ويزول ؛ لقاء وفراق .

... يودعني : عيناه تلهثان ورائتي . وأنا الهث وراء الطائرة ؛ ويبقى

في ذاكرتي لهفة لقاء

وان الوجود الا فرحة لقاء .

أن تحمل موتك في جسدك ، تطوف العالم برفقته ، وتروضه
وتكتب ، تلك كانت آيته .

ان ترى موتك ، سنوات عشرأ ، يطوف حولك ، يغذ السير نحوك ؛
يناديك فتزيجه وتبدع تلك كانت آيته .

.... ومعركة الصمود .

كان الداء ينقض عليه ، يحاصره ، يسد عليه المنافذ فلا يشكو ، رغم
الألم ، لا يتذمر ، رغم الاختناق ، بل تتجمع قوة الحياة في عينيه ، ويطوف
علينا بناظرين في ابتسامتها أسي عميق .

.... وينتظر

وإذا ينتصر يوسع مراميه ،

يضع مشروعاً جديداً لثقافة أخرى .

والعمر شروع في العمر ومشروع للأجيال .

تلك كانت رسالة البعث

.... والجليل :

ان تنتظر ،

وتؤمن بأن الحياة أقوى من الموت ،

وان الفرد زائل والشعب باق .

للقلب الكبير الحزن الكبير والفرح الكبير .

رأى ورأينا .

رأينا

الامانة تدفن في سيناء ،
والاخوة يأكل بعضهم البعض في لبنان ،
ومآسي شتى يادنيا المآسي .
ورأينا ،

مولد فلسطين ..

وبعث الفداء على أرض فلسطين ،
ونسينا العسر واليسر ، التعب والراحة ،
الالم واللذة ...
وصلينا

خبزنا أعطنا كفاف يومنا

وللعروبة الثروات ،

.... والجاه والعز والدلال .

رأيناها كما عهدناها :

أمة تشهد أن لا اله الا الله وتعبد الاصنام .

وصلينا :

ربنا وقنا شر الشرك ،

وأنت أرحم الراحمين ،

رأينا

أمة تحضن أبناءها ويطعننها الاصيل قبل الدخيل ،

وشعباً ينادي ولا محيب .

رأينا وآمنا بالمعجزات ؛

وهتفنا مع شاعر العروبة :

أمة العرب لن تموت ...

وسلمنا الامانة وصلينا

ربنا اغفر لنا

وأنت أرحم الراحمين

...

تؤكد الحياة ذاتها اذ تعاني الموت .

واذا تراه ، اذ تواجهه - في لحظات نادرة تواجهه - تختبر الروح في الجسد . في هذه اللحظات - فيها وحدها - يعرف الانسان بمعرفة مباشرة ، انه ليس جسداً وحسب ، ان ماهيته شيء آخر ، شيء ليس واقعة ولا مفهوماً ، فلا يمكن أن يتصور ، ولا أن يكون له اسم في أي لسان . ذلك انه حيث تتكون اللسان .

ذلكم هو السر ،

سر الوجود ، بيدع ذاته باستمرار :

وجود الامم ،

كحدث الحياة ، كل مرة بلون ، كل مرة بنغم ، يتجدد دون انقطاع .

وجود الأمم ،

يكتبون هذا الوجود ، كل منهم على طريقته ،

ويعضون ، وتبقى الكتابة ،

تبقى أمانة

والوجود أمانة وكتاب مبين .

لم يكن سامي الدروبي مترجماً ممتازاً من الدرجة الاولى فحسب ، ولم يكن ذا ذوق رفيع في الاختيار ، واتقان اللغة التي يترجم عنها ، إلى جانب اتقائه اللغة الام فقط ، وانما كان إلى جانب ذلك انساناً عظيماً ، حي الضمير ، يحترم نفسه وقراءه . لم تكن تراجمه نقلاً حرفياً ، وانما كانت ابداعاً خالصاً ، وفهما عميقاً لروح الكاتب المؤلف ، ومحاولة مضمّنية لتطويع لغتنا العربية الغنية التي تصلبت شرايينها على أيدي جماعة من المترجمين المتخلفين أو التجار أو الجهلة أو سيئي النية . فهذا الرجل كان مؤسسة كاملة وحده ، وإن القيام بترجمة الاثار الكاملة الروائية لعبقري معقد مثل دوستوفسكي ، وانجاز ترجمة قسم من مؤلفات تولستوي ، إلى جانب عشرات من الكتب المتفرقة الهامة . . لعمل يعجز عنه فرد ، فكيف بمريض دائم ، يهدده قلبه في كل لحظة بخيائته ، ويرزاه القدر بأعز أحبابه وتلاحقه المصائب ملاحقة عنيدة ، ولكن قوة وروحه الخارقة كانت تتغلب على كل شيء . . منذ زمن طويل لم نسمع في دنيانا العربية بمثل تفاني العلماء هذا . . ففي غرفة الاوكسجين كان يعمل ، واثناء الطعام كان يشك بكلمة ، فيقوم ليتحرى دقتها . وكان يقضي وراء الطاولة عشر ساعات . . يكتب ويملي ويراجع وعيناه الطيبتان تبرقان بحمى اصحاب الرسائل ، ولقد كان دوماً في صراع مع الزمن ، وكان يخشى أن يغلب ، وكانت صلابته الروحية أكبر من جسمه الضاوي ، وأكبر من شرطه البشري . . لقد كان يحترق . . ولكن يا لها من شعلة متوهجة تركها لنا هذا الرائد العذب . لقد أبى أن يموت إلا وهو على طاولة الكتابة . تركه الطبيب منذ دقائق ، واوى إلى حجرته ، وكذلك ابنته . . وبعد دقائق سمعت ابنته حركة فهرعت إلى حيث يعمل . . كان واقفاً يراجع معجماً . .

يا ابي أنت متعب استرح الآن ا . إن كلمة تقلقني ، وأظن انني ترجمتها خطأ ، ساراجعها واعود للنوم ، اذهبي واستريحى . . وتذهب البنت ، ويأخذ الوالد كتابه إلى الطاولة ويجلس دقيقة . . دقيقتين . . ثم يحني رأسه ثم يهوي . . لقد انتهى سامي الدروبي . . بل لقد ابتدأ ! فامثاله يعيشون فينا وفي أجيالنا الفتية نسفاً ودماً من العطاء والتفاني عصيين على الموت والفناء .



لكي تدرك أجيالنا الشابة ، المأثرة التي حققها سامي الدروبي ، والمدرسة التي تتلمذ عليها وسار بها أشواطاً إلى الامام ، وهي المدرسة التي صمدت في وجه الغوغائية ، والروح التجارية ، والخصوصية العلمية التي انتشرت منذ أوائل القرن حتى الآن . . كي تدرك تلك المأثرة يجب أن تعرف شيئاً عن قصة الترجمة الخزينة التي افسدت اجيالاً واجيالاً من القراء . ويؤسفنا جداً أن يكون بعض الشعراء والكتاب المهوبين قد ساهموا بشكل أو بآخر في نشر مفهوم خاطيء ، أن لم نقل كلمة أخرى ، عن امانة الترجمة واهميتها ، وكيفية نقلها ، مما وضع الاسس لفهم قاصر امتد حتى ايامنا هذه .

مدرسة

سامي الدروبي

في الترجمة

رجاء النقاش

● الترجمة أساس كبير من اسس بناء حضارتنا الجديدة

● كان وحده مؤسسة كاملة من مؤسسات الترجمة في الوطن العربي

● المترجم لا ينبغي أن يكون أداة للنقل من لغة إلى لغة

سعدت سعادة غامرة عندما تلقيت الجزء الاول من الترجمة العربية

الكاملة لاعمال الكاتب العالمي الكبير «ليون تولستوي» وقد قام بهذه الترجمة

الاديب العربي الكبير المرحوم الدكتور سامي الدروبي . وكان سامي قد أتم

هذه الترجمة قبل وفاته في أوائل سنة ١٩٧٦ إلا عدداً قليلاً من الصفحات قامت

ابنته الأنسة «ليلي» بترجمتها ، وقد ظل سامي يعمل في هذه الترجمة حتى آخر

يوم في حياته .

وهذه الاعمال الكاملة لتولستوي تثير في الذهن خواطر متعددة أهمها

«موقفنا من الترجمة في مجتمعنا العربي» . إن الترجمة هي أساس كبير من أسس

بناء حضارتنا الجديدة ، ومنذ اللحظة الاولى التي عاد فيها رفاة الطهطاوي

إلى مصر من بعثته إلى فرنسا في أوائل القرن الماضي وهو يعمل بهمة ونشاط في

سبيل ترجمة الاعمال الفكرية الكبرى إلى اللغة العربية ، ذلك لأنه كان يدرك

أن «الترجمة» هي المدخل الاساسي لتحقيق فكرته عن تنوير المجتمع العربي ،

ونقله إلى عالم جديد من الحضارة العصرية التي تخلف عنها كثيراً ، وقد أنشأ

«رفاة الطهطاوي» مدرسة سماها مدرسة «اللسن» وجمع فيها عدداً من

التلاميذ النابغين ، حتى يتمكن من توجيههم واستخدامهم في نقل التراث

العالمي إلى اللغة العربية . ومنذ ذلك الحين وحركة الترجمة إلى العربية تمضي في طريقها . . . مرة بجهود رسمية تقوم بها حكومة من الحكومات العربية ، ومرة أخرى بجهود فردية يقوم بها أفراد من الادباء والمفكرين .

الترجمة الكاملة

ولقد كان سامي الدروبي - رحمه الله - واحداً من اعلام المفكرين الذين آمنوا بدور الترجمة في بناء الحضارة العربية الجديدة ، وكان شديد الاقتناع بأننا في حاجة إلى مجهود كبير لكي نلاحق العصر الحديث في مستواه العقلي . وكان هو وحده مؤسسه «كاملة من مؤسسات الترجمة في الوطن العربي ، فقدم أعمالاً كثيرة كان أبرزها الاعمال الكاملة لديستوفسكي . و «ثلاثية» الاديب الجزائري محمد ديب التي كانت مكتوبة بالفرنسية ، ثم هذا العمل الكبير الذي يظهر بعد وفاة سامي الدروبي ، وهو الترجمة الكاملة لاعمال تولستوي ، ولقد كان سامي الدروبي كاتباً ومفكراً ، ولكنه آثر أن يعطي جهده الاكبر للترجمة تعبيراً عن فكرته عن حاجة الثقافة المعاصرة إلى قدر كبير جداً من الآثار العالمية المنقولة بدقة إلى اللغة العربية بلغة تمكنها من أن تكون جزءاً من المكتبة العربية ، وليست «نشازاً» لا يهضمه العقل العربي لسوء لغته ، وسوء اختياره ، وللسرعة وعدم الدقة في ترجمته ، والحقيقة أن سامي الدروبي قد وضع بأعماله الكبرى في الترجمة «مستوى حضارياً» راقياً يقف شامخاً أمام المستويات التجارية الاخرى التي انتشرت في الوطن العربي في مجال الترجمة ، وذلك بحثاً عن الربح السريع ، وقد انتشرت هذه المستويات التجارية على وجه الخصوص في بيروت خلال الخمسينات والستينات ، فكانت الترجمات - في كثير من الاحايين - تصدر ناقصة أو غامضة أو مشوهة . وكان اختيار الأعمال المترجمة يخضع دائماً لهدف الربح ، لا لهدف التثقيف ورفع المستوى الفكري ، وفتح الباب أمام العقل العربي حتى يتصل بحركة الثقافة العالمية اتصالاً دائماً . وللحق فإن الحركة التي مثلتها «بيروت» في الترجمة لم تخل مما هو نافع ومفيد ، ولكنها كانت على الاغلب حركة بعيدة عن العمق والاتقان والدقة ، رغم أنها كانت بالغة النشاط والقوة . . . أما في مصر فقد خفتت حركة الترجمة أو ارتبكت ، ولم

تعد تمثل تياراً فكرياً صحيحاً في الثقافة العربية المعاصرة ، كل ذلك رغم ما يقوم به بعض المفكرين من جهود فردية في هذا المجال ، ولقد كانت حركة الترجمة في مصر تمضي في الستينات على منهج محدد أثمر ثماراً ممتازة ، وفي هذه الفترة ظهرت سلسلة «روائع المسرح العالمي» العظيمة وظهر كتاب «سقوط الحضارة الرومانية» لجيبون وظهر كتاب «تاريخ الفن الاجتماعي لهاوزر» وظهرت أجزاء عديدة من «قصة الحضارة» لديورانت وظهرت ترجمات ممتازة لمعظم أعمال الكاتب الفرنسي العالمي «مالرو» ، وظهرت ترجمات أخرى لأعمال عالية بارزة عظيمة الشأن والقيمة ، ثم اضطرب الطرين وغامت الرؤية أمام حركة الترجمة في مصر ، فلم يعد لها منهج ولم تعد تنتج أعمالاً هامة على أساس اختيار منهجي سليم إلا في النادر القليل يكون عندما يتصدى للترجمة كاتب ومفكر من طراز الدكتور فؤاد زكريا ، الذي قام في الفترة الاخيرة بترجمة عدد من الكتب الهامة منها ترجمة جديدة لجمهورية أفلاطون . هوجم طه حسين هجوماً عنيفاً لتبنيه ترجمة الاعمال الكاملة لشكسبير

عندما كان مسؤولاً عن الادارة الثقافية للجامعة العربية ، فالفكرة هي أن الاعمال الكاملة لفنان كبير أو كاتب كبير أو مفكر كبير تحدث من الاثر - ما لا تحدته الاعمال الفردية المتفرقة . إن «الاعمال الكاملة» تحدث «صدمة» فكرية وحضارية تؤدي إلى درجة أعلى من اليقظة في التفكير والشعور . ولقد لقي الدكتور طه حسين هجوماً عنيفاً على تبنيه لترجمة الاعمال الكاملة لشكسبير ، وكانت حجج المهاجمين كثيرة وعجيبة من أمثال الادعاء بأن طه حسين كان يزيد تغريب الامة العربية من خلال الجامعة العربية على حساب التراث العربي الصافي الاصيل . . . وهي حجج في غاية السخف والتخلف ، ولكن طه حسين احتفى بعناده المعروف وصلابته المشهورة ولم يعبا بالحملة عليه وواصل تبنيه للمشروع حتى استطاع أن يتم معظمه في حياته ، وهذا هو نفس ما تعرض له سامي الدروبي بعد اصداره للمجلدات الاولى من ديستوفسكي ، فقد صرخ بعض الصارخين بأن هذه الترجمة اساءة للعرب والحضارة العربية ، لأن ديستوفسكي وجودي غدمي لا يؤمن بالتقدم . وصمد سامي الدروبي واستمر في طريقة ، لا يعبا بهذه الصرخات

غير الناضجة ، وذلك لا يمانه العميق بأن الوصاية على العقل العربي غير جائزة .

وإذا كان هناك ما لا يتلاءم مع شخصيتنا في هذه الاعمال ، فعلينا أن نرفضه نحن بأنفسنا ، لا أن يرفضه لنا مفكر أو أثنان ، ويظل العرب معتمدين على آرائهم بأرضين بأحكامهم المختلفة ، ويكون العقل العربي بذلك كالطفل الذي يعتمد في كل شيء على أبيه . . . ولا شك أن العقل العربي قد تجاوز ، أو آن له أن يتجاوز هذا الاعتماد الطفولي على عدد من مفكريه الذين يحددون له ما يصح وما لا يصح ويفرضون عليه وصاية دائمة وغير سليمة .

أدوات الترجمة الصحيحة

وأخيراً فإن سامي الدروبي في ترجماته يملك بدقة «أدوات» الترجمة الصحيحة ، فهو يعرف أسرار اللغة العربية ، ويعرف أسرار اللغة الفرنسية التي ينقل عنها ، ثم أنه لم «يجيء» إلى عالم الترجمة من باب العجز عن أداء أي دور فكري أو ثقافي آخر ، فهو مفكر وكاتب وأديب ، اختار ميدان الترجمة عن وعي وموقف نظري ورؤية حضارية واضحة .

وهذه كلها هي الاسس الصحيحة للترجمة كما نحتاج اليها في ثقافتنا العربية المعاصرة ، هذه هي «مدرسة سامي الدروبي في الترجمة» ، وهي المدرسة التي تقف نقيضاً لما يمكن أن نسميه «مدرسة بيروت» وهي المدرسة التي أقامت الترجمة - في معظم ما يصدر عنها - على التجارة والاثارة وعدم الاتقان .

وكم كنت أتمنى أن تقوم في سوريا أو في مصر أو في العراق أو في الخليج أو في أي مكان من الوطن العربي مؤسسة قومية باسم «مؤسسة سامي الدروبي للترجمة» ، وتكون مهمة هذه المؤسسة هي ترجمة عيون الفكر العالمي بنفس الاسلوب وعلى نفس الاسس التي وضعها سامي الدروبي والتزم بها في كافة انجازاته العظيمة في ميدان الترجمة إلى العربية .

إنه اقتراح أرجو أن يجد من يستمع إليه وأرجو أن يأخذ طريقة إلى النور ، حتى يظل الباب الذي فتحه سامي الدروبي في الثقافة العربية

المعاصرة مفتوحاً نطل منه على الدنيا الواسعة بصورة سليمة لا ضباب فيها
ولا غموض .

رجاء النقاش

تكريم الدكتور
سامي الدروبي
في الذكرى الثانية لوفاته
إحياء الفقيه في متابعة كفاحه واستكمال طريقه

اجتمع في المركز الثقافي العربي بـحمص لفيف من رجال الفكر والادب لآحياء الذكرى الثانية لوفاة فقيه الفكر والعروبة الدكتور سامي الدروبي . وكانت لجنة آحياء الذكرى قد قررت يوم الثلاثاء ٢٨ - ٢ - ١٩٧٨ موعداً للتكريم ومناسبة لتسمية قاعة المحاضرات في المركز الثقافي باسم الفقيه الدروبي . وما من شك في أن تكريم الدكتور سامي الدروبي تكريم للفكر نفسه ، ولكن المرء ما فتىء يدعو إلى تكريم يتجاوز حدود الكلمات ، ولعله يرى أن آحياء الفقيه يكمن في بعث أفكاره واستكمال الطريق التي سار فيها .

لقد تعرف مفكرو الوطن العربي على الفيلسوف هنري برغسون عن طريق الدكتور سامي الدروبي ، كما تعرفوا عن طريقه على أعمدة الادب الروسي ، وبخاصة دوستوفسكي وتولستوي . ولن نأتي بجديد إذا قلنا أن عمل سامي الدروبي في الترجمة هو المدرسة الحقيقية لنقل الفكر الاجنبي إلى اللغة العربية . فمنذ سنوات طويلة خاطب الدكتور طه حسين الفقيه الدروبي بما معناه أنه لم يقرأ في حياته ، أية ترجمة ، قديمة كانت أو حديثة ، أكثر دقة واثقانا من ترجمات الدروبي . وليس هناك شك في أن الاعمال التي ترجمها عجزت عنها مؤسسات كبيرة ، مما يشير إلى أن هذا الرجل يملك من الصفات ما يجعله أهلاً للتكريم ، فقد ملك اللغة العربية والفرنسية وملك معها الصبر والدقة ، فكان يدرس فكر الاديب والفيلسوف قبل أن يترجم كتابه ، كي يصل إلى جوهر تفكيره وخطة حياته وطرائق التأليف عنده . ولعل تصديه لترجمة مؤلفاته هنري برغسون كاف لمعرفة بعض الصعوبات التي

تجاوزها الفقيه الدروبي حين ترجم المؤلفات الفلسفية لبرغسون المعروف بأسلوبه الملتوي المتلون ذي الفكر الفلسفي الدقيق . ويصدق هنا ما قاله الاستاذ حافظ الجمالي عن سامي الدروبي : «إن من يقرؤك يا سامي يظن أن ترجمتك هي الاصل وأن الاصل هو الترجمة» .

بدأ برنامج التكريم بكلمة الاستاذ علي عقلة عرسان ، التي أعلن فيها أن الكتاب لم يحضروا إلى هذه القاعة لبكاء الدروبي ، وإنما حضروا لاسترجاع معاناته ومتابعة رسالته . واضاف قائلاً أن العمل هو الحياة وأن قيمة العمل هي الباقية ، ولذلك فإن تكريم الدروبي لا يكون بغير احياء مدرسته في الترجمة ، كأن نعلن عن جائزة باسمه تعطي للمترجمين الذين يقدمون اعمالاً متميزة في هذا الحقل . وقد أبان الاستاذ عرسان عن أن سامي الدروبي كان يضع قبل وفاته خطة لترجمة الادب الروسي كله إلى اللغة العربية . ولا يدري الاستاذ علي لماذا يبحث عن سامي الدروبي حين يقرأ دوستوفيسكي ، ولماذا يبحث عن ديستوفيسكي في سامي الدروبي ؟ ويروح يتساءل عن مقدرة الرجل على الاحتمال والصبر والمتابعة ، ويشكر له عمله في تعميق دور الفكر في الادب والحياة الاجتماعية .

وقف الاستاذ حافظ الجمالي ، صديق الفقيه وقريبه في الوقت نفسه ، فشكر للمحدثين تجديدهم لظاهرة التكريم التي عرفت عند القدماء ، ثم أخذ يسترجع ذكرياته الاولى عن سامي الدروبي حين بدأ معاً في عام ١٩٤١ يترجمان كتاباً بعنوان «ما بين التربية وعلم النفس» وقد ذكر أن حياة الدروبي كانت مليئة بالعلل ، إذ كان يشكو دوماً من أوجاع مختلفة ، وعلى الرغم من ذلك فقد ترك للمكتبة العربية نحواً من ثمانين كتاباً ، ولو خلت حياته من المرض لا نتج عدداً مماثلاً من الكتب . إن سامي الدروبي ، في رأي الاستاذ الجمالي ، رائد في العمل النضالي ، ليس لأنه من الرعيل الاول من البعثين ، ولكن لأنه مناضل ذو طريقة خاصة في النضال ، بعيدة عن المظاهرات والخطابة ، أن طريقته في النضال هي اغناء الحياة العربية عن طريق اشاعة الترجمات ، وهو يقصد من ذلك إلى تثقيف العمل السياسي بحيث تصبح السياسة مثقفة لا الثقافة ميسية .

لقد وقف الاستاذ يحيى الترجمان يحدث الحاضرين عن مرحلة الشباب الاول في عمر سامي الدروبي، أيام كان تلميذاً في تجهيز حمص، وفي دار المعلمين العليا بدمشق . فذكر هدوء الفقيه ورسائته وصفاء نفسه وبعده عن المنازعات وطيش الشباب ، ووجه للعربية ، ومشاركته في العمل الوطني أيام الاحتلال الفرنسي لسورية . ثم راح الاستاذ الترجمان يذكر أمثلة من الذاكرة على تواضع الفقيه الدروبي ، وعمله ، ونزعة حب الحرية في نفسه .

ثم وقفت الدكتورة نجاح العطار ، وزيرة الثقافة ، مخاطب سامي الدروبي في شخص الحاضرين ، فأعلنت أنه لم يميت من انسداد في شريان القلب ، لأنه مليء بحب الانسان العربي . وأضافت أن الدروبي في العبقرية سرها المرصود ، وقد بقيت ملحمة بعير ختام ، وإذا أردنا تكريمه فلن يكون ذلك بالكلمات والخطب وحدها . كان الفقيه يعرف أن اللغة العربية لساننا ، وأن القومية رائدنا ، وقد كان وفاؤه للرئيس الراحل جمال عبد الناصر وفاء لكل الشائيل العربية الفذة ، وكان حبه للرئيس حافظ الاسد متابعة للطريق التي نهجها من قبل .

ذكر الرفيق عبد الله الاحمد عضو القيادة القطرية ، في كلمته بأن المرء يتساءل عن الدرجة التي يبقى فيها بعض الاشخاص ملكاً لأحزابهم ، وعن المدى الذي يحق للأحزاب أن تفتخر بأعضائها الذين يكتسبون صفة عالمية ؟ أن سامي الدروبي هو الانسان الذي عرف قدر أمته فأعطاها ، وعرف انثناء الثوري فأخلص له ، ومن هنا فقد خسر الوطن فيه مناضلاً ومفكراً وانساناً ومواطناً صالحاً

كانت كلمة الختام للسيدة احسان بيات ، زوج الفقيه سامي الدروبي ، التي وقفت تشكر الخطباء والحاضرين بلهجة ملؤها الصدق ، وبأسلوب بليغ مؤثر . كانت كلماتها ذوب قلب كسير فقد في الزوج الاهل والصديق والابن ، وكانت أكثر بلاغة حين قالت للحاضرين انها لن تتحدث عن زوجها ، بل ستركه يتحدث بنفسه اليهم وكانت قد اعدت شريطاً منقولاً عن مقابلة مع سامي الدروبي كان اجراها معه تلفزيون القاهرة وما أن بدا صوت المرحوم يدوي في القاعة بلغته الجزلة ، وتعبيراته الواضحة ، وحديثه

عن أصول الترجمة من لغة إلى لغة ، حتى وجم الحاضرون ولم يعد أحد يدري هل الزوج أكثر بلاغة من الزوجة ، أو الزوجة أكثر بلاغة من زوجها ؟

لقد اختتم الحفل بازاحة الستار عن اللوحة الرخامية التي تعلن عن تسمية قاعة المحاضرات بالمركز الثقافي قاعة سامي الدروبي . وقد قامت وزيرة الثقافة ، الدكتورة نجاح العطار ، بازاحة الستار معلنة اختتام حفل احياء الذكرى الثانية .

سمر روجي الفيصل

كلمة الدكتورة نجاح العطار

في حفلة تسمية قاعة المحاضرات في المركز الثقافي العربي في حمص بإسم

المرحوم الدكتور سامي الدروبي .

«وحده لا يستشعر العذاب

ذاك الذي جرح في المعركة»

، والمعارك أنواع ،

أكرمها ، أغلاها ، المعركة على جبهة الفكر

تلك التي نحن جنودها . .

ونحن الذين ، من مزق الأكباد ، نشعل نيرانها ،

الزيت ، تبارك ، دمنا ، والنور ضوء عيوننا ،

ثم لا نكف ، وفي الرمق بقية ،

ولا ننثني وفي النفس قدرة على عطاء

فاذا خان الجسد ،

أو خان العمر ،

وخبت شعلة الجانب الأيسر ،

وتوقف النبض في الشرايين

سقطنا مقاتلين شهداء ،

وتركنا للرفقة من بعدنا أن يواصلوا المشوار ،

هكذا ، سامي الدروبي ، في رحلة العمر ، ورحلة الحرف ، سقط

شهيدا .

قل عائق النجم ، في توق الانخطاف الى الملاء الأعلى ، وتفيأ سدره المنتهى في الظما الى الحقيقة التي هي أعلى من القمر . . ورحل قابضاً عنى الشمس التي سقانا من أشعتها رحيقاً ، في بيان معجز ، قد نستطيع وصفه وتمجيده ، والكلام عليه الى آخر الدهر ، لكننا لن نستطيع أبدا الاتيان بمثله ، لأنه نسيج وحده ، ولأنه في العبقريه سرها المرصود ، الذي لا يفتح بابه الا لمن أوتي الحكمة ، أوقبس من وادي عبقر جمره تشعل الحرائق المقدسة في مواقد الابداع .

رحل قلت ؟ ارتفع ، وبالجناحي النسر حين المدى غايتها ، والأعالي ملعبها ، وحين القلب يقصر عن همة النفس ، فيترامى الشوط شوقاً الى الهدف ، ويكبو الفرس بفارسه ، وتصخب الدنيا بمعازف الملحمة التي ظلت بغير ختام .

ملحمته ، هو ، ظلت بغير ختام ، فدانان الوعود انغلقت على نفسها ، والماء الذي كان مقدر له ان يتحول في معجزة البيان الى رحيق ، غاض ينبوعه ، والعرس الأدبي ما زال ينتظر ضجة الفرحة الكبرى .
لقد أجمع الأطباء أنه مات من علة في القلب . لا ، أيها السادة ، كما هتف شاعر يوماً ، لم يمّت من علة في القلب ، ولا من انسداد شريان ، بل مات من حب الانسانية الكبيرة ، هذا الذي ملك عليه نفسه ، وأوهى قلبه ، في كفاح دام طويلاً ، عدته فيه كانت يراعتة تارة ، وأعضابه طوراً ، وكيانه في كل حين .

ميزة سامي الدروبي الأولى أنه كان إنسانا بكل ذرة في وجوده ، وكان الانسان فيه نبيلاً نبل عينيه الزرقاوين .
وكان مناضلاً ، يعطي النضال بسخاء ولا يسأل . . شأنه في ذلك شأن النهر الذي يفيض الخير على ضفتيه بغير منة . .
وكان هذا الانسان محمداً غير مجرد . .
وكانت أهدافه محددة غير مجردة ،

فهو من جيل نادى أمته الى البعث ، لأنه سبيلها الى النهوض من رقدة العدم .
وهو من جيل أيقظ فكرة الوحدة العربية من بطون الكتب لتكون واقعا

في الناس ،

وهو من الثوار الذين غدوا الثورة الآتية في موكب الأيام ،
ومن الذين استشفروها ، وأطلوا عليها من فجر هذا القرن ..
ومن الذين أمدوها بالفكر وقوداً وبالعمل زاداً ، وحين انفجرت كان
جندياً مخلصاً من جنود المخلصين ، وفي ساحها بقي إلى أن تحطفه الردى ..

فلما ارتحل ترك القضية أمانة في أعناقنا ،

تركها وصية للعمل لا للزينة ،

وتركها وثيقة نضال لا حلية تباه ،

وتركها واقعة تكريم ، يمثلها نكرمه ، لا بالكلمات وحدها ، ولا
بالخطب وحدها أيضاً .

وفي هذه الايام التي يعربد فيها الشر من حولنا ، وتنحط الهمم في سوق
التخاذل ، ويتلفت النيل العظيم الينا من شكوى واستغاثة ، يصبح النضال
في سبيل القيم القومية والانسانية التي آمن بها سامي الدروبي أفضل طريقة
لتكريمه ، وأبلغ مرثاة في تخليده ، وأروع قصيدة نعدد بها مآثره ولا نقتصد .

كان ، رحمه الله ، يعرف أن العروبة لساننا ووجهنا وضميرنا

وأن الوحدة العربية جامعتنا وسورنا

وأن عبد الناصر ، ذلك الزعيم الذي كللت الشمس هامته ، قائد أمتنا
القد في معركة العروبة ضد أعدائها ، ولهذا كان وفاؤه له وفاء لكل الشيم
العربية الأصيلة التي مثلها ،

وعندما سقطت الوحدة الاولى بين سورية ومصر ، بكى سامي
الدروبي من غضب واستنكار ،

وعندما قدم بعد ذلك أوراق اعتماده الى الرئيس عبد الناصر ، كممثل
لسورية في مصر ، ترجم دموعه كلمات لا أصدق ولا أغلى ، هي في البلاغة
سحر ، وفي التعبير عن الذات نجوى قلب ، أوجعته نكسة الوحدة التي
كانت سبباً في بلواه ، واعتبر نفسه ، خارج شكليات الأمور ، مواطننا عربياً
مصرياً بقدر ما هو مواطن عربي سوري .

فمصر وسورية ، بحكم الأخوة والنضال والمواجهة ، قطر واحد ولن
تفرق بينهما حدود أو مراسيم . .
أيها الفقيد الغالي .
أيها الثاوي على الحب والارض . .
كتابك بيننا ما زال منشور الصفحات ، وسيبقى ، لأنك أنت فيه ،
بكل ما في معانيك الأدبية والقومية والانسانية من عظمة وجلال . .
نم قرير العين . .
فأنت في الصديقين ، وأنت في الخالدين .

كلمة الاستاذ يحيى الترجمان

صديق الدكتور سامي

أيها الحفل الكريم

لعل من أشق الأمور على المرء أن يتحدث ، بكامل قدرته ، عن رفيق صباح وقد تعجله القدر وسرقه الموت من صف الطليعة الفكرية والقومية .
وليس مايسعف مثلي في الحديث عن سامي الدروبي سوى دواعي قول الحق ومقتضى التمسك بالمثل العليا والابقاء على رسالة روادها ليظلوا القدوة والشعلة الدائمة التي تنير الطريق للأجيال القادمة .
من هذا المنطلق استمد قدرة التغلب على ماشق من الأمور وشجاعة الحديث عن سامي .

إنني لن أتحدث عن سامي الدروبي الدكتور ، عن سامي الدروبي الفيلسوف ، عن سامي الدروبي الأديب الكبير ، عن سامي الدروبي السياسي الحكيم ، عن سامي الدروبي العربي الوجدوي الأصيل ورجل العقيدة الثابتة البعيدة عن الهوى والغرض المنزهة عن المزايدة والمرص .

لن أتحدث عن سامي الدروبي حين غدا وضمير الأمة العربية يعيش في أعماق كل خلية من خلايا جسمه . فقد يكون الحديث في كل ما ذكرت من اختصاص كثيرين غيري اولى به مني وأحق ، ولذا فسوف أتحدث فقط عن سامي الدروبي زميل الصبا والدراسة رفيق درب عهد الشباب والأمل فأقول : على مقعد الدراسة تم اللقاء بسامي فترة التجهيز كلها وفترة دار المعلمين العليا . تلقينا العلم معاً في قاعة واحدة طلابها دون الثلاثين تأثروا وتفاعلوا جميعاً بعباء نفس المدرسين حيث كانت المدرسة وحيدة ولكل صف شعبة واحدة في حمص ودمشق وبالتالي فقد تعلمنا وتخرجنا معاً متأثرين بثقيف وتهذيب واحد وحدّ بين عقولنا وقلوبنا إضافة الى مافعلته حياة الدراسة

الداخلية وما فرضته الغربية من لقاء كامل ومستمر فترة دراسة الثاني عشر ودار المعلمين بدمشق حيث كانت الشعبة فيها وحيدة بالنسبة للقطر بكامله .
إن هذه الظروف الدراسية وامتدادها فعلت فعلها في كشف مافطرت عليه نفس كل منا وأتاحت تكوين زمر صغيرة من رفاق الصف الواحد لا يتجاوز أفرادها أصابع اليد عدًا يلتقون على مائدة الطعام ويتبادلون انتاجهم الدراسي ويتجادبون أطراف الحديث عن آمالهم وأمانيتهم ويسرون لبعضهم بما يعتقدونه سرًا فلا يبقى لواحد منهم تجاه الآخرين أي ظلام في ساحة نفسه كلها وغدت النفوس متقابلة ترى بعضها دون ستر أو حجاب مشدودة برباط الحب البريء والعاطفة الصادقة والاخلاص اللامتناهي .

فكيف كانت نفس سامي كما رأيته ورأها معي بقية الرفاق ممن وافته المنية ومن ينتظر؟؟

إليكم أيها السيدات والسادة القليل القليل من عظيم ماكان عليه سامي وما اتصف به وتميز فالمقام لايسمح بذكر الكثير .

تميز سامي بالهدوء والرصانة وصفاء النفس والبعد عن الانفعال والمنازعة ومجانبة طيش الشباب .

أحب جميع رفاقه وأحبه . أحب دوام الألفة بينهم جميعاً وكره النزاع والشقاق فلم يحدث أن تشاجر أو تنازع مع أحد مدة الحياة الطويلة التي عشناها معاً . حدث مرة نزاع بين طالبين من رفاقنا في الثاني عشر الأول دمشقي والثاني من دير الزور فانتصر للأول بعض الدمشقيين بينما ناصر الحمصيون الطالب الآخر واشتد اللكم والضرب في قاعة المهجع حيث نبئت جميعاً وكان سامي وحده غاضباً من هذا النزاع فما أن تدخل الموجهون وحسموا النزاع حتى بادر بلوم الطرفين وانتقد بشدة موقف المتحمسين وراح يضيفي من هدوئه ورصانته وصفاء نفسه ورقة حديثه ماهدأ ثورة النفوس وأخجل حتى المتحمسين .

أحب سامي اللغة العربية وافتتن بسحر الكلمة وجزالة الاسلوب منذ كان في المرحلة المعادلة للاعدادية الآن ولا جدال فيما كان لهذا الحب من أثر كبير على تعلقه بأمته وبتراثها الذي غدا مقدساً بالنسبة اليه .

وأذكر مرة أننا كنا نتلو مقطعاً من مقال لطفه حسين فأعجبه القول

وأسكره جمال التعبير فقال لي حرفياً «آه يا يحيى ليتني كطه حسين حتى بعاه فهو يرى مالا يراه المبصرون» إنه كلام يبلغ بالنسبة لطالب في الصف التاسع وفهم عميق لمعاني ما قرىء وحب كبير لهذه اللغة الجميلة والحبيبة .

حملتني الذكرى ، منذ مدة يسيرة ، على استعادة رؤية خطه وتوقيعه على ظهر صورة له أهداني إياها عام ١٩٣٨ حين كنا نتبادل الصور لتبقى تذكرة للماضي الجميل . وإليكم مادونه آنذاك : «أخي يحيى : أفيكون الدهر لناً فيذكرنا عهد هذا الشباب المرح بنفس تعمرها الحيوية ، ويغمرها السرور ؟ لو أنه منصف لفعل ولكن ما أبعدته عن الانصاف» . وأذكر أنني أجبته بما يفرض بذل الجهد لجعله لناً لا ينسينا عهد الشباب المرح . فردّ علي بصورتين يقول في ظهر الاولى «بارك الله بهذه الحيوية المتدفقة التي تتمخض عن مستقبل لك باسم . هذه الحيوية التي تأبى إلا أن ترغم الدهر فلا ينال منها» .

ويقول في ظهر الثانية : «بل سنحمله على أن يفعل حملاً» . فبربكم أهبذا المستوى من الكلام ، صيغة ومضموناً ، يتخاطب طلاب الحادي عشر الآن ؟!

ذلك شاهد من شواهد عديدة يظهر بوضوح اتساع أفق سامي منذ كان شاباً وقدرته على الأداء الجميل والتعبير الغني وعزمه على العطاء السخي فكان صادقاً فيما وعد ، وأعطى مالم يعطه سواه من رفاقه .

عاش سامي الشاب مع جيله مرحلة تاريخية كانت فيها التجهيز ومعاهد الدراسة مصدراً رئيسياً من مصادر تحريك الضمير القومي والوطني ومهاجمة المستعمر وفضح تحركاته وأساليبه ؛ وغدت مهمة تحرير الوطن ، الصغير والكبير ، من الاستعمار الغاشم رسالة الجيل الذي آمن آنذاك بالعمل طريقتاً لتحقيق رسالته التي تحطّم حدود التمييز بين الشعور الوطني و الشعور القومي ، فهما في وجدانه شعور واحد . موت فيصل الأول يشيع الحزن والألم في سوريا ووفاة الملك غازي تثير التظاهر والغضب ومهاجمة السفارة الانكليزية . كما أن ثورة رشيد عالي الكيلاني عام ١٩٤١ تجعل من سوريا مرجلاً يغلي حقداً على الاستعمار ويدفع بنا ، سامي وبعض رفاقه ، مع استاذين من أساتذتنا الى تكون نواة ثورية مثقفة أسميناها آنذاك باسم نصرة

العراق تولت جمع التبرعات وقامت بحملة الاعداد للتطوع في ثورة العراق على أنها ثورة التحرر العربي . واتخذ سامي من مهنة التعليم سبيلاً لغرس روح النضال في أبناء شعبنا من أجل التحرر والوحدة . وتميز بالتواضع الجم فهو غير مباه رفاقه بما حباه الله ، لا يظهر تفوقه تعمداً ولا يرغب في الانتصار على الضعيف أو يزدريه بل يعمل على مساعدته ليرفع من قدرته كي يسير بنجاح . آمن بوجود الخير في كل النفوس ووجوب التعاون للفادة منه حيث يكون .

لم تنل المناصب من نفسه مايبعدها عن تواضعها الفطري وينسيها حب الأصدقاء وزمالة الشباب .

وأذكر على سبيل المثال ، لا الحصر ، الحادثة التالية :

دخل عليه حين كان وزيراً للتربية ، أحد رفاقنا في الدراسة وقال له :

صباح الخير سامي بك . فدهش الوزير سامي وحلق بصاحبه قائلاً :

ماذا تقول ؟ هل أسأت اليك بشيء يا فلان لتناديني كذلك ؟

خجل الرفيق الزميل وقال : بم أدعوك والكل هنا في دمشق بيك !؟

فأجابه أنت فلان وأنا سامي فقل إن شئت أبا مصباح أيجوز أن يميز بين

اسميننا نحن أي لقب !؟

وأجلسه إلى جانبه وحدثه حديث المشتاق للمعهد القديم وسأله عن جميع

الرفاق القدامى كما أوصاه أن يبلغ أحدهم رجاءه إليه بالتزام البعد عن مواقع

الشبهات كي لا تسيء اليه الشائعات المغرضة مؤكداً له بأن السوء لن ينال منه

ولو أدى الأمر إلى ترك الوزارة بل حتى إلى سجن الوزير نفسه لقناعة بالتجني

والظلم .

فبربكم جميعاً كم هم الوزراء أمثاله !؟

إن عظمة سامي لم تكمن أبداً فيما وصل اليه من مناصب رفيعة فكم

وصل إليها من هو دونه بكثير وكم قصر عنها من هو أهلها ؟ كما لا تكمن

أيضاً بغيض علمه وترجمته لأوابد المؤلفات . إن عظمته تكمن في صفاء نفسه

وقوة شكيمته في صدق إخلاصه وعظيم تواضعه في نقاء وحدويته وبالغ حبه

لأمته .

رحمك الله أبا مصباح فقد كنت بحق أبا المصابيح جميعاً وستبقى قاعتك
في هذا المركز الثقافي منارة تضيء الطريق للعاملين في الحقل الثقافي والقومي
وندوة تجمع روادها على الاخلاص والوفاء والمحبة والتواضع وخدمة وحدة
الامة العربية والله أسأل أن يجعل من ذلك خير عزاء لذويك ورفاقتك وبني
قومك جميعاً .
والسلام عليكم .

يحيى الترجمان

في ذكرى المربي الكبير

سامي الدروبي

● محمود أبو خضور

كان ذلك في العام ١٩٦١ . . وكان الفحص الشفهي في كلية الآداب بجامعة دمشق لا يجتازه الا طويل العمر ! كانت المادة مادة علم النفس التجريبي وكان الأستاذ الفاحص الدكتور سامي الدروبي الذي سيظل في قلب كل واحد منا نحن تلاميذه .

دخلت الى المخبر . . وكان يجب أن يجلس دائماً في مخبر التربية . وبعد أن أشار الي بالجلوس . . سألني : ماذا قرأت ؟

أجبت : المنهاج !

تساءل : المنهاج فقط ؟

أجبت : و قليلاً من الروايات والدراسات .

قال : أي الدراسات ؟

قلت : دراسة حول العواطف الغامضة . .

قال : وطبيعي أن هذه الدراسات أشارت الى أن الموت والحب يصنفان ضمن هذه العواطف .

قلت : نعم ولكن تقسيمها يتدرج تحت مقولتين : عواطف فاعلة وعواطف منفعة !

قال : دعك من هذا انه تصنيف سارتر . . أريد رأيك انت .
لقد كان مربياً عظيماً يطالبنا دائماً بتجديد رأينا . . وصمت ووقف على سبب صممتي ثم تجاوز ذلك متسائلاً : هل الحب أن نتطلع في وجوه بعضنا بعضاً أم نتطلع معاً الى وجهة واحدة .

قلت : أن نتطلع معاً الى جهة واحدة !

فبدت علائم بشر خفيفة على وجهه ثم سألني :

- أين قرأت هذه الجملة ؟ (الى هذا الحد كان دقيقاً)

قلت : لا أذكر بالضبط أفي «أرض البشر» أم في «بريد الجنوب» ؟

قال : على أي حال هذا يكفي . ولكنني أريد أن أسألك سؤالاً

واحداً : من قال «إن موتي يهمني أنا» .

قلت : غابرييل مارسيل !

قال : هل هناك شيء آخر حول الحب ؟ فلزمت الصمت ظناً مني أن

هذا خارج عن موضوع الفحص .

ومرت لحظة قطعها بسؤال :

- هل نجحت في فحص الفلسفة ؟

قلت : نعم .

قال : بماذا تترجم كلمة Predetermine في مذهب لينتزر ؟

قلت : الأستاذ يوسف كرم يترجمها بتناسق سابق ، والدكتور بديع

الكسم يترجمها بتناسق أزلي . والدكتور عادل عوا يترجمها بانسجام سابق .

قال : وأنت أريد رأيك .

ولزمت الصمت ظناً مني أنني أقف موقف المتأدب ولم يكن يخطر ببالي

أنه رحمه الله سوف يؤخذني على موقعي هذا .

وبعد لحظة صمت قصيرة قال لي : تحمل المادة . . عندما سألتك عن

الحب لم توضح لي ارتباط الحب بالموت أو الزمن وعندما قلت لك دعك من

تصنيف سارتر للعواطف وافقتني ولم تعارضني . . أو على الأقل لم تقف

الموقف العلمي . معك ثلاثة أشهر في الصيف تراجع المادة من جديد .

لا أنكر عليك بعض قراءاتك . . ولكن أفضل أن تستثمر هذه القراءات

بشكل أجود . . . رتب نقاط المناقشة في ذهنك بشكل أوضح وجرب

الاستفادة من قراءاتك وآراء الآخرين عند عرضها . . ثم حاول أن يكون لك

رأي . . . تمثل . . . وناقش . . دافع عن آرائك الشخصية .

وخرجت من المخبر وأنا محبط . . وبعد التخرج فقط أدركت عمق

موقف أستاذي المرحوم الدروبي وحرصه الشديد على أن يتمثل جيداً ما نقرأ . . . وما زلت حتى الآن . . . أذكر جيداً غيرة وحرص استاذنا على اللغة فقد صادف ذات يوم أن طلب من احدي الزميلات قراءة بحث تبرعت باعداده وبعد فترة وجيزة من إلقائها للبحث طلب منها بإشارة من يده الكف عن متابعة القراءة والعودة إلى مقعدها وقال :

ان من يود أن ينقل أفكاره إلى الآخرين فليعمل كل جهده على أن تكون لغته صحيحة ومترابطة . . . ان اللغة هي مركب المعاني والأفكار . . . لتكن لغتكم ممتازة . .

رحم الله استاذنا الكبير الدكتور سامي الدروبي لقد زرع فينا الحب . . . وحب المعرفة واحترام الرأي الآخر .

الوفاء للأدب و للفنان

بقلم قمر كيلاني

جريدة البعث

٧٩ / ١ / ٢٨

عرفتها في مراحل الطفولة والدراسة الثانوية .. احسان التي أصبحت فيما بعد زوجة أستاذنا المرحوم سامي الدروبي .
وعرفنا الدكتور سامي الدروبي في الجامعة ... مرشداً ..
وصديقاً .. ومعلماً للقومية العربية من خلال البعث العظيم أكثر مما عرفناه
استاذاً . وكان بوجهه السمع المليء بالرضا والتفاؤل يستقبلنا ويتقبل منا كل
مناقشاتنا الحادة حول كل الأشياء بدءاً من مقرراتنا ومناهجنا الجامعية وانتهاء
بقضايا الفلسفة وعلم النفس .

واقترن الاسمان عندي : احسان .. وسامي

وأصبحت قليلاً ما أراها لانشغالها بمناصب قومية وديبلوماسية
وابتعادها عن أرض الوطن ... لكنني كنت أتبع باهتمام كل ما يكتبه أو
يترجمه الدكتور سامي . وتصاعدت مترجماته واتسعت حتى غدت فناً قائماً بذاته
في الترجمة وعلامة على سامي الدروبي الفنان قبل سامي الدروبي المثقف
وحامل الدكتوراه .. وعرفنا .. أكثر ما عرفنا . من خلال هذه المترجمات
دويستوفسكي وتولستوي وكان آخرها الثلاثية لتولستوي : الطفولة ،
المراهقة ، الشباب ، أضاف سامي الدروبي الى الكتب التي ترجمها من
ابداعه .. من احساسه الغني بروح من يترجم له ... من امتلاكه للغة
العربية في نصاعتها وبيانها وسحرها وليونتها . وفوق كل ذلك جعل الترجمة
بحد ذاتها لوناً من ألوان الابداع الأدبي .

وكان موته فاجعة وخسارة على كل المستويات . .
ويوم بحث اصدار ملف خاص أو عدد خاص من احدى المجلتين
الادبيتين في القطر (المعرفة والموقف الأدبي) قالت لي احسان :

- ألا تكتبين عن سامي ؟

قلت : طبعاً ، . . أكتب .

وعدت اليها بمقال بعنوان «حزمة ضوء عن سامي الدروبي» وقلت :
- الحقيقة انني كنت أريد أن أكتب عنك أنت . . لاعن زوجك . عن
(المرأة في حياة الدروبي) فلولاك . . ولولا حنانك وحبك ووفائك النادر له
ولفنه لما ترك لنا هذه الثروة الضخمة التي تفوق ثمانين مؤلفاً .

ابتسمت بحزن داعم وقالت :

- أفضل أن يظل ما كتبت عن سامي هو الذي ينشر .

وأضافت وفاء . . . على وفاء .

وأواخر العام الماضي عندما نال المرحوم سامي الدروبي جائزة لوتس
العالمية من اتحاد كتاب افريقيا وآسيا احسست أن ساحة الوفاء اتسعت . .
تعاضمت . واننا نحن الكتاب العرب جميعاً من خلال اتحادنا العام واتحاد
كتاب افريقيا وآسيا قد عبرنا عن وفائنا لعلم من أعلام الفكر والأدب والترجمة
في بلادنا . .

ورأيت الدموع . . نفس الدموع في عيني احسان .

احسان الوفاء للأدب . . وللفنان .

لكن دموعاً أخرى في عيني احسان تجول الآن قبل أن تأتي الذكرى
الثالثة لوفاة زوجها (شهر شباط) رغم الجائزة التي تتوج انتاجه الكبير . .

ليت أنه عاش ليرى فجرأ جديداً يشرق على الأمة العربية في الوحدة بين
سوريا والعراق ليت أن حلماً حاضراً يتحقق قد مسح عن قلبه آلام

فجيعة وحدوية قضت . . ليت أنه يشهد فرح العراقيين - تماماً كالسوريين -

في أنه نال تقديراً عالمياً . ليت همومه وآلامه التي حملها نحو الوطن الكبير قد
رأها انتصارات في سورية الصمود . . . وطنه الصغير .

وها أنا أقف للمرة الثالثة وقفة الوفاء
ولكن . . هل تراني وفية أكثر لاحسان ؟
احسان التي كانت وما تزال نبع الحب والوفاء والحنان . . .
للأدب والفن من خلال زوجها الفنان
للعرب والانسان عبر زوجها العربي المخلص والانساني الانسان ؟

في ذكرى سامي الدروبي

بقلم علي عبد الكريم

جريدة تشرين

٧٩/٢/١٢

في ذكرى سامي الدروبي أمام الأصناف الفهلوية من جماعة الكتاب والمترجمين وذوي الباع الاستثنائي في الاعداد والفهرسة . لايسعنا الا أن نحتمي طويلاً بأية طفرة تشذ عن قاعدة الاستهتار السائد ، وتتعامل مع الكلمة بمعايير لا تكون الكلمة فيها طرفاً مستباحاً .

سامي الدروبي أحد القلائل الذين عاشوا حياتهم أصدقاء لطموحهم وهمومهم ، وبالتالي كانوا أصدقاء للكلمة بل وصلوا معها الى أكثر من حدود الصداقة ، وقد كان تعاملهم معها عشقاً وتلمذة وصداقة .

ترجم عدداً كبيراً من روائع الأدب والفكر العالميين غير أنه كان حاضراً في كل هذه الروائع وكأنه الكاتب ذاته الذي عاش أحداث وحرارة الموضوع . بينما غموت مرتين ونحن نقرأ لكثيرين ممن يرون أنفسهم أكبر من الدروبي سواء في حقول الترجمة الابداعية أو الفكرية والتأليف أيضاً . . . اذ تنعدم الحساسية التي تضمم بها مؤلفات الأستاذ الدروبي لدى أولئك الى درجة تجعلنا نسب الكاتب الأصل . . ونتهمه بالقصور وعدم استحقاقه الألقاب الكبيرة التي نالها في عالم الابداع .

ونتساءل أمام هذا الكم الفني الوفير من الترجمات الهامة جداً لماذا انصرف هذا الرجل الكبير الى نقل ابداع الآخرين بلغة من داخل الابداع ، مع أنه أهمل نفسه فلم يسكب تجاربه وارهائه بهذه اللغة النابضة الا في مؤلفات

قليلة بعضها مدرسي وقليل منها في مجال الابداع وهي تمتلك الحياة الحارة لغة ومضموناً ، ويبقى التساؤل قائماً ، والأمل في أن لهذا الأديب الحق مخطوطات لم يكشف عنها بعد .

وإضافة الى الدروبي المبدع تأليفاً وترجمة . .

● هناك الدروبي المرابي والموقف الوطني والقومي . ويكفي أن نذكر له حادثة واحدة من تاريخه الحافل .

● لقد بكى سامي الدروبي عندما أبلغ قرار تعيينه سفيراً لسورية فقط . . بعد أن كان سفير الجمهورية العربية المتحدة ورفض أن يكون سفير الانفصال .

في ذكرى سامي الدروبي . . . لانريد أن ننصف وطنياً مبدعاً فحسب ، وإنما نبغي من ذلك الى ضرورة تحديد معايير الابداع والفاعليات الحقيقية ليصار الى فرز الأشخاص المنسجمين مع ذواتهم وسلوكهم وكتابتهم ، وتعزية الزائفين والمندسين في ميادين يفترض أن تكون منطقة حراماً عليهم .

الاحتفال بالذكرى ١٥٠ لميلاد تولستوي

١٩٧٩

كلمة السيدة الوزيرة نجاح العطار

الثورة - ١٩٧٩

أمس . . بدأت في المركز الثقافي السوفييتي وتحت رعاية السيدة الدكتورة نجاح العطار وزيرة الثقافة والارشاد القومي ، الاحتفالات بالذكرى ١٥٠ لميلاد الكاتب الكبير ليون تولستوي ووفاء لذكرى الأديب الكبير سامي الدروبي . .

اشتمل احتفال الأمس على افتتاح معرض للكتب وكلمة ترحيبية من مدير المركز الثقافي السوفييتي .

أما الكلمات التي أقيمت في الحفل فكانت :

- كلمة الرفيق عبد الله الأحمد عضو القيادة القطرية لحزب البعث العربي الاشتراكي

- كلمة السيدة الدكتورة نجاح العطار وزيرة الثقافة والارشاد القومي .

- كلمة الأستاذ جلال فاروق الشريف .

- كلمة الاستاذ سعيد حورانية .

- كلمة شكر للسيدة دروبي . .

ومما قالت الدكتورة نجاح العطار في الإحتفال بالذكرى ١٥٠ لميلاد

تولستوي

يا كاتباً عظيماً أنبتته أرض روسيا ، ناداه تورغيف يوماً ، ونحن نرجع

النداء ، وفي مثل هذه الذكرى نستعيده ، نقبس منه ، نتضوأ به ، فعليه ،

ونفليه ، لأنه في لغتنا ، قد صار إلى لغة كريمة أصيلة ، على يد كاتب، من عندنا ، من أرضنا ، عرف كيف يعطر الكلمات بالغالالية ، وكيف يصوغ الفكرة صياغة تعطي الأصل حقه ، بأمانة صاحب الميزان ، وبراعة صاحب البيان .

شتم ، وأنتم في هذه المناسبة الكبيرة ، أن يقترن اسم سامي الدروبي باسم ليون تولستوي ؟ أنه لفخر .. فالكاتب مبدع ، والمترجم مبدع ، وحين يجتمعان ، يصبح الإبداع معجزة الكلم ..

أحيي عظمة الكاتبين : الروسي والعربي ، الخالدين في الحرف ، ونعم الخلود به ، قيمة باقية على الدهر ..

وأحيي صداقة الشعبين : السوفييتي والعربي ، فيها ، وطيدة راسخة ، يتجلى معنى التعاون بين الشعوب ، على الخير وضد الشر ، لمصلحة البناء والتقدم ، لدحر العدوان وتحرير الأرض واستعادة الحقوق ، ولأجل السلم العادل الذي هو هدف الإنسانية بأسرها .

أدباء على درب البعث
الدكتور سامي الدروبي

- ١ -

البعث ٣٠/١٢/١٩٧٩

نشأته ودراسته

ولد الأستاذ الأديب - سامي الدروبي - في ٢٧/٤/١٩٢١ ودرس الابتدائية والثانوية في مدينة حمص ، ثم أكمل دراسته في تجهيز دمشق - القسم الثاني للبيكالوريا . . . مارس التعليم الابتدائي في مدارس القنيطرة ، ثم تابع دراسته في دار المعلمين العليا لمدة عامين حيث عين معلماً في قرية - المخرم الفوقاني - في محافظة حمص لمدة سنة واحدة .

وبعد ذلك أوفد إلى القطر العربي المصري في أواخر عام - ١٩٤٣ - وعاد إلى القطر العربي السوري في عام - ١٩٤٨ - فعين معيداً في جامعة دمشق ثم أوفد إلى باريس في عام - ١٩٤٩ - لتحضير الدكتوراه . وعند عودته في عام - ١٩٥٢ - عين مدرسا ثم أستاذاً في كلية التربية .

- ٢ -

- سامي الدروبي البعثي -

يعتبر الدكتور سامي الدروبي من الرعيل الأول من البعثيين الذين أسسوا حزب البعث العربي الاشتراكي في الأربعينات . فناضل بصدق واخلاص من أجل نشر مبادئ حزب البعث والدعوة إليه لتوحيد الصف لمواجهة الحكومات الرجعية وبالتالي العمل على توحيد الأمة العربية لمواجهة المستعمرين وطردهم . . فعانى هو ورفاقه البعثيون الكثير من اضطهاد السلطات حيث اقتيد إلى السجن مع عدد من رفاقه في عهد الشيشكلي . وبقي

في السجن حتى انتهاء فترة حكم الشيشكلي . - لم تؤثر فترة السجن على عزيمته ونفسية الدكتور الدروبي بل كانت دافعاً جديداً له ليقدم العطاء تلو العطاء والتضحية تلو التضحية - لم يزد السجن إلا صلابته أمام القوى الرجعية ، فاستمر في كفاحه من أجل توعية شعبه وأمته من خلال كتاباته وفكره الناضج .

- وعندما عمل الدكتور الدروبي في الحقل الإعلامي أصبح علماً من أعلامه . فعلى الرغم من أن عدد العاملين في الحقل الإعلامي في عام - ١٩٥٦ - كان قليلاً جداً ، ربما لم يتجاوز عدد أصابع اليدين . ومع ذلك استطاع الدكتور الدروبي أن يرفع من سوية الإعلام أبان تلك الفترة وبما يجب الإشارة إليه هنا ، هو أن الدكتور الدروبي نذر وقته بالكامل للعمل أثناء العدوان الثلاثي على الشقيقة مصر . فأخذ يعمل وكأنه مجموعة رجال تعيش في رجل واحد فكان يذهب إلى الاذاعة ليستمع إلى الأخبار العالمية ويترجمها فورياً ثم يكتبها في الصحيفة وينتظر حتى تتم طباعة الصحيفة ليعود في الرابعة صباحاً متباطأ أول عدد من الصحيفة بعد أن حول الصحيفة الأسبوعية التي كانت تصدر باسم حزب البعث العربي الاشتراكي إلى صحيفة يومية .

- ٣ -

- نضال الرفيق سامي الدروبي في مرحلة ما قبل الثورة - .
ماذا أكتب هنا عن مواقف وممارسات وسلوك الرفيق المرحوم سامي الدروبي ؟ من أين أبدأ ؟ ! . . - إذ أن مواقف الرفيق المناضل الخالد أكثر من أن تعد في مناسبة كهذه . كما أن مثل هذا الأمر يحتاج إلى مجلد كبير ليستوعب ما قدمه الرفيق الدروبي لأمته وحزبه .

- لقد عمل الرفيق الدروبي على معايشة فكر الحزب منذ نشوئه فكان حلقة وصل حقيقية بين الحزب والجماهير الكادحة ، بين القيادات الحزبية والقواعد الحزبية والجماهير العريضة ، فكان يتدارس مع الرفاق المؤسسين الأوضاع القائمة ، وما يجب عمله ، ثم يقوم بنقل ونشر فكر الحزب بأسلوب مشوق جميل .

- لقد كان لكتاباته الغزيرة وفكره المضيء أثر فعال في نشر الوعي القومي

في صفوف المثقفين العرب واستقطاب الكثيرين ، وإثارة النقمة على الرجعية العربية والإقطاع أذئاب الأستعمار ومثليه .

- ٤ -

- نضال الرفيق سامي الدروبي ما بعد ثورة ٨ آذار - ١٩٦٣ -

بعد قيام ثورة الثامن من آذار ١٩٦٣ أصبح الرفيق الدروبي عضواً في مجلس قيادة الثورة ثم عين وزيراً للتربية وبعد ذلك تقلد مناصب عديدة فكان مثلاً للاخلاق البعثية الثورية الملتزمة .

- ولقد مثل القطر العربي السوري في العديد من الدول العربية والأجنبية - كمصر ، البرازيل - المغرب ، يوغسلافيا ، كما عين مندوباً دائماً للجمهورية العربية السورية في الجامعة العربية في ١/٩/١٩٦٦ ، وتبع ذلك تعيينه سفيراً لسورية في اسبانيا والفاتيكان معاً وذلك في ٢٧/١١/١٩٧١ وبقي في منصبه هذا حتى ١٢/١٠/١٩٧٥ حيث طلب إعادته إلى دمشق لأسباب صحية وبعد أربعة أشهر من عودته وافته المنية في ١٢/٢/١٩٧٦ بسبب اصابته بانسداد الشريان التاجي في القلب .

- ومن الجدير بالذكر ان الدكتور الدروبي توفي وهو يكتب الفصل الخامس عشر من الجزء الثاني من رواية - الحرب والسلام - لتولستوي - وهكذا نجد ان المرحوم الدكتور الدروبي حافظ على العطاء لامته حتى آخر لحظة في حياته .

- لقد أعطى الدكتور الدروبي - وحسب اعتراف الكثيرين من الدبلوماسيين العرب - بعداً جديداً للدبلوماسية العربية فمثل ضمير أمته وعبريتها . - وكما قال عنه سفير الجزائر فانه كان سفيراً للعروبة وللقوموية العربية وليس سفيراً للقطر العربي السوري وحسب .

- ومن مواقفه القومية أيضاً قيامه بمؤازرة الثورة الجزائرية أثناء دراسته في باريس ، حيث شكل حلقة حزبية لدعم الثورة الجزائرية ، وأجرى اتصالات مكثفة مع الجزائريين المتواجدين في فرنسا . وكان الرفيق الدروبي يرى ان النضال كل لا يتجزأ ، فهو في القلم كما في البندقية ، وفي الكلمة الشجاعة الواعية كمثلته في طلقة المدفع .

ولذلك عمد إلى ترجمة ثلاثية الأديب الجزائري - محمد ديب - عن الفرنسية - حيث كان يحظر على الجزائريين الكتابة باللغة العربية - وذلك لنقل أفكار ومشاعر هذا الأديب المتحمس لقوميته وأمته والمتشوق لتحريرها وإعلان لغتها لغة رسمية لجميع أبناء الوطن العربي .

- ٥ -

الدكتور سامي الدروبي مؤلفاً ومترجماً -

من المسلم به أن الدكتور الدروبي كان مؤلفاً مرهف الحس ، رقيق المشاعر ، رفيع الذوق شديد العناية بصياغة تعابيره ، هذا بالإضافة إلى غزارة الانتاج حيث ألف وترجم ما يقارب من ثمانين كتاباً .

ومن مؤلفاته - علم النفس والأدب - علم الطباعة - علم النفس والتربية - ومن أغاني السكارى على نهر العاصي بمدينة حمص - مخطوطة -

أما بالنسبة للترجمة فحدث ولا حرج وهنا أحب أن استهل الحديث عن الدكتور سامي الدروبي المترجم بما قاله الدكتور - طه حسين - عندما سأله أحد الصحفيين قبل وفاته قائلاً : ماذا تقرأ ؟ فأجاب : أقرأ - دوستوفسكي - معرباً بقلم سامي الدروبي وأضاف : كأنني بسامي الدروبي مؤسسة كاملة .

في الواقع كان الدكتور الدروبي كذلك ، فضلاً عن كونه مفرماً بالتواصل الإنساني ، كما كان يجب ان ينقل مشاعره واحساسه بالجمال إلى الآخرين ، لذلك اختار أن يكون مترجماً بكل ما في هذه الكلمة من معنى كان غيوراً على أبناء أمته إلى حد كبير ، حيث كان يصعب عليه جداً أن يجهد أبناء العروبة كنوز الثقافة الأوربية . لذلك حرص كل الحرص كي يضع هذه الكنوز في متناول القارئ العربي .

فالت ترجمة في نظر الدكتور الدروبي - رسالة حضارية - ولطالما بشر بان هذا العصر هو عصر الترجمة . والسبب في ذلك هو أن الأمة العربية بأمس الحاجة إلى أن تفتح نوافذها للهواء والشمس . وبالطبع ، لم تكن الترجمة رسالة يبشر بها وحسب ، بل انبرى بنفسه على حمل لوائها فكان علماً من أعلامها البارزين .

ودون ريب كان الرفيق الدروبي مفكراً من الطراز الأول ، ولعل أبرز ما فكر به هو اعتقاده أن نهضة الأمة العربية وبعث تراثها وأمجادها يقتضيان الاطلاع الشامل على الحضارة الحديثة بوجوهها المختلفة فكراً وفلسفة وأدبا وفنا الخ . .

وبالإضافة إلى كون الدروبي مترجماً كبيراً وأديباً ممتازاً ، كذلك كان فناً يفرغ بالجمال ، ويصنع الجمال أيضاً أما بالنسبة للغة العربية فكان يهيم بها ويتأمل جمالها وروعها كالعاشق الوهان . فإذا ما قرأت ترجمات الدكتور الدروبي ، تنسى نفسك ، وتتوهم أنك تقرأ نصاً عربياً أصيلاً ، لم ينقل من لغة أخرى . ويعود السبب في ذلك إلى أسلوب الدروبي المرفه وعبارته الرشيقة الجميلة ، وبيانه الساحر ، وباختصار شديد فإن الرفيق المرحوم الدروبي كان مالكا ناصية التعبير باللغة العربية .

لذا فقد اكتسب الدكتور الدروبي شهرة عظيمة على المستوى العربي والدولي . حتى المترجم والمستشرق الروسي - فلاديمير كراستوفسكي - الذي رافق - خروتشوف - رئيس الاتحاد السوفييتي السابق أثناء زيارته إلى مصر ، طلب من وزير الثقافة المصري - د. ثروت عكاشة - أن يطلع على الترجمة العربية - لدوستوفسكي - ليتعرف على مدى الدقة في الترجمة ، وفيما إذا كانت اللغة العربية قادرة على استيعاب تحليلات - دوستوفسكي - النفسية . فكتب لوزير الثقافة المصري بعد أن أطلع على الترجمة - لوان دستوفسكي - كتب باللغة العربية لما كتب أجمل من هذا . أجل من هذا . وبعد ذلك طلب وزير الثقافة في الاتحاد السوفييتي مجموعة دوستوفسكي بالعربية ليصار إلى حفظها في متحف - دوستوفسكي - في الاتحاد السوفييتي . وهي أول مرجع عربي يحفظ في متحف - دوستوفسكي -

- ٦ -

- من ترجمات المؤلف -

ابنة الضابط ، للكاتب الروسي الكسندر بوشكين - بطل من زماننا للكاتب الروسي ، ليرمانتوف - مدخل إلى علم السياسة ، عن موريس دوفرجه ، تفكير كارل ماركس ، عن جان أيف كلافيز - علم النفس

التجريبي ، عن - روبرت ودوث - ثلاثية الكاتب الجزائري - محمد ديب -
الدار الكبيرة ، الحريق ، النول - معذبوا الأرض - فرانتزانون - جسر على نهر
الدرينا ، عن الكاتب اليوغسلافي ايفو اندريتش وهي الرواية التي فازت
بجائزة نوبل للآداب ومن الجدير بالذكر هنا ، ان الدكتور الدرؤبي ترجم
وطبع هذه الرواية قبل ان تمنح جائزة - نوبل - بستة أشهر مما يدل على حسه
الأصيل وذوقه الأدبي الرفيع - كما ترجم رواية كونكاس يوريا ، عن الكاتب
البرازيلي - ميشليو دو آسي -

أدباء على درب

للكاتب الروسي - دوستويفسكي - التي تضم ثمانية عشر مجلداً وتقع
في - ١٢,٠٠٠ - صفحة ، وترجم أيضاً الأعمال الكاملة - لتولستوي - وتقع
في أكثر من - ٤,٠٠٠ - صفحة . ثم مسائل فلسفة الفن المعاصر ، عن
الكاتب الفرنسي - غوايو - .

وعندما وافته المنية كان قد انتهى من ترجمة - ٩٦٠ - صفحة من الجزء
الثاني من رواية الحرب والسلام لتولستوي وظلت أربعون صفحة لتنتهي ترجمة
هذا العمل الأدبي الكبير .

- ٧ -

خاتمة :

من حسن حظ القارئ العربي أن الله قيض له أديباً ومترجماً كبيراً نقل له
عبقرية - دوستويفسكي - بدقة وبلغة سليمة وبأسلوب مشوق جميل . ومرة
أخرى أحب أن أعود إلى ما قاله الدكتور - طه حسين - عن الدكتور الدرؤبي -
المؤسسة الكاملة - حيث قال : عندما كنت مديراً عاماً للثقافة في الجامعة
العربية قررنا أن نترجم أعمال شكسبير إلى اللغة العربية ، وكانت هناك
ظروف مادية وفكرية متوفرة ، فلم نستطع أن ننهي أعمال شكسبير بالرغم من
مضي ثمانية عشر عاماً على المشروع ، بينما نجد الدكتور الدرؤبي بمفرده ،
ودون أن يقدم له أحد العون يترجم أعمال - دوستويفسكي - وتولستوي -
وهنا تتمكن عبقرية الرفيق الدكتور سامي وقدرته على العطاء وطموحه اللا
محدود . أليس هو القائل : كم أتمنى لو أن روائع الأدب العالمي جمعت في

مجلد واحد ، إذا كنت ترجمته واسترحت . لقد قدر الرفيق الدروبي عالميا بعد رحيله ومنح جائزة (اللوتس) للترجمة في مؤتمر اتحاد الكتاب الآسيويين والأفريقيين الذي عقد في طشقند في عام - ١٩٧٨ - . . وهو أول عربي سوري يمنح هذه الجائزة .

وأخيراً أود أن أقول : ان الرفيق الدكتور سامي الدروبي الذي قدم الكثير لأبناء القومية وناضل طوال عمره من أجلهم سيبقى خالداً في تاريخ حزب البعث العربي الاشتراكي وتاريخ الفكر العربي ، كما أنه سيبقى حيا في ذاكرة كل بعثي مثقف ومنارة للأجيال العربية القادمة .

ولكم أتمنى أن تعاد طباعة مؤلفاته بشكل دوري ليتمكن أبناء لغة الضاد من الاستفادة من فكر الرفيق سامي الدروبي . وكم أتمنى أيضاً أن تعمد قيادة الحزب إلى تخليد ذكرى الرفيق الراحل باقامة نصب تذكاري له مثلا .

... إذ أن الكثيرين من رجالات الأدب والسياسة منحوه العديد من الاوسمة تقديراً لأدبه وفكره فكيف بنا ونحن رفاقه الذين أضاء لنا الطريق ؟ لقد علمنا الرفيق القائد حافظ الأسد أن نكرم ونحترم جميع الرفاق المناضلين من مفكرين وأدباء فكيف بنا ونحن أمام رفيق قد أثار الكثير من الجوانب المظلمة ؟ عهداً إننا سنبقى أوفياء بحبنا وقلوبنا لكل المفكرين والمناضلين الشرفاء الذين يروون بفكرهم شجرة البعث المتمثلة في وحدة الأمة العربية وحريتها وتوفير العدالة الاجتماعية والرفاه لجميع أبنائها .

كلمة الختام

لا أجد قولاً أنهي به محاولتي هذه يا سامي وأنا التي رأيت بأب عينها وبكل أحاسيسها ، كم عانيت من حالتك الصحية ، وكم كابدت وكيف تحملت ، وكم فرضت على نفسك من الجهد باندفاعك الوجشي في القيام بأعمالٍ فيها من شدة الاجهاد وقوة الانفعال ما يضني الأصحاء فكيف بمن ركبتهم علة العلل سوى قول الشاعر

وإذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الأجسام
لذا تراني يا سامي أقف أمام قرائك ، لأشهد أنك أديت الأمانة إلى أمتك وإلى لغتك .

أيها القارئ الكريم ما أحسبني قد استطعت أن أفي هذه الذكريات الغالية على حقها في الأداء ولكن يشفع لي أنها صادقة كل الصدق ، وأنها صادرة من قلب ملتانع .

أيها القارئ الكريم لأنهي محاولتي هذه كما بدأتها
ليست بالضرورة أن تكون زوجة الكاتب كاتبة فاعذروني
وشكراً

احسان بيات الدروبي

﴿صدر عن الكرمل﴾

- . أولبياد اللغة المؤجلة (شعر) أسعد جبوري .
- . تضاريس لوجه غير باريسي (شعر) ربيعة الجلطي .
- . مصر السادات رؤية ناصرية سليمان الحكيم .
- . الفرد يقرع الباب (قصص أطفال) محمد الرймаوي .
- . دروب القراءة رالف ستيجر ترجمة بشير النحاس .
- . زهرة الصندل (رواية) وليد إخلاصي .
- . الحنظل الأليف (رواية) وليد إخلاصي .
- . الحركة الصهيونية في أدبيات لينين محمود عباس (أبومازن) .
- . الحيوان في قصص الأطفال عربي العاصي .
- . مشكلات الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية في بلغاريا .
- . د. عبدالله حنا .
- . كامب ديفيد ومستقبل الصراع في المشرق العربي د. حامد ربيع
- . الرواية في الأدب الروسي د. سامي الدروبي .
- . عندما تحترق الحروف فتحي كواملة .
- . التويزا (رواية) الزاوي أمين .
- . الدروبي إحسان بيات الدروبي .

الدكتور سامي الدروبي

(مؤلفاته)

- علم النفس والأدب
- علم الطباعة
- علم النفس والتربية
- ابنة الضابط - ترجمة عن الكاتب الروسي الكسندر بوشكين
- بطل من زماننا - ترجمة عن الكاتب الروسي ليرمانتوف
- مياه الربيع - ترجمة عن الكاتب الروسي تورغنيف
- مدخل إلى علم السياسة - ترجمة موريس دوفرجه
- تفكير كارل ماركس - ترجمة - عن جان إيف كلافيز
- علم النفس التجريبي - ترجمة عن روبرت وودث
- ثلاثية الكاتب الجزائري محمد ديب الذي يكتب بالفرنسية
- الدار الكبيرة - العريق - النول
- معذبو الأرض - ترجمة عن الفرنسية لفرانز فانون
- جسر على نهر الدرينا ترجمة عن الكاتب اليوغسلافي يغو اندريتش وهي الرواية الفائزة بجائزة نوبل للأدب
- أخبار مدينة سترايفك - ترجمة عن الكاتب اليوغسلافي يغو اندريتش
- رواية كونكاس بوربا ترجمة عن الكاتب البرازيلي ميشيلو دواسي
- الأعمال الكاملة لـ ٠٠ الكاتب الروسي دوستويفسكي - منشورات وزارة الثقافة في جمهورية مصر العربية في ١٨ مجلداً وتتراوح عدد صفحات المجلد الواحد بين ٧٠٠-٨٠٠ صفحة
- الأعمال الكاملة لتولستوي الكاتب الروسي ، منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي في القطر العربي السوري في ثلاثة مجلدات والجزء الرابع قيد الطبع ٠٠ وعدد صفحات المجلد الواحد ١٠٠٠ صفحة
- مسائل في فلسفة الفن المعاصر - ترجمة عن الكاتب الفرنسي جان غوايو
- عندما وافته المنية كان قد انتهى من ترجمة ٩٦٠ صفحة من الجزء الثاني من رواية الحرب والسلام لتولستوي وظلت ٤٠ أربعون صفحة لتنتهي ترجمة هذا العمل الأدبي الهام

(المخطوطات)

- من أغاني السكارى على نهر العاصي بمدينة حمص

- ولد سامي الدروبي في ٢٧-٤-١٩٢١
- درس في حمص الدراسة الابتدائية والثانوية
- أكمل دراسته في تجهيز دمشق « القسم الثاني للبيكالوريا »
- مارس التعليم الابتدائي في مدارس الجولان بالقطر العربي السوري
- تابع دراسته في دار المعلمين العليا لمدة عامين وعيّن معلماً وظل في وظيفته هذه كمعلم سنة واحدة درس خلالها في قرية « المخرم النوقاني » في محافظة حمص
- أوفد إلى القطر العربي المصري في أواخر عام ١٩٤٣
- عاد إلى القطر العربي السوري عام ١٩٤٧ فعين مدرساً للفلسفة بحمص
- نقل في السنة التي تلت ٤٧ - أي عام ٤٨-٤٩ إلى دمشق (كمعيد في الجامعة)
- وفد إلى باريس من عام ٤٩-٥٢ لتحضير الدكتوراه
- عاد من باريس وعيّن مدرساً في كلية التربية ، ثم استاذاً
- أوفد إلى القطر العربي المصري كمدير في وزارة الثقافة عام ١٩٥٩ - ١٩٦٠
- عيّن مستشاراً ثقافياً للجمهورية العربية المتحدة في البرازيل عام ١٩٦٠ - ١٩٦١
- بعد الانفصال مباشرة طلب إعادته إلى دمشق
- عيّن وزيراً للتربية بعد ثورة ٨ آذار ١٩٦٣
- عيّن سفيراً للجمهورية العربية السورية في المغرب في ٩-١٩٦٣
- عيّن سفيراً للجمهورية العربية السورية في يوغسلافيا في ١٢-١٩٦٤
- عيّن مندوباً دائماً للجمهورية العربية السورية في الجامعة العربية في ٩-١٩٦٦
- عيّن سفيراً للجمهورية العربية السورية في مدريد بإسبانيا في ٢٧-١١-١٩٧١
- في ١٢-١٠-١٩٧٥ طلب إعادته إلى دمشق لأسباب صحية وبقي سفيراً في وزارة الخارجية ، وظل يعمل في أعماله الأدبية وفي حقل الترجمة وإنجاز مشاريعه الأدبية رغم ظروفه الصحية القاسية وظل يعمل من ١٢-١٠-١٩٧٥ وحتى ١٢-٢-١٩٧٦ حيث وافته المنية ورحل فقيداً للعروبة والفكر